المشرق

السنة الثالثة والثلاثون — نيسان – حزيران ١٩٣٥

الاعلاق الخطيرة

لعزّ الدين بن شدّاد

بقلم الاب شارل لودي (رومة)

تمهيد

لقد أدّى صاحب الأعلاق، عزّ الدين بن شدّاد، خدمة جليلة للمستشرقين، وان لم يكن كتابه منشوراً بالطبع بعد. ومؤخراً لفت الانظار الى الاعلاق السيد كلود كاهن في مقال ضاف مشبع درساً وتمحيصاً[1]. وايضاً طالعنا في العدد الاخير للسنة السابقة من مجلة «المشرق» الغرّاء. مقالة انتقادية بقلم الباحث السيد حبيب الزيات[2]. اما نحن في درسنا

(1) Claude Cahen, *La Djésireh au milieu du XIII*e *siècle d'après 'Izz-Dīn b. Šaddād*, dans *Revue des Etudes Islamiques*, 1934, I, 109 sq.

(2) المشرق ٣٢ [١٩٣٤] ٥٠٤–٥١٠.

هذا فنقدّم لقرّاء « المشرق » الالباء لمحة عن سورية الشمالية ، مع فهرس المخطوطات التي حصلنا عليها بعد عناء طويل ، واننا نشير الى المآخذ التي تخبر عن تواريخ العواصم . وبعد هذا نطبع المخطوط نفسه ، مع بعض الشروح والتعليقات .(١)

ويلذّ لنا اوّلا ان نتقدم خالص شكرنا لحضرة الاستاذ الشهير ليفي ديلّا فيدا (G. Levi Della Vida) الذي دفع الينا هذا المخطوط وكان مجهولا حتى الآن ، وافادنا بما يعرف عن هذا الكتاب النفيس . ولا بدّ لنا ايضاً من تقديم واجب الامتنان لحضرة المفضال الاب بوابن ماترن اليسوعي ، رئيس المدرسة المارونية في رومة العظمى الذي شاء أن يقرأ معنا ما نسخناه عن تأليف ابن شدّاد ، كما اننا نشكر حضرة الصديق الاب لويس البستاني الذي اعاننا في ترجمة هذا المقال.

رومة ، مقام القديس لويس الفرنسوي

٨ اذار ١٩٣٥

---

١) راجع ، في ما استفاده المستشرقون من ابن شداد ، الدروس التالية ، وهي من مستندات هذا البحث :

M. Sobernheim, *Ibn Schaddād Ba'albeks Darstellung im Mittelalter*, dans *Centenario della Nascita di M. Amari*, Palerme, 1910-11, p. 152.

F. Amedroz, *Three arabic Mss. on the history of the city of Mayyafarikin*; *JRAS*, 1902, pp. 785 sqq.

المقدمة

١ً : سيرة ابن شداد وآثاره . ٢ً : فهرس المخطوطات . ٣ً : مآخذ ابن شداد في تاريخ العواصم .

١ً — سيرة ابن شداد

هو عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم عزّ الدين بن شدّاد الكاتب الانصاري الحلبي . أبصر النور في مدينة حلب في اليوم السادس من ذي الحجة سنة ٦١٣ (اذار ١٢١٧) . ومنذ حداثته ابتدأ يتدرّج في وظائف الدولة الايوبية في حلب ، نعلم هذا من معارفه الكثيرة عن مداخيل تلك المنطقة[١] . وكانت باكورة اعماله ، قبل ان يبلغ السابعة والعشرين من العمر ، ذهابه الى مدينة حرّان ليتفقد شؤونها بعد ان عادت الى مخدومه الملك الناصر يوسف ، على اثر كسر شوكة الخوارزميين .

ا — في خدمة الملك الناصر

في سنة ٦٤٩ جاء حلب بعثتان مختلفتان واحدة كانت من قبل التتار يطلب رجالها مائتي الف دينار . وكانوا قد سبقوا وزاروا امراء الروم والموصل وماردين وميافارقين والجزيرة وحصن كيفا ، فارجعوهم على اعقابهم دون ان يجيبوهم الى مطاليبهم ، قائلين انهم تحت سلطة ملك حلب ولا يصحّ لهم ان يعقدوا اتفاقاً دون مشورته . امـا الملك الناصر فكاد ينزل عند مطاليبهم لولا ابن شداد الذي حمله على العدول . واما البعثة الثانية فكانت من قبل الاتابك مسعود الزنكي ، امير الجزيرة ، وهو يتذمر من تهجم اتابك الموصل بدر الدين لؤلؤ . وكان يود مسعود ان يقدم الجزيرة للملك الناصر بشرط ان

١) ان ابن شداد يخبرنا بالتفصيل عن مداخيل حلب . (مخطوط الفاتيكان ص ١٠٨ قفا) وعن مداخيل بالس (ص ١٣١ قفا) وعن مداخيل منبج (ص ٢٦٣) ، انظر مداخيل الجزيرة في مقالة Claude Cahen

يبادله غيرها من البلاد . فاوفد الملك ابن شداد الى الامراء ليقنعهم بألّا يدفعوا الجزية للتتار ، واوفده كذلك الى الموصل ليصلح شؤون مسعود . اما نتيجة هذه البعثة فانها معروفة[1] . ذلك ان لؤلؤ ، بعد ان رفض الجزية التتار ، دسّ من قتل رجال وفدهم خارجاً عن حدوده . ثم تملك الجزيرة في السنة التالية . واما مسعود فانه غرق في دجلة اذ كان مسافراً الى الموصل.

وقد كُلف ابن شداد بعثة جديدة سنة ٦٥٧ انتدب فيها كي يقنع التتار ان يرفعوا الحصار عن ميافارقين وكانوا قد حصروا فيها الملك الكامل محمد الذي غضب عليه التتار لنكثه بالعهود ونقضه حلفهم وحبسه رجال وفدهم في مدينته . فسار ابن شداد من دمشق[2] مصحوباً بثلاثة من اولاد الملك الناصر ، وبحرمه ، وبعدد من هدايا ثمينة . ولما وصل الى حلب ترك فيها حرم الملك الناصر وتابع المسير الى معقل التتار . وكاد ينجح في وفادته بعد جهد كثير . فجددت المحالفة بين التتار والملك الكامل محمد الذي تعهد بدفع الجزية من مال وقنيان. واخذت صفوف التتار تنحل تاركة ميافارقين ، عندما وصلها كتاب من لؤلؤ ، صاحب الموصل ، يعلمها بان اهل الساحل والاكراد يستعدون للهجوم على الملك الناصر . وكان التتار قد توصلوا ايضاً الى اخذ كتاب ارسله الملك الناصر لابن شداد يلحّ به عليه ان يعجّل في عقد الاتفاق مع التتار . عند ذلك عاد هؤلاء الى حصار المدينة ، بعد ما ارجعوا ابن شداد الى ملكه الناصر مع كتاب شديد اللهجة[3].

واما ابن شداد فقد عرّج ، عند رجوعه ، على ماردين فتعهد صاحبها بانه مستعد لان يهزم لؤلؤ الخدّاع ، ويطرده من الموصل ، اذا انجده الملك الناصر برجال ومال . وقد عرف ابن شداد ، وهو في حرّان ، بان التتار ندموا على قطع

١) راجع تفصيل هذه البعثات في مقالة F. Amedroz المذكورة

٢) فتحت دمشق ابوابها للملك الناصر بعد قتل طوران شاه ، سلطان مصر ، فدخلها في ربيع الثاني ٦٤٨ G. Weil, *Geschichte der Chalifen*, III, 486

٣) هذا الكتاب موجود في السلوك للمقريزي : M. Quatremère, *Histoire des Sultans Mamluks d'Egypte* (traduction de Makrizi), I, p. 83.

العلاقات بينهم وبين الملك الناصر ، وادرك ، وهو في حلب ، بانهم تركوا حصار ميافارقين لشدة البرد وقلة الزاد ومرض الخيول وموتها . ورغم هذا بقيت فرقة من جيشهم امام المدينة . واما الملك الناصر فقد تلقى جميع هذه الاخبار بعد عودته من معركة بينه وبين الجيش المصري في فلسطين ، فلم يجاوب على اقتراح امير ماردين.

لكن التتار عادوا الى الهجوم في هذه السنة نفسها فتقدموا حتى حران فاخضعوها . وبعد ان ادرك الملك الناصر ان التتار صحت عزيمتهم على ان يحتلوا حلب ارسل الى مصر حرمة مع وُلده وكنوزه . وقد اقتدى به الامراء فارسلوا نساءهم وفعل فعلهم كثير من الشعب ، بعد ان رأوا جيش الناصر تشتت[1].

وفي شهر محرم سنة ٦٥٨ افتتح التتار حلب عنوة ، فهرب الملك الناصر من دمشق الى غزة . وكان خوف شديد في دمشق . اما ابن شداد الذي كان عارياً من صفات البطولة والحرب فلم يكن آخر من هرب الى مصر.

وكان ابن شداد ، قبل هذه الحوادث كلها ، قد كتب مؤلفاً في « اخبار الدولتين »[2]. ولا ريب بان هذا المؤلف هو عن الدولتين الخوارزمية والايوبية . ولكن لحد الآن لم يزل مفقوداً .

ب – في مصر

ان مكوث ابن شداد بعيداً عن وطنه لم يكن مراً عليه . قال الذهبي، وبعده الصفدي : « وكانت له مكانة عند الملك الظاهر بيبرس ، والملك المنصور قلاوون ، وحرمته وافرة ، وله توصل ومداخلات وعنده بشر كثير . »[3] وقال النويري : « كان معظماً عند الامراء الكبار ، ومحبوباً اليهم ، ولازمَ

١) انظر M. Quatremère, I, 88 sq.

٢) انظر F. Amedroz, *article cité*.

٣) الذهبي وقد استشهد به Amedroz, *art. cit.* — واطلب الصفدي : الوافي بالوفيات Vienne, Ak. Palatine N. F. 234 ab = Catalogue 1163 a, fol. 123.

الصاحب بهاء الدين مدة حياته[١] وكان الامراء والكبار يحملون اليـه في كل سنة دراهم وغلة وكسوة وغير ذلك... »[٢] ورغم الحروب التي اقامهـا بيبرس في سورية لم نجد ابن شداد يغامر معه في جميع المجمات، لانه كتب عن فتح انطاكية آخذًا المصادر عن بيبرس نفسه (٦٦٦) لكننا نراه في حصار عكار التي استسلمت اليه في اليوم التاسع والعشرين من رمضان (٦٦٩)[٣].

وبعد هذه الحوادث ابتدأ بتأليف كتابه « الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة » وهو في ثلاثة اجزاء ظهر الاول منهـا سنة ٦٧٣ وموضوعه سورية الشمالية[٤]. والجزء الثالث عن سورية الجنوبية ظهر سنة ٦٧١[٥]. قبل الجزء الثاني الذي يعود تاريخ ظهوره الى سنة ٦٧٥ على الارجح. وقد اضاف المؤلف نفسه بعض زيادات على هامش الجزء الاول والثاني[٦].

---

١) النويري: نهاية الارب Paris, B. N. 1579, fol. 56 — ترجم M. Quatremère هذه النبذة *Histoire des Sultans Mamluks*, II, 83 . ولا نعلم لمَ قرأ « بدر الدين » بدل « بهاء الدين »

٢) تاريخ الدول لابن الفرات Vienne A. F. 117-125 (= Cat. 814) 27v. توفي علي بن محمد بن سليم ابو الحسن بهاء الدين بن حِنّى في اليوم الاخير من ذي القعدة ٦٧٧ (Quatremère, I, 167). ويوجد في كتاب الصفدي معلومات وافرة عنه *British Museum*, Or 6587, fol. 165.

٣) Sobernheim, *Matériaux pour un CIA*, ds les *Mémoires de l'Institut Français d'Archéologie du Caire*, 1909, pp. 6 sq.

٤) اننا نجد في اخبار مدينة اعزاز (ڤاتيكان ٧٣٠، صفحة ١٥٠ قفا) ما يأتي: « ثم كانت في يد مولانا الملك الظاهر الى عصرنا وهو سنة ٦٧٣ »

٥) Rieu, *Cat. Cod. Orient. Musei Britannici*, n° 1324

٦) هذه المعلومات توجد على هامش المخطوط الڤاتيكاني ٧٣٠ في صفحة ٦٧ قفا؛ ٢٢٢ قفا. اطلب هامش الجزء الثالث في Rieu, 1324

ومن الراجح انه كان بعض الهوامش في الجزء الثاني (تاريخ الجزيرة) فادخلها احد النسّاخ في المتن نفسه كما فعل، مثلًا، ناسخ مخطوط Rieu 1323 ،*Brit. Mus.*، وهو ينقل مخطوط الڤاتيكان. ومن هذا العمل حدث الخلط في تواريخ هذا المخطوط (*Br. Mus.* 1323) ومخطوط تاريخ الجزيرة. راجع: Ahlwardt, *Handschriften Verzeichnisse* (Berlin) n° 9800

وألف ابن شداد بعد الاعلاق كتاباً في سيرة بيبرس[١]. وحسب رأي السيد F. Amedroz، كتب ابن شداد ذيلاً للتاريخ الكامل لابن الاثير، ولكننا لا نعتقد بان هذا الذيل منفرد عن الاعلاق لان ابن شداد نفسه يقول عن تأليفه هذا انه ذيل لابن الاثير[٢].

وفي السنة ٦٧٦ نرى ابن شداد في دمشق «وكيلاً» للملك السعيد بركة خان في مأتم الملك الظاهر بيبرس الذي كان قد أسس المدرسة الظاهرية الشهيرة التي لم تزل الى يومنا هذا[٣].

وبعد حياة محفوفة بالثراء والاحترام مات ابن شداد يوم الاربعاء في ١٧ صفر ٦٨٤ (نيسان ١٢٨٥) ودفن في لحف جبل المقطم بالقاهرة.

ج — وصف «الاعلاق»

يقسم كتاب «الاعلاق» الى ثلاثة اجزاء: الجزء الاول في ذكر الشام الشمالية، والجزء الثاني في ذكر الجزيرة، والجزء الثالث في ذكر الشام الجنوبية[٤]. ويعطي المؤلف نبذة تاريخية عن كل بلدة مهمة حسب ترتيب المقاطعات. وها اننا ننشر فهرسه في ما يلي، مشيرين الى ان الاعداد الموضوعة بين معكفين تبين صفحات المخطوط الفاتيكاني الواقع تحت رقم ٧٣٠ (في ذكر الشام الشمالية) وهو لم يصفه احد حتى الآن وصفاً دقيقاً.

الجزء الاول

ينقسم الى ثلاثة اقسام

المقدمة [١] والفهرس [٦ قفا]

القسم الاول

يشتمل على ١٧ باباً في ذكر حلب

١: في ذكر موضعها من المعمور [٨ قفا]

---

١) E. Blochet, *Histoire de l'Egypte* (Trad. de Makrizi), Paris, 1908, p. 26

٢) Ahlwardt, 9800 ٣) M. Quatremère, II, 163

٤) اننا نضع هذا التقسيم مختلفاً عن تقسيم M. Sobernheim لان المخطوط يدعو «تاريخ الجزيرة» الجزء الثاني، و«تاريخ الشام الجنوبية» الجزء الثالث.

٢ : في ذكر الطالع الذي بُنيت فيه ومن بناها [٩]
٣ : في ذكر تسميتها واشتقاقها [١٢ قفا]
٤ : في ذكر صفة عمارتها [١٣ قفا]
٥ : في ذكر عدد ابوابها [١٥ قفا]
٦ : في ذكر بناء قلعتها والقصور القديمة [١٨ قفا]
٧ : في ذكر ما ورد في فضلها [٢٣]
٨ : في ذكر مسجدها الجامع والجوامع التي بظاهرها وضواحيها [٢٣ قفا]
٩ : في ذكر المزارات التي بباطنها وظاهرها [٣٢ قفا]
١٠ : في ذكر المساجد التي بباطن حلب وظاهرها [٤٧]
١١ : في ذكر الخانقاهات والرُبط [٥٩ قفا]
١٢ : في ذكر مدارسها [٦٢]
١٣ : في ذكر ما بحلب وضواحيها من الطلسمات والخواصّ [٨٩ قفا]
١٤ : في ذكر حمّامات حلب [٩٥]
١٥ : في ذكر نهرها واقنيتها [٩٩]
١٦ : في ذكر ارتفاع قصبتها [١٠٨ قفا]
١٧ : في ذكر ما مُدحَت به نظماً ونثراً [١١٠]

القسم الثاني

يشتمل على ٧ ابواب في ذكر جند قِنَّسرين وبلاد العواصم والثغور وبلاد حمص

١ : في تحديد بلاد جند قِنَّسرين وصفاتها : بالِسْ [١٢٨] – صِفّين [١٣٢ قفا] – الرصافة [١٣٣ قفا] – خُناصِرة [١٣٥] – حيار بني القعقاع [١٣٥ قفا] – قِنّسرين – حاضر قنسرين [١٣٦ قفا] – سَرمين [١٣٨ قفا] – مَعَرّة مصرين [١٣٨ قفا] – حارِم [١٣٩ قفا]– عَزَازَ [١٤٥ قفا] – الراوندان [١٥١] – الرَصَاص [١٥٢] – تلّ باشر [١٥٣] – عين تاب [١٥٦] – المَرزَبان وخُرُوص والزوب [١٥٧] – بَجَسْنَة [١٥٧ قفا] – الباب وبُزَاعا [١٥٩] – الشُغر وبكاس [١٦٢]

٢ : في تحديد بلاد الثغور : المُصَيصة [١٦٤] – آذنة [١٦٥ قفا] – طرسوس [١٦٦] – الهارونية – الكنيسة السَّودا [١٦٨] – ومن الثغور الشامية على ساحل البحر : حصن اولاس . والاسكندَرونة . ورياس . واياس [١٦٨ قفا] والتينات . والمثقب . وسيسية [١٦٩] – ذكر الثغور الجزيرية : مرعش [١٦٩ قفا] – والحَدَث [١٧٠ قفا] – زَبَطرَة [١٧٢] – حصن منصور [١٧٢] – ملطية [١٧٢ قفا] – سُمَيسَة [١٧٤ قفا] – مختصر في ذكر الوقائع في الثغور منذ السنة ٢٢ للهجرة [١٧٧]

٣ : في ذكر العواصم وحصونها (١ : انطاكية [٢٢٨] – بغراس [٢٣٣ قفا] – درب ساك [٢٣٥ قفا] – بوقا [٢٣٧] – تيزين [٢٣٧ قفا] – رعبان [٢٣٩] – دلوك [٢٤٠] – قورس [٢٤١ قفا] – كيسوم [٢٤١ قفا] – منبج [٢٤٢ قفا] – قلعة النجم [٢٦٣]

٤ : في ذكر بلاد جند حمص (٢

٥ : في ذكر ما في مجموع هذه البلاد من الانهار (٢

٦ : في ذكر ما فيها من البحيرات (٢

٧ : في ذكر ما فيها من الجبال (٢

القسم الثالث في ذكر امراء حلب (٢)

الجزء الثاني في تاريخ الجزيرة

ينقسم الى ثلاثة اقسام (٣)

١ – في ذكر ديار مضر وقصبتها – حرّان – الرّقة – الرُها – سَروج – قلعة جَعبَر – البيرة.

٢ – في ذكر ديار ربيعة : نصيبين – دارا – راس العين – قَرقيسيا – سنجار – جزيرة ابن عمر – (الموصل : ينقص).

٣ – في ذكر ديار بَكر : آمد – ميافارقين – حصن كيفا – ارزَن – ماردين.

الجزء الثالث

ينقسم ايضاً الى ثلاثة اقسام (٤)

القسم الاول

يشتمل على ١٠ ابواب في ذكر دمشق

١ : في ذكر دمشق واشتقاق اسمها.

٢ : في ذكر من بناها وعدد ابوابها وقلعتها.

---

١) الصفحات في تاريخ العواصم غير مرتبة في مخطوط الفاتيكان ، فبعد الصفحة ٢٢٦ اطلب الصفحات ٢٤٩–٢٦١، وارجع من الصفحة ٢٣٠ الى ٢٤٨ ، واطلب اخيرًا ٢٦٣–٢٦٤

٢) ينقص

٣) راجع وصفه المطوّل في Ahlwardt, 9800

٤) له وصف دقيق في Rieu (*Cat. Mus. Brit.*, 1324)

٣ : في ذكر الجامع المعمور.
٤ : في ذكر مساجد دمشق وعدتها.
٥ : في ذكر مزاراتها.
٦ : في ذكر الخوانق والرُبط.
٧ : في ذكر المدارس بدمشق وظاهرها.
٨ : في ذكر ما بدمشق وظاهرها من الكنائس والاديار.
٩ : في ذكر الحمامات بباطن دمشق وظاهرها.
١٠ : في ذكر فضلها وما مُدحت به نثرًا ونظمًا.

القسم الثاني

في ذكر ما هو خارج منها (دمشق) ومضاف اليها

١ : في ذكر انهارها وقنواتها.
٢ : في ذكر جبالها.
٣ : في ذكر ما اشتمل عليه جندها من البلاد : صَرْخَد . بُصرى . كورة البثنية (الباطنية). كورة الجبال. الكرك والشوبك. كورة الشارة. ارض البقا. قلعة الصلت. قلعة عجلون — ومن البلاد الساحلية : عرقة. جُبيل. صيدا. بيروت. اطرابلس — ومما كان في يد الفرنج من حصون جند دمشق الجبلية : حصن ابن عكار. حصن الاكراد.
٤ : في ذكر بلاد جند الاردن ومن مالكها : طبرية. بيسان. بانياس. ذكر حصون هذا الجند : صفد. هونين وتبنين. شقيف ارنون. شقيف تَبرون. كوكب. قلعة الطور — ذكر ما في جند الاردن من البلاد الساحلية : صور. عكا. حيفا
٥ : في ذكر بلاد جند فلسطين : القدس. مدينة الخليل. نابلس. قيسارية. ارسوف. يافا. عسقلان. غزَّة.
٦ : ذكر ما في مجموع بلاد الاجناد الثلاثة من المزارات.

القسم الثالث في ذكر امراء دمشق[1]

٢° مخطوطات الاعلاق

لقد اثبتنا المخطوطات حسب ترتيب الاجزاء الثلاثة من الكتاب. والآن نعطي لكل جزء ما وجده M. Sobernheim من المخطوطات، وبعد ذلك نذكر ما وجدناه بنفسنا.

١) ينقص. واذا صدقنا مخطوط لندرة (Rieu 1324) يُمكننا ان نقول بان هذا القسم ما وُجِد قط، فقد قيل فيه : وهم ملوك مشهورون ... يحفظهم كل من له اطّلاع على التاريخ، فلذلك اخلّ بهذا القسم لانهُ قليل الجدوى.

مخطوطات الجزء الاول (في ذكر الشام الشمالية)

١ — Sobernheim: المتحف البريطاني Add. ٢٣٣٣٤ (= Rieu ١٣٢٣)
— لننغراد: المتحف الاسيوي رقم ٥٢٣ (= v. Rosen n° ١٦٢)
٢ — والآن نضيف الى هذه المخطوطات المخطوطات التالية .

ا : الڤاتيكان : عربي ٧٣٠.

العنوان : عنوان الكتاب الحالي مزوّر بانتسابه الى الياقوتي (انظر الرسم ١) اما العنوان الصحيح فهو « الجزء الاول من كتاب الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة » . تأليف الفقير لله الخ ...

التاريخ : بعد مرور ثلاثين سنة على تأليف الكتاب نجد هذه النسخة بيد احمد بن سليمان الاسعردي (؟) وذلك في اواسط ذي الحجة ٧٠٧ (انظر الرسمين ١و٢). وكان الكتاب قبلًا لعبدالله بن الافرم الذي لاجله كتبت هذه النسخة[1]. وهذا ما يجعلنا نقول انها كتبت في ايام المؤلف كما تُنبئنا حاشية في آخر صفحة من الكتاب جاء فيها « خط المؤلف » . وهناك صفحة اخرى كُتبت بخط احدَ من الخطّ الذي كُتب به الكتاب كله . ولقد كان من الممكن ان تحتوي الصفحة القديمة على اشارة تنسب الكتاب الى المؤلف . وفضلًا عن ذلك فهناك بيّنات تجعلنا نرجع هذه النسخة الى ايام المؤلف . هي الفسحات المتروكة بيضاء في النسخة[2] ما خلا الحواشي في اطراف الكتاب ، التي يعود تاريخها الى سنة ٦٧٩[3]. فلا يفهم كيف ان ناقلًا نقل الكتاب بعد سنة ٦٧٩ وترك في الاطراف تلك الاخبار من سنة ٦٧٥—٦٧٩ . واذًا فان هذه الدلائل (البياض والحواشي) تظهر ممكنة اذا اتخذنا سنة ٦٧٣ كتاريخ نسخة الڤاتيكان ؛ ومعروف ان

---

١) ان عائلة الافرم كانت في ذاك العهد ذات شهرة في مصر : Quatremère, I, 172 ; II, 18, 121

٢) انظر مخطوط الڤاتيكان : ٦٣ قفا — ٦٥ قفا — ٦٩ ق — ٧١—٧٢—٧٥ ق — ٧٦—٨٠—٨٣ ق — ١٣٤ ق — ١٣٦—١٣٨—١٦٣ ق — ٢٣٣—٢٥٧

٣) راجع الصفحة ١٦٦ من هذا المقال ، الحاشية ٦

الكاتب يترك بياضاً عندما ينقصه مصادر أو مذكرات، وامر طبيعي انه يكتب الحواشي بعد سنة ٦٧٣ على اطراف الكتاب.

فهـذا التاريخ (٦٧٣) يثبت بالمقابلة بين مخطوط الثاتيكان ٧٤٠ (انظر الرسم ٢) ومخطوط المتحف البريطـاني Add ٢٣٣٣٥ (= Rieu ١٣٢٤) (انظر الرسم ٣) وقـد ارّخه Rieu بالسنة ٦٧٤، وهو الجزء الثالث من الاعلاق. ومنه يظهر ان اليد التي كتبته هي نفسها التي كتبت مخطوط الثاتيكان. فالمشابهات كثيرة بين المخطوطتين: منهـا المظهر المادي: خمسة عشر سطراً تأخذ في الصفحة مساحة مكتوبة ١٨×١٣، استعمال المهملة الدائم على الحروف الغير المنقطـة، وصل الضمة بالفتحة، كتابة الكاف الخ . . . فهذه كلها بيّنات جلية تعطي برهاناً قاطعاً عليّ ان المخطوطين من يد واحدة، وتحملنا على ان نعزو المخطوط الثاتيكاني الى الوقت نفسه اي الى ٦٧٣.

ب: المتحف البريطاني رقم ٢٨٢ قطع ٤٧–٥٥

يحتوي على القسم الذي ينقص من مقدمة مخطوط الثاتيكان.

ج: حلب: المكتبة الخصوصية للشيخ ناجي الكردي.

هذا المخطوط يحتوي على الفصل الذي يتكلم عن تاريخ امراء حلب بعد فصل الثغور الذي لا يوجد في اي مخطوط آخر[1].

د: استنبول: آيا صوفيا رقم ٢٠٨٤

ولكن، لسوء الحظ، لا يدلّنا برنامج هذا المتحف على شيء له علاقة «بالاعلاق»[2]. على اننا نعرف ان برنامج آيا صوفيا غير منظم.

مخطوطات الجزء الثاني

١ — Sobernheim: بيروت: المكتبة الشرقية رقم ١٩٠[3]؛ برلين

---

١) اطلب اعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء لمحمد راغب الطباخ، حلب، ١٣٤٢ (١٩٢٣) مجلد ١: ٥٢

٢) حبيب زيات: الدرّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب (المشرق ٣٢ [١٩٣٤] ٥٠٤)

٣) ليس هذا المخطوط سوى النسخة التي نقلها رزق الله حسون سنة ١٨٧٦ عن نسخة

المكتبة الملكية ٩٨٠٠

٢ – وبامكاننا ان نضيف المخطوط الآتي : اكسفورد المكتبة البودليانة Marsh ٣٣٣

٣ – دمشق : المكتبة الظاهرية[٤]

مخطوطات الجزء الثالث

Sobernheim : المتحف البريطاني Add. ٢٣٣٣٤ (= Rieu ١٣٢٤)

ليدن : المكتبة الاكدمية رقم ١٤٤٦ (= de Goeje 800)

٣ مآخذ ابن شداد لتاريخ العواصم

ان ابن شداد يوضح جلياً بانه اتخذ مصادر لتأليفه أشهر كتب المؤرخين ذوي الصدق والاستقامة ، ومع هذا فان تأليفه لا يخلو من معلومات جديدة خصوصاً من بعد السنة ٦٣٠ حيث كان شاهد عيان على امور كثيرة . ومآخذه نفسها جليلة الفائدة لكونها مقتطفة من كتب لم يبقَ لنا من بعضها سوى الاسماء . واننا نقسم مآخذه الى تاريخية وجغرافية :

المآخذ التاريخية

ا – الاسلامية

١ : الهيثم بن عدي (بركلمن ١ : ١٤٠ – الحاج خليفة ٣٤٢٦) وقد استشهد به دون ان يذكر اسم المؤلف ، وهذا حسب احمد بن محمد بن اسحق

كتبها سليمان الرازي الايوبي في ٢٥ رجب سنة ٧٨٩هـ. واما هذه النسخة فقد ضاعت (Cheikho, MFOB, VI (1913), n. 130.) وقريب من الصواب ان نسخة اكسفورد (Marsh 333, Amedroz, art. cité) تشبه تلك النسخة التي كانت بيد رزق الله حسون لانها كتبت ايضاً في رجب ٧٨٩ كتبها سليمان بن رازي بن محمد الايواني ، واختلط بين الايوبي والايواني لأمر سهل .

٤) انظر خطط الشام لمحمد كرد علي ، دمشق ١٩٢٥ ، ١ : ١٢ ، وهو لا يذكر شيئاً مفصلاً عن هذا المخطوط .

الهمذاني في كتاب غير معروف معنون بكتاب « بناء المدن »[1] (بركلمن ١ : ٢٢٧) .

٢ : احمد بن يحيى بن جابر البلاذري (بركلمن ١ : ١٤١) قد استند اليه ابن شداد مرات عديدة مثلاً : في ذكر انطاكية . بغراس . بوقا . دلوق . قورس (حصن سلمان) . منبج . وقد اجتهد في التفتيش عن ذكر درب ساك في الفتوح الكنه لم يجد.[2] ويجب القول ان طبعة de Goeje للبلاذري مختلفة عن مأخذ ابن شداد في بعض التفاصيل .

٣ : ابو الفرج حمزة الاصفهاني (بركلمن ١ : ١٤٥) وقد استشهد بتأليفه تحت عنوان كتاب « تواريخ الامم » بمناسبة بناء مدينة في المدائن حيث أبعد كسرى الاول اهل انطاكية في سنة ٥٤٠ .[3]

٤ : أسامة بن منقذ (بركلن ١ : ٣١٩) قد استشهد به بمناسبة أسر نور الدين ليموند الثالث ، وهذا مأخوذ من تاريخ القلاع والحصن الذي لا نعرف منه سوى الاسم[4] .

٥ : ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن الاثير (بركلمن ١ : ٣٤٥) قد استشهد به مرة واحدة بمناسبة عقد معاهدة بين اهل انطاكية وابي عبيدة[5] .

---

١) C. Brockelmann, *Geschichte der ar. Literatur*, II vol., Weimar, 1898
Lexicon a Mustafa... Hâjjâ Khalfa com- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون *positum*, ed. G. Fluegel, VII vol, Leipzig 1835-1858

٢) *Liber Expugnationis Regionum*, ed. J. de Goeje, Leiden, 1879. Comparer: F. Justus Heer, *Die hist u. geogr. Quellen in Jacut's geographischen Woerterbuch*, Strasburg, 1898, pp. 45. sq.

٣) *Hamzæ Ispahensis annalium libri X.* ed. J. M. E. Gottwaldt, Petrop.- Lipsiæ, 1844-1848

٤) H. Derenbourg, *Ousama b. Monkid*, Paris, 1893, p. 619

٥) *Ibn al Athiri chronicon, quod perfectissimum inscribitur*, ed. C. J. Tornberg XIV vol., Lugd. Batav., 1851-1876

٦ : يحيى بن حميدة بن ابي طيّ (كشف الظنون ١١٤٢) يذكره مرتين متواليتين : الاولى بمناسبة موقعة حطين ، والثانية بمناسبة عداوة لاون الثاني الارمني ملك سيس لانطاكية . وتأليف ابن طي لم يزل مفقوداً[١].

٧ : بهاء الدين ابو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن شداد (بركلمن ١ : ٣١٦) وقد خُلط بينه وبين عز الدين بن شداد صاحب الاعلاق مرات عديدة، وذلك من بعد صاحب كشف الظنون (١ : ٣٦٠) فالاستشهاد هنا يأتينا بمناسبة حصار صلاح الدين لبغراس ، وهذا المأخذ ذو معايب كثيرة[٢].

٨ : كمال الدين ابو القاسم عمر بن احمد المعروف بابن العديم (بركلمن ١ : ٣٣٢) كان كابن شداد يشغل مقاماً سياسياً عند الملك الناصر يوسف ، وقد اخبرنا كتاب السلوك بانه انتدب لامر سياسي في القاهرة على اثر فشل ابن شداد في بعثته الى ميافارقين . استعان ابن شداد بتأليف كمال الدين « زبدة الحلب في تاريخ حلب »[٣] ، ولم يذكره سوى ثلاث مرات رغم مآخذه الوافرة عنه . فتراه يتخذه حينما يتكلم عن فضل انطاكية ، والثغور ، وعلاقات لاون الثاني ملك سيس والملك الظاهر ، صاحب حلب ، واخيراً بمناسبة بناء منبج . وكثيراً ما نراه ينقل هذه المعلومات حرفياً دون ان يذكر كتاب الزبدة الذي هو مصدرها وهي :

ا : عبدالملك في منبج وتلاقيه مع هرون الرشيد (Freytag, *Selecta*, 14.)

ب : فتح الروم لانطاكيــة في ١٣ من ذي الحجة ٣٥٨ (*Leo Diac.* (Bonn), p. 389)

---

١) *Recueil des Historiens Orientaux des Croisades*, I. p. L.

٢) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية *Recueil des Hist.. Orientaux*, III

٣) اننا لا نملك نشرات كاملة من زبــدة الحلب لكمال الدين ؛ فلننظر التآليف الآتية : G. W. Freytag, *Regnum Sahedi al Daulæ in oppido Halebo*, Bonn, 1820. - Du même : *Selecta ex historia Halebi*, Paris, 1819. - M. Canard, *Recueil de textes relatifs à l'histoire de Saif Dawla*, in *Bibl. Arab.*, Alger ,1934. - *Hist. Orientaux des Croisades*, III. - Blochet, *Revue de l'Orient latin*, 1895-1898.

ت : فتح الفرنجة انطاكية (.Hist. Orient. des Croisades, III, 580 sq)

ث : موقعة دامية بين جوسلين ونور الدين بلك (.ibid, 641 sq)

ج : موت ريموند الانطاكي وزواج كونستنسيا الثاني ,R. O. L., 1895)
p. 521.)

ح : ثورة سُجناء الفرنج في درب ساك (R. O. L., 1896, p. 213)

وهنا عكننا القول بان كمال الدين نقل بنفسه وحرفيًا ، دون ان يلمح الى المؤلف،اخبار ابن طي عن موقعة حطين ، واخبار بهاء الدين بن شداد عن حصار صلاح الدين لبغراس .

ب – المسيحية

١ : سعيد بن البطريق ، بمناسبة تأسيس انطيوخوس انطاكية[1].

٢ : يحيى بن جرير التكريتي (كشف الظنون ٦٨٩١) . وهذا ايضاً[3] بمناسبة تأسيس انطاكية[2].

٣ : محبوب بن قسطنطين ، بمناسبة افتتاح انطاكية على عهد هرقانوس اليهودي ، وبمناسبة تأسيس منبج[3].

المآخذ الجغرافية

١ : احمد بن جعفر بن واضح بن ابي يعقوب (بركلمن ١ : ٢٢٦) قد استشهد به مرارًا بمناسبة فتح المسلمين انطاكية ودلوق وكيسوم ومنبج . وان معلومات ابن يعقوب قد ضاعت . واما de Goeje فقد نشر اخبار دلوق وكيسوم ومنبج عن ابن الشحنة الذي يلتصق بابن شداد[4].

٢ : ابو زيد بن احمد بن سهل البلخي (بركلمن ١ : ٢٢٩) الذي كتب سنة ٣٠٩ تأليفاً كان له رواج عظيم . وكتابه « صور الاقاليم » قد عاد وكتبه

---

١) ed. Cheikho, in CSCO (Ar. 3-6), 1906

٢) Justus Heer, *op. cit.*, p. 18

٣) ed. A. A. Vasilief in *Patrologia Orientalis* (Graffin-Nau), V sqq.

٤) ed. de Goeje in *BGA*, VII (1892), pp. 231 sq.

الاصطخري سنة ٣٤٠ على التقريب تحت عنوان « مسالك الممالك » ثم ابن حوقل سنة ٣٦٧ ، وهذا ايضاً على التقريب تحت عنوان محرّف قليلاً وهو : « المسالك والممالك » ، ولا بد لابن شداد من ان يكون قد وضع بين يديه تأليف البلخي حين تكلم عن بغراس ومنبج[1] .

٣ : يحيى بن علي بن محمد التَّنوخي المقري (كشف الظنون ١٣٤١٩) وهذا بمناسبة قتل ابق الذي قتله رضوان بن تُتُش[2] .

٤ : احمد بن محمد بن اسحق الهمذاني المعروف بابن الفقيه (بركلمن ١ : ٢٢٧) بمناسبة افتتاح كسرى انطاكية[3] .

مآخذ مختلفة

١ : ابو عمرو القاسم بن ابي داود الطرسوسي . وهو من الشعراء الذين تبلغ شهرتهم اكثر من حدود منطقتهم . ونرى ابن شداد يستشهد بقصيدة من شعره ركيكة في انطاكية .

٢ : ابو فراس الحمداني (بركلمن ١ : ٨٩) قد استشهد به على رَعبان ومنبج[4] .

٣ : ابو الحسن المختار بن حسن بن بطلان (بركلمن ١ : ٤٨٣) نرى ملخّصات من كتابه الى انطاكية عند جميع جغرافيي العرب (قابل بياقوت : معجم البلدان ١ : ٣٨٢)[5] .

---

١) de Goeje, *Die Iṣṭaḫri Frage*, in *ZDMG*, XXV, p. 42. — *Iṣṭaḫri* est édité dans *BGA*, I, et Ibn Ḥawqal dans *BGA*, II.

٢) انظر كتاب معجم البلدان لياقوت = ed. F. Wüstenfeld III, 532 - في مخطوط الفاتيكان قد بحث ... المقري بالمين (المري) (٣٤٦ قنا)

٣) *BGA*, V, 115

٤) ديوان ابي فراس الحمداني – نخلة قلفاط – بيروت ١٩١٠

٥) ed. J. Lippert, dans Ibn-Ḳifṭī, *Tārīḫ-Ḥukamā*, Leipzig, 1903, pp. 289 sq.

٤ : عبد الرحيم احمد بن محمد القاضي الفاضل (بركلمن ١ : ٣١٦) بمناسبة قلعة النجم ·

٥ : ابو حسن محمد بن احمد بن جبير (بركلمن ١ : ٤٧٨) بمناسبة منبج[١]

ورب سائل يسأل هل عرف ابن شداد معجم ياقوت ؟ فنجيب بانه بعيد عن المعقول ان يكون مؤلَّف كهذا قد خفي على ابن شداد ، بعد ما ذكر أنه اغنى كتابه بأثمن المصادر · ولكن ابن شداد لم يذكر المعجم قط واخباره مستقلة عن اخبار المعجم الّا احينا يتكلم عن انطاكية[٢] · وهنا نرى بعض هذه المعلومات تتشابه حرفيًا هي والمذكورة في معجم ياقوت ، على كونها اوسع · من ذلك ما يلي :

١ : الشواهد المنقولة عن هيثم بن عدي ·

٢ : في ذكر اول سكان انطاكية ·

٣ : رسالة ابن بطلان وهي اخصر في الاعلاق منها في المعجم ·

٤ : مرور هرون الرشيد في انطاكية ·

٥ : مآخذ يحيى بن جرير التكريتي عن انطيوخوس ·

وغيرها من المتشابهات التي تدفعنا الى القول ان ابن شداد عرف معجم ياقوت ، او انه توصّل الى مآخذ استغلّها ياقوت في كتابه ·

---

١) *G. M. S.*, vol. V.

٢) كتاب معجم البلدان تأليف الشيخ الامام شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت edidit F. Wüstenfeld, Leipzig, 1866-1870

من كتاب الاعلاق الخطيرة

لعزّ الدين بن شدّاد

في ذكر العواصم وحصونها[١]

[V. 228] [B. 84 v]

وسُمّيت عواصم لان اهل الثغور كانوا يعتصمون بها اذا جزّبهم امر من العدو وكانت والثغور مضافة لجند قنسرين فلما ولي الرشيد افرد انطاكية وتيزين ودلوك ورعبان ومنبج وقورس وصيّرها جندًا وسمّاها العواصم.

ذكر انطاكية

وهيَ في الاقليم الرابع وبعدها من خط الاستوا ست وثلثون درجة وقيل خمس وبعدها من خط المغرب اثنان وستون درجة[٢] مدينة قديمة ليس في ارض الاسلام ولا في ارض الروم مثلها . لها سور من حجر دوره اثنا عشر ميلًا[٣]

١) أخذت هذه اللمحة عن مخطوط في الڤاتيكان رقم ٧٣٠ [V] وهذا المخطوط هو النسخة الاصلية للاعلاق . اما نسخة المتحف البريطاني Rieu 1323 = add 23334 [B] فلا تختلف عن الڤاتيكانية سوى باهمالات وتحريفات كثيرة . واني اعطي الفروق الاكثر اهمية . ولم اتمكن من مطالعة المخطوطات الاخرى التي تختص بهذا القسم للصعوبات التي منعتني عن الوصول اليها . ومن الممكن ان بين هذه المخطوطات التي لم اطالعها تكون النسخة الثانية للاعلاق التي قدمت لبيبرس (اما اول نسخة اي الڤاتيكانية فقد قُدّمت لعبد الله بن الاثرم كما نوهنا قبلًا) وقد تحتوي على فروق مهمة . واني لشاكر لحضرات القراء الذين يتكرمون عليَّ بهديهم اياي الى كل ما يختص بهذا الموضوع . وقد يكون مفيدًا ان تعارض هذه اللمحة من ابن شداد مع الدرّ المنتخب لابن الشحنة (عني بنشره يوسف اليان سركيس بيروت ١٩٠٩ ص ٢٢٠ – ٢٠١)

٢) ابو الفداء في تقويم البلدان (ed. Reinaud - de Slane, p. 256) يعطي حسب القياس ٦٠ درجة ١٥ و٣٥ درجة ٥٠

٣) ٢٣ كيلومتر ١١ – اطلب J. A. Decourdemanche, *Traité Pratique des poids et mesures*, p. 88

وبُقعتها في لحف جبل مطلّ عليها من شرقيها وهذا السور يدور بسهلها ثم يطلع الى نصف الجبل ثم الى اعلاه ينزل حتى يستدير [V. 228 v.] عليها من السهل ايضاً وفي داخل السور عراص ومزارع واجنة ومياه تتخرق من عيون الجبل مقناة الى البلد والاسواق والمنازل كما يتخرق في دمشق وابنيتها كلها بالحجر وبظاهرها نهر يُسمّى الارنط والمقلوب وسُمّي بذلك لانه يجري من الجنوب الى الشمال عليه العمارات والضياع والبساتين وقد تقدم لنا ذكره بما لا فايدة في اعادته هنا

وبها كنيسة القسيان وهي كنيسة جليلة عظيمة البناء والقدر عند النصارى[١] وهم يزعمون ان بها كفّ [كذا] يحيى بن زكريا والروم يسمونها مدينة الله ومدينة الملك وامّ المدن لانها اوّل [B. 85] بلد ظهرت فيه النصرانية وبها كرسي باطره وهو المقدّم على التلاميذ وهو شمعون[a] وقيل: هو الذي ابتدأ ببنيان كنيسة القسيان. وفي بعض كتب تواريخ الروم قال: وملك اقلودس ثلثة عشرة سنة وتسعة اشهر وسُمي المؤمنون بالمسيح يعني في ايامه بانطاكية نصارى ومنها كان ابتداء النسبة وانتشر هذا الاسم في سائر البلاد. وذكر فيه [V. 229] ايضاً ان يوسطنيانوس[b][١] ملك تسعة وثلثون سنة[٢] وفي السنة الثالثة من ملكه خُسف بانطاكية وابصر رجل قدّيس في نومه قائلاً يقول له يُكتب على ابواب المدينة الله معنا فمن ذلك اليوم سُمّيت مدينة الله

واهل التفاسير للقرآن العزيز مجمعون على انها المذكورة في قوله تعالى في قصّة الجدار: حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها ثم قال في اخر القصّة:

a) B. سمعول   b) V. بوسطنيانوس — B. بوساطيابوس

١) يوجد الان في انطاكية،قرب جامع حبيب النجار،مزار الشيخ شمعون،مار شمعون المنير [Maii Act. SS., V, 409, 414, 416.]. وقد وجدوا تحت الجامع المذكور آثار كنيسة بيزنطية . وهناك يكرّم المسلمون قبر يوحنا المعمدان (ابو يوحنا) . ومن زمن مديد قيل بان كنيسة القسيان لا يمكن وجودها في قلعة انطاكية [H. Or., I, 195]

٢) ملك يوستنيانوس من سنة ٥٢٧ — ٥٦٥ وجدّد بناء انطاكية التي هدمها الفرس والزلازل ودعاها مدينة الله . اطلب: Procope, de Ædificiis, II, 10 ed. Bonn, III, 237 sq.; Theophanis Chronographia, ed. C. de Boor, Lipsiæ, 1883, I, 177-178

وامّا الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة . وفي قوله : اضرب لهم مثلاً اصحاب القرية . ثم قال في اخر القصة : وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى . فسماها في كلا الاثنين قرية ومدينة[1]

وحكى احمد بن محمد بن اسحق الهمذاني الفقيه في كتاب البلدان له قال[a] : لمّا فتح انو شروان انطاكيـة فيما فتحه من بلاد الشام انصرف الى العراق بنى مدينة بالمدائن على مثال انطاكية باسواقها وشوارعها ودورها وسمّاها زند خسره[b] وهي التي تُسمّيها العرب الرومية وامر ان يدخل اليها سبي انطاكية فلمّا دخلوها لم ينكروا [V. 229 v] من منازلهم شيئاً فانطلق كل رجل منهم الى منزله الّا رجل اسكاف كان على باب منزله بانطاكية شجرة فرصاد فلم يرها على بابه[c] فتحير ساعة ثم دخل[d] الدار فوجد مثل داره . [2] ويُقال في تسمية هذه المدينة باذبجان خسره وتفسيره خير من انطاكية . وذكر حمزه الاصفهاني في كتاب تواريخ الامم : يسري انو شروان بن قباذ وبنى عدة مدن منها مدينة دخلت في عداد مدن المدائن السبع وسماها : به اذ نديو خسره[e] ومعنى به اذ نديو خسره اي خير من انطاكية وقال : اذ نديو اسم لمدينة انطاكية وبه اسم للخير .

قال ابن بطلان في رسالة كتبها الى والده هلل بن المحاس بعد خرجة من بغداد يُخبره باحوال البلاد التي مرّ فيها في سفره وذلك في سنة اربعين واربع مائة[3] : وانطاكية بلد عظيم ذو سور وفصيل ولسوره ثلثماية وستون برجاً

---

a) BGA, V, 115 sq = لمّا فتح انوشروان قنسرين ومنبج وحلب وانطاكية وحمص ودمشق وايليا استحسن انطاكية وبناها ولمّا انصرف الى العراق الخ . . .

b) V. وند حسره   c) BGA : بابه برومية

d) B. اقتحم   e) B. V. به ارندو

١) القرآن ١٨ : ٧٦ – ٨١ ؛ ٣٦ : ١٣ – ١٩ ؛ البيضاوي ed. H. O. Fleischer I, 570 ; II, 157

٢) افتتح كسرى انطاكية في حزيران ٥٣٨

٣) ١٦ حزيران ١٠٤٨ – ٥ حزيران ١٠٤٩، انظر هذه الرسالة في ابن القفطي: تاريخ الحكماء ed. J. Lippert, p. 295 sq.

وسكك البلد كنف دائرة قطرها يتصل بجبل [B. 85 v] والسور يصعد مع الجبل الى قلته فيتمم دائرة وفي رأس الجبل داخل السور قلعة تبين [V. 249] لبعدها عن البلد صغيرة والسور المحيط بالبلد خمسة ابواب

ولها من الكور

كورة تيزين وهي ضياع جليلة القدر. وكورة الجومة وبها العيون التي تجرى الى الحُمَّة وهي كبريتية وقد ذكرناها . وكورة جندارس مدينة عجيبة البناء مبنية بالحجارة والعَمَد وكورة ارتاح وهي مدينة جليلة وكورة السُوَيدية وهي مدينة على ضفة البحر المالح وكورة الفارسية والعَرَبية وهي جليلة القدر وكورة دايا والقرشية[a] وهذه الكور كانت مُضافةً اليها[1] الى ان مَلك الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي حارم وفتح ما كان لانطاكية من البلاد التي في شرقي العاصي مما يلي حلب ولم يبق لها غير البلاد التي في غربيه مما يليها وصار العاصي حاجزًا بينها وبين بلاد المسلمين

ذكر من بناها

[V. 249 v]

يُروى عن ابرهيم الخليل عليه السلام قال : اخبرني ربّي ان اوّل مدينة وضعت على وجه الارض حرّان وهي [العموز ؟] ثم بابل ثم مدينة نينوة ثم دمشق ثم صنعآ اليمن ثم انطاكية ثم رومية. وقيل ان اوّل من سكن انطاكية وعمرها انطاكية بنت الروم بن النُعمى بن سام بن نوح وهي اخت انطالية[b] باللام . وفي كتاب يحيى بن جرير التكريتي الذى ضمّنه اوقات بناء المدن قال: بعد دولة الاسكندر وموته باثنتي عشرة سنة[2] بنى سلوقس اللادقية

---

a) بداسا والغرشيه .B

b) انطاكيه

١) انظر هذه الكوَر في R. Dussaud, *Topographie historique de la Syrie antique et médiévale*, Paris, 1927

٢) أسس سلوقيوس الاول نيقاتور (Séleucus I Nicator) انطاكية سنة ٣٠٠ قبل المسيح

وافامية وبارّوًا وهى حلب واذاسا وهى الرُها وكبّل بنآ. انطاكية وكان بناها قبله انطِغْنُوس في السنة السادسة من موت الاسكندر ثم قال : بنى انطِغْنُوس الملك على نهر اورنطس مدينة وسماها انطوغْنيا وهى التى كمل سلوقس بناهـا وزخرفها وسمّاها اسم ولده انطيوخوس وهي انطاكية [V. 250] وذكر احمد بن محمد ابن اسحق الهَمَذَاني المعروف بابن الفقيه في كتاب بنـاء المدن واخبارها : قال الهيثم ابن عدىّ : انطاكية بناها انطِيُخس الملك الثالث بعـد الاسكندر . وفي تاريخ سعيـد بن البطريق النصراني قال[a] : وملـك بَطْلَميوس[1] مُحِب امّه عشرين سنـة وفي ايامه غلب على ارض[b] الشام وارض يهوذ انطياخوس ملك الروم فاخرج اليهودَ من الشام ونالهم منه مكروه[c] وملك بعـده[d] بطليوس ويُلقَّب ايضًا الصايغ ثلاثًا وعشرين سنـة وفي ايامه بنى انطيوخوس ملك الروم انطاكية وسماهـا باسمه فَسُمّيت مدينة انطيوخوس [B. 86] وهى انطاكيـة . وقرات في تاريخ محبوب ابن قسطنطين المنبجي

a) *Eutychii patr. Alex. Annales* ed. L. Cheikho in *Corp. Script. Chr. Or.* (Script. Arab., ser. III, tom. VI), p. 86

b) om. ارض

c) add. كل شدة وعذاب

d) add. اخوه

وبناها حيّين. وسلوقيوس قلينقوس (Séleucus II Callinicos) (۲٤٦ – ۲۲٥) بنى حيًّا ثالثًا في جزيرة الارنطوس. وانطيخوس الرابع ابيفانيوس (Antiochus IV Épiphane) بنى حيًّا رابعًا على خلف جبل سليوس (اطلب .Strabon XVI, II, 4, Bibl. Teubner., 1045 sq) . اما مكان مدينة انطيغونيا فقد انتخبه انطيغونوس الاعور (Antigone le Borgne) . وقد اهمله سلوقيوس الاول . اما تاريخ بناء مدينة انطاكية المذكور هنا فغلط (السنة الثانية عشرة بعد موت الاسكندر هي ۳۰۱)

۱) بطليموس السادس فيلومتور (Ptolémée VI Philométor) (۱۸۱ – ۱۸٦) اسره انطيخوس الرابع ابيفانيوس في بِلوس (Péluse) سنة ۱۷۱ Polybe, XXVII, 17 Bibl. Teubner III, 456 ، فانتخب سكان الاسكندرية ملكًا [illegible] بطليموس السابع فيسكون اڤرجت (Physcon Évergète) ليقاوموا انطيخوس الذي نصب نفسه ملكًا على مصر . واخيرًا اتفق الاخوان وملكا معًا .Polybe, XXIX, 8, Bibl. Teubner V, 187, 188

النصراني قال[a] : وفي سنة اربع عشرة من سنى بَطلْميوس [وهي[1] من سنى اليونانين سنة مائتين وثلاثة واربعين][b] قام هرقانوس ثلاثة وثلاثين سنة رئس الكهنه وفي ذلك الزمان خرب[c] الروم انطاكيــة التي هي من بلاد ســورية واستعبدوا اليهود واخذوا منهم الخراج.

ذكر كنيسة قسيانه

[V. 250 v]

قال ابن بطلان[d] وفي وسطها بيعة القسيان وكانت دار قسيان الملك الذى احيى ولده فُطْرُس[e] رئس الحواريين عليه السلام[2] وهو هيكل طوله مائة خطوة وعرضه ثمانون وعليه كنيسة على اساطين وكان يدور[f] الهيكل اروقة يجلس عليها القُضاة للحُكومة ومعلّموا النحو واللغة وعلى ابواب هذه الكنيسة فنجان[g] للساعات يعمل ليلًا ونهارًا دائمًا اثنان عشرة ساعةً وهى من عجائب الدنيا وفي اعلاه خمس طبقات في الخامسة منها حمامات وبساتين ومقاصير حسنة يخرقها المياه وعلّة ذلك ان المآ ينزل اليهم من الجبل المطل عليهم وهناك[h] كنائس لا تُحدّ كثرةً كلها معمول بالفصّ المذهب والزجاج الملوّن والرُخام المجزع[i] ويقال ما من بناء بالحجارة ابهى من كنيسة الرُّها ولا بالخشب ابهى من كنيسة منبج ولا بالرُخام ابهى من قسيان [V. 251] انطاكية

a) Agapius de Menbij, *Kitāb al Unwān*, ed A. A. Vasilief. in *P. O.* (Graffin), XI, 122 b) Ms. سنة ثلاث وسبعين c) Agap. خربوا

d) V. Ibn al Kifṭi : *Tārīḫ al Ḥukamā.*, ed. J. Lippert. p. 296

e) Mss. قطرس f) Buṭlān دائر

g) Mss. بنجام h) Buṭ. من الكنائس ما لا يُحَدُّ كثيرة مَعمولة

i) والبلاط المنجزع

١) بطليموس الثالث عشر فيلوباتور الثاني فيلادلف Ptolémée XIII Philopator II, Philadelphe (٨١ – ٥٨) . وهنا ايضاً خلل في التاريخ : سنة ٢٤٣ لسلوقيوس توافق ٦٩ قبل المسيح . وقد جُعلت سورية مناطقة رومانية سنة ٦٦

٢) البيضاوي : تفسير H. O. Fleischer, II, 157

ذكر فضلها

قرات في تاريخ الصاحب كمال الدين بن العديم قال قرات بخط القاضي ابن ابى عمرو عثمان بن ابرهيم الطرسوسي . وذكر سندًا عن ابن عبّاس وابى سعيد الخُدْري وابى هُرَيْرة قالوا : سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول ليلة اسرى الى السماء رأيت قبّةً بيضاً لم أرى احسن منها وحولها قباب بيض كثيرة فقلت ما هذه القباب يا جبرئل قال هذه ثغور امتك . فقلت ما هذه القبة البيضا فاني ما رأيت احسن منها قال هي انطاكية وهي أمّ الثغور وفضلها على الثغور كفضل الفردوس على سائر الجنان والساكن فيها كساكن في البيت المعمور يُحشر اليها اخيار امّتك وهي سجن عالم من امّتك وهي مَعقل ورباط وعبادة يوم فيها كعبادة سنة[1] ومن مات بها من أمّتك كتب له يوم القيمة اجر المربطين . وهذا الحديث في فضلها كافٍ

ومن قصيدة لابي عمرو [V. 251 v] القسم بن ابي داوود الطرسوسي مزدوجة يذكر فيها خروجه من طرسوس سنة ثمان وثلثمائة ويصف فيها المنازل التي نزلها وذكر انطاكية وفضلها [B.86 v] [رجز]

ثم وردنا غدوةً انطاكية	واهلها من خيرها مواسية
اهل عفاف وامور عالية	اخلاقهم قدماً عليها جارية
مدينة ميمونة مذ لم تزل[a]	النصف في سهل ونصف في الجبل
البقّ لا يدخلها ويتّصل	لكن بها فارٌ عظيم كالورل
كثيرة الخيرات والثمار	وتينها القلاد في الاشجار
مثل النجوم في دُجى الاسحار	حصينة كثيرة الاثار
صاحب يس حَبيب فيها[b]	وكان عند ربّه وجيها[2]

a) cf. B. Šiḥna, 206 (Sarkis) منذ بنيت لم تزل

b) وقد سقط هذا البيت في ابن الشحنة . حبب .V

١) cf. Ps. LXXX, 11

٢) يذكر القرآن في سورة (يس) ٣٦ ارتداد المشركين في انطاكية الى التوحيد بعمل مرسلي عيسى (البيضاوي ٢ : ١٥٧)

في الخلد الثار يجتنيها اكرم به مفتخرًا بنيها

وامّا ما ذمّت به ما يُحكى ان هرون الرشيد رحمه الله[١] كان ورد انطاكية فاستطابها جدًّا وهمّ بالمقام فيها وكره ذلك اهلها فقال له شيخ منهم وصدقه عن الصورة : يا أمير المؤمنين ليست هذه من بلدانك . قال وكيف قال : [V. 252] لان الطيب الفاخر يتغيّر فيها حتى لا يُنتفع به والسلاح يصدا فيها ولو كان من قلع الهند . فتركها ورحل عنها

ذكر فتحها وما آل اليه امرها

١° انطاكية الاسلامية

قال ابن الاثير في تاريخه[a] : وسار ابو عبيده من حلب الى انطاكية[٢] وقد تحصن بها خلق كثير من قنسرين وغيرها فلمّا قاربها لقيه جمع من العدوّ فهزمهم والجأهم الى المدينة فحاصرها من جميع نواحيها انهم صالحوا على الجزية او الجلا فجلا بعض واقام بعض [فآمنهم][b] فنقضوا فوجّه اليهم ابو عُبيدة عياض بن غنم وحبيب بن مسلمة ففتحاها على الصلح الاوّل وكانت انطاكية عظيمة الذكر عند المسلمين فلمّا فُتحت كتب عُمَر الى ان رتّب بانطاكية جماعة من المسلمين واجعلهم بها مُرابطةً ولا تحبس عنهم العطآ . قال ابن ابي يعقوب : افتُتحت مدينة انطاكية صلحًا صالحهم ابو عبيدة بن الجرّاح وعندهم كتاب [V. 252 v] الصلح الى هذه الغاية . وقال البلاذري[c] عمّن حدثه من اهل الشام قالوا ونقل معاوية بن ابي [سُفيان] الى انطاكية في سنة اثنتين واربعين[٣] جماعة من الفُرس من اهل بعلبك وحمص ومن المصريّين فكان

a) كتاب الكامل في التاريخ ed. J. Tornberg, II, p. 385

b) Manque dans les Mss. du Vat. et du Brit. M.

c) كتاب فتوح البلدان ed. de Goeje, p. 148

١) اطلب معجم ياقوت ed. F. Wüstenfeld, I, 382

٢) انظر L. Caetani, *Annali dell'Islam*, III, 795 sq.

٣) سنة ٤٢ = ٢٦ نيسان ٦٦٢ – ١٥ نيسان ٦٦٣

فيهم[a] مسلم بن عبد الله بن حبيب بن النُعمن ابن مسلم الانطاكي وكان مسلم قُتِل على باب من ابواب انطاكيه يُعرَف اليوم بباب مَسلمة[b] وذلك ان الروم خرجت من الساحل فاناخت على انطاكية فكان مسلم على السور فرماه علج بجحَر فقتله . وقال البلاذرى [B. 87] : وحدثني جماعةٌ من مشايخ اهل انطاكية منهم ابن بُرد الفقيه ان[c] الوليد بن عبد الملك اقطع جندَ انطاكية ارض سلوقية عند الساحل وصَيَّر الفِلثَرَ (وهو الجريب) بدينار ومُدَّى قمح فعمروها وجرى ذلك لهم وبنى حصن سلوقية ونقل الى انطاكية قوماً من زُطّ السند ممن حمله محمد بن القسم الى الحجاج فبعث بهم الحجاج الى الشام قال وحدثني ابو حفص الشامى عن محمد بن راشد عن مَكحول قال : نقل معويه في سنة تسع واربعين او خمسين[1] الى السواحل[V. 253]قوماً من زطّ البصره والسابجة وانزل بعضهم انطاكية .

ولم تزل انطاكية مضافة الى جند قنسرين في صدر الاسلام الى ان كانت ايام الرشيد فافردها واضاف اليها كورًا وجعلها جنداً لكنّه لم يُخرجها عن الاضافة[2] واستقر الحال على هذه يتصرف فيها عُمّال بني العباس المولون على الشام الى ان اظهر احمد بن طولون العصيان[3] على ابي احمد المُوَفّق واظهر خلعه ونزل الى الشام من مصر فملك دمشق وحمص وحلب وانطاكية وخطب لنفسه فانحاز سيما الطويل الى انطاكية وكان متولياً لهذه الجهات من قبل ابي احمد الموفق اخي المعتمد فحصره احمد بن طولون فالقت عليه امراة حجرًا فقتلته وقيل بل قتله عسكر ابن طولون وذلك في سنة اربع او خمس وستين[4]

---

a) Bal. منهم   b) Bal. مسلم   c) B. ابن .

١) سنة ٤٩ = ٩ شباط ٦٦٩ – ٢٩ كانون الثاني ٦٧٠

٢) اطلب البلاذري ed. de Goeje, p. 132 . وكانت عاصمة العواصم منبج .

٣) اطلب ذكر هذه الحوادث الى وقت الحمدانيين في زبدة الحلب لكمال الدين ed. G. W. Freytag, *Selecta ex historia Halebi*, Paris, 1819, pp. 28 sq. وهذا التاريخ من مصادر ابن شدّاد في هذا البحث .

٤) سنة ٢٦٥ انظر G. W. Freytag, *l. c.* ٣) ايلول ٨٧٨ – ٢٣ آب ٨٧٩

واستولى احمد على قنسرين والعواصم وبَقيت في يدهِ الى ان توفّى في سنة سبعين[1] وَوَلّى ولده ابو الجيش خمارويه الى ان ولى المعتضد ابو العباس احمد بن ابي احمد الموفق الخِلافَة فبايَعه ابو الجيش خمارويه وخطب له في بلادِهِ حتى قُتِل [V.253 v.] لليلتين خلتا من ذي القعدة سنة اثنتين وثمانين[2] وتولى ابوالعساكر جيش فعَزله وولّى اخاه هَرون ولم يزل متولياً لحلب والعواصم وانطاكية الى ان نزل عنها وسلّمها للمعتضد في جمادي الاول سنة ست وثمانين[3] فولّى المعتضد فيها من قبله ونحن نستوفي ذلك فيما ياتي من اخبار أمراء حلب

ثم ولى القايم بامر الله الخِلافَة فولّى الشامات يُسرى الخادم فلما وصل الى حمص خرج اليــه محمد بن طغج من مصر فاسره وخنقهُ فولّى ابا لعباس بن كيغلغ فوصل الى حلب واتفق مع محمد بن طنج وحالفه وتغلب محمد[B. 87 v] على الشام كلــه الى ان أخرج ابو بكر محمد بن رايق لقتاله في سنــة ثمان وعشرين وثلثمائة[4] فواقعَه فهزمه واخرجَه عن الشام الى مصر ثم كانت بينهما وقعة أخرى على الجفار فانهزم ابن رايق في ناس قلايل وتبعه عسكر محمد بن طغج ومقدّمه كافور الخادم الى حلب فاخذها وأخرج منها نايب ابن رايق ولم تزل حلب وانطاكيه في يده الى اتفق ناصر الدولة بن حمدان وتوزون التركى في سنة [V. 254] اثنتين وثلثين وثلثمائة[5] . ونابـذا المُتقى على ان تكون الاعمال من مدينة الموصل الى آخر اعمال الشام لناصر الدولة واعمال السّن الى البصره لتوزون[a] فولّى ناصر الدولة حلب ودخلهــا فلمّا بلغ محمد بن طغج

a) Mss. تورون

١) ١٨ ذي القعدة = ١٨ ايار ٨٨٤ . اطلب تاريخ الرسل والملوك للطبري ٣ : ٢١٠٤ وابن الاثير ٧ : ٢٨٧ ، ونبذة في تاريخ الإسلام للذهبي, Ms. 1017 bibl. Koeprülüzade, p. 18-20

٢) يوم الثلاثا ٢٣ من شهر كانون الاول ٨٩٥

٣) ١٥ ايار – ١٤ حزيران ٨٩٩

٤) ١٨ تشرين الاول ٩٣٩ – ٦ تشرين الاول ٩٤٠

٥) ٤ ايلول ٩٤٣ – ٢٤ آب ٩٤٤

ذلك خرج من مصر وقصد الشام بعسكره فخرج ناصر الدوله عن حلب هارباً واخذها الاخشيد ولما استقر بها ركابه سيّر اليه الإمام المتقي من الرقه وكان هارباً من توزون يسأله ان يسيّر اليه ليُجدد معه العهد ويُعينه على توزون وسار اليه واجتمعا وكتب له المتقي عهدًا بالشامات ومصر ثم رجع الى مصر فقصد سيف الدولة حلب فتسلّمها من نوّابه مع العواصم فخرج اليه الاخشيد فطرده عن حلب والعواصم ثم تَرَدَّدَت الرُسل بينهما الى ان استقر الامر على ان افرج الاخشيد له عن انطاكية وحلب وحمص واستمرّت انطاكية في يد سيف الدوله الى سنة اربع وخمسين وثلثمائة[1]

وفيها كان بانطاكية رجل يُقال له الحَسن ابن الاهوازي يضمن المغلات لسيف الدوله فاجتمع برجل [V. 254 v] من وُجوه أهل الثغر يُقال له رَشيق النسيمي وكان من القوّاد المقيمين بطرسوس فاندفع الى انطاكيه حين اخذ الروم طرسوس فتولّى ابن الاهوازى تدبير رشيق واطمعه في مُلك حلب لبُعدِ سيف الدوله عنها وضعفهِ[a] فكاتب رشيق النسيمى ملك الروم على ان يكون من جهتِهِ ويحمل اليه عن انطاكية في كل سنة مائه الف دِرهم وكتب الى سيف الدوله ايضاً ان يحمل اليه في كل سنه ستمايه الف درهم على ان يكون بانطاكية فاجابه الى ذلك وقرّر عليه المال وكان بانطاكيه من قبل سيف الدولة

a) انظر يحيى بن سعيد الانطاكي *Pat. Or.*, XVIII, 797: «وكان سيف الدولة عند مسيره الى ميا فارقين قد خلف بحلب غلامه قرغوية الحاجب وخلف بانطاكية غلام يدعا فتح ووثب اهل انطاكية على فتح غلام سيف الدولة واخرجوه وسلّموها الى رشيق النسيمى الوارد من طرسوس والتصق به انسان من اهل انطاكية يُعرف بالحسن ابن الاهوازى وتولّا تدبير امره واطمعه ان سيف الدولة لا يعود الى الشام واستأمن الى رشيق دزبر الديلمى وجماعة من الديلم الذين كانوا مع قرغوية وسار رشيق وابن الاهوازي الى حلب وجرى بين رشيق وبين قرغوية حروب كثيرة ودخل رشيق الى مدينة حلب وقاتل القلعة ثلاثة اشهر وعشرة ايام وقُتل رشيق بعد ذلك وانهزم اصحابه الى انطاكية وجعلوا دزبر الديلمى اميرًا عليهم وابن الاهوازى المدبّر له . . .

1) كانون الثاني – كانون الاول ٩٦٥

ابو الجال فتح اليمكى[a] فلما وليّها طمع في مُلكها فجمع اصحابه وقال لهم: اعلموا ان هذا فتح يعجز عن حفظ انطاكية لبُعد سيف الدولة عنه [B. 88] وَضعف غلامه قرغويه[b] نايبه بحلب وان الروم لا بُدّ لهم ان يَملكوا انطاكيه واني قد التجيتُ اليهم وعزمت على ان احمل المال الذى قررتُه لسيف الدولة الى مَلكِ الروم ليَبقى عليّ هذا البلد وقرّر معهم ان فتح اذا نزل عن القلعه وجلس على بابها لقضاء الاشغال فيُظهر بعضكم المُشارّة وارتفعوا اليه [V.255] ليفصل بينكم الخصام فاذا وقفتم بين يديه اهجموا عليه وخذوه وارفعوا اصواتكم فاني ادخل القلعة واملكها بمن يكون معي. فجرى الامر كما دَبّر وملكها وملك البلد في شوال من هذه السنة[1] ثم خرج الى حلب في جيش كثيف رابع صفر[2] فهجما فاعترضه سلامة ابن يزيد الشيباني بسيف فقتله وهرب اصحابه ومعهم ابن الاهوازى فدخل انطاكية فكان بها اخوه. فاستولى عليها ونحنُ نستوفى ذكر هذه الواقعه فى أمراء حلب ان شا الله. ولما استولى الاهوازى على انطاكيه نصب دَزْبر بن اونيم الدئلمى وعقد له الامارة وتوزّن له قبل كل من وصل اليه منَ العرب والعجم. فسار اليه الحاجبُ قرغويه نائب سيف الدولة على حلب فاوقع به دَزْبَرُ ونهبه وانهزم قرغويه الى حلب فتبعه دَزْبر فلك البلد في جمادى الاولى سنة خمس وخمسين[3] على ما سياتي مُفصّلاً في مَوضعه فقصده سيف الدولة وواقعه فانهزم عسكره وأسرَه وأسرَ ابن الاهوازى وقتلهما وذلك في صفر سنة ست وخمسين[4] وعادت انطاكيه الى سيف الدولة [V. 255 v.] ثم صارت من بعده في يد ولده ابي المعالي سعد الدولة شريف

---

a) V. B. بنح .B الشمكى   b) B. قرعون – قرعويه

١) ٣٠ ايلول – ٢٩ تشرين الاول ٩٦٠

٢) من سنة ٣٥٥ = ٣١ كانون الثاني ٩٦٦

٣) ٢٥ نيسان – ٢٥ ايار ٩٦٦

٤) ١٦ كانون الثاني – ١٤ شباط ٩٦٧

انطاكية البيزنطية

ولم تزل في يده الى ان قصدها تقفور بعد ان اخذ بلاداً مجاورةً لها ويقال انه اخذ ثمانية عشر منبراً[١] سوى ما اخذ من القرى التى لا يُحصى عَددُها ولما قصدها بنى حصن بغراس مُقابل انطاكيه ورتب فيه ميخايل البرجى وامر اصحاب الاطراف بطاعته ورتب مع اهل بوقا وكانوا نصارى ان ينتقلوا الى انطاكية ويُظهروا انهم انما انتقلوا خوفاً من الروم حتى اذا حصلوا بها وصار تقفور بعسكره الى انطاكية وافقوه على فتحها فلما دخلوا انطاكية وافقهم من بها من النصارى على ذلك وكاتبوا الطربازى[٢] واعلموه بان انطاكية خاليه وليس بها سلطان واهلها من المسلمين قد ضيعوا سورها واهملوا حراستها وقد ضَعُفوا عن مدافعة من يأتيهم وكان تقفور قد رتب الطربازى في اطراف [B.88 v] بلاد الروم وكاتبه قرغويه ليتقوى به على ملك حلب فاظهر الطربازى انه يَقصدهُ وعدل الى انطاكيه ومعه يأنس[a] بن شُمشيق في اربعين الفاً فاحاطوا بانطاكية [V. 256] واهل بوقا على اعلا السور فى جانب منه فنزلوا واخلوه فصعده الروم وملكوا البلد وذلك لثلث عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين وثلثمائة[٣] ودخلوها فاحرقوا واسروا وكانت ليلة الميلاد فلما طلع الروم على جبالها جعلوا ياخذون الحارس فيقولون له كبّر وهلل[٤] فمن لم يفعل قتلوه . فكان الحراس يكبرون ويهللون والناس لا يعلمون بما هم فيه حتى ملكوا جميع ابرجتها وصاحوا صيحة واحدةً فمن طلب باب الجنان قُتِل او أُسِرَ وبنوا قلمةً بجبل وجعلوا الجامع صيرة للخنازير ثم جعلوه بُستاناً وحرثوه[b] وسار الطربازى الى حلب وحاصر قرغويه حتى صالحه على بلادٍ مُعينة

b) B. حرقوا

١) بلد ذو اهمية امل ان يكون فيه جامع .

٢) أنظر الشرح في ما يلي – والطربازي يعني ἐπὶ τῆς τραπέζης : (le Trapézite) V. Yahya D'Antioche, *Pal. Or.*, XVIII, 814

٣) وهو يوم الاضحى عند المسلمين (٢٩ تشرين الاول ٩٦٩)

٤) اعني القول : « الله اكبر » ، والشهادة : « بان لا اله الا الله » .

بحدود مشروطة وافردوا لانطاكية بلادًا ودخلت فيها سائر العواصم ولما استولوا على انطاكية ابتنوا حصن حارم وسيأتي ذكره مُفصّلًا في اعمال حلب ثم لم تزل انطاكية في ايدي الروم الى ان اغتنم ناصر الدولة ابو الفوارس سُلَيمن قطلمش بن قاور بن سلجوق غيبة صاحبها الفلادرس [V. 256 v] عنها بالرُّها فسار من نيقيه [قونية] في عسكره وكانوا ماتين وثمانين رجلًا وعَبَرَ الدروب وأوهم ان الفلادرس[a] استدعاه واسرع السَّير حتى وصلها ليلًا فقتل اهل ضيعة تُعرف [بالعمرانيه] جميعهم لئلا يُنذِرون به وعلق حِبالًا[b] في شرفات السور بالرماح وكان ذلك بباطن كان له مع بعض اهلها وطلعوا ممّا يلي باب فارس وحين صار من عسكره جماعة على السور رفعوا مِنشار الباب ونزلوا فتحوه[c] وذلك يوم الجمعة اول شعبان سنة وسبعين واربع مائة

٣ً انطاكية السلجوقية

ولم يشعر بهم اهل البلد الى الصباح وصاح الاتراك صيحةً واحدةً فتوهم اهل انطاكية انهم عسكر الفلادرس فلمّا قاتلوهم انهزم اهل البلد وتمادت الحرب وعلموا ان البلد قد هُجم عليهم فهرب بَعضهم الى القلعة وبعضهم رمى بنفسه من سور البلد ونَجا ووصل اليه بن منحاك في ثلثماية فارس الى انطاكية ثم ترادف عسكره اليه وفي اليوم الثالث من فتحها امر الناس برجوعهم الى دورهم وردّ اليهم [B. 89] ما سُبي منهم بعد ان حصل على اموالٍ لا تُحصى [V. 257] وفي يوم فتحها صلّى المسلمون صلاة الجمعة في كنيسة القسيان واذّن فيه يومئذٍ ماية وعشر مُؤذّنين.

قال بهآ الدين الحسن بن الخشّاب : وجدت خط بعض المنجّمين على ظَهر كتاب عتيق عند القاضي ابي الفضل بن ابي جرادة بحلب يقول ذكر المخبر عن اخذ مدينة انطاكية ان دخول العدو اليها في وقت كذا وكذا من الليل في سنة ثان وخمسين وثلثمائة[1] . فان صح قول هذا المخبر فانها تثبت في ايدي

a) B. الفلادرس b) B. حبالًا
c) Comp. ابن الاثير, ed. Tornberg, 89

١) ٢٠ تشرين الثاني ٩٦٨ – ١٤ تشرين الثاني ٩٦٩

الروم مائة وتسع عشر سنة ووقف على هـذا الخط محمود بن نصر بن صالح عند ذكره في مجلس وكان الامر كما ذكر وفتح القلعه بعد حصارهـا في الثانى عشر من شهر رمضان[1] ليوقيها من القتل والسبى خاصّةً

ولم تزل في يده الى ان دخلت سنه تسع وسبعين واربع مائة والتقى هو وتاج الدوله تُتُش صاحب دمشق وَقُتل يوم الاربعا لثاث عشرة ليـلة خلت من من صفر[2] . ثم وصل السلطان الملك العادل ابو الفتح ملكشاه وتسلم حلب في الثالث والعشرين من شعبان من هـذه السنه[3] فصار [V. 257 v] الى انطاكيه فتسلمها من الحسن بن ظاهر وزير سُليمن بن قُتلمش ورتب بانطاكية يغى سنان بن الب في عسكر معه [وقلد اموره الحسن بن ظاهر]

ولم تزل في يد يغى سنان الى ان خرجت الفرنج في المحرّم سنه احـدى وتسعين واربع مايه[4] فحاصَروه وضايقوه فاستنجـد بالمسلمين فجمع كربغا صاحب الموصل جيشاً عظيماً . ووصل دقاق صاحب دمشق بعسكرٍ آخر ووصل جناح الدولـة من حمص بعسكر ووصل سكمان بن ارتق ووثاب ابن محمود ومعهم عسكرٌ واجتمعوا على مرج دابق . وكان الفرنج لما نزلوا على انطاكية وهم تسع قوامص[5] مقـدمين وهم كندفري وميمند[a] وابن اخته طنكرى وصنجيل وبعدوين الذي ملك الرها بعد بمدوين القمص والقمص اخو كندفرى . قد جميهم ميمند فقال لهم هذه انطاكية ان فتحناها لمن تكون فاختلفوا وكل طلبها لنفسه فقال الصواب ان يحاصرها كل واحد منا جمعةً فمن فتحت في نوبته فهي له فرضوا بذلك وحاصروه على ما تقرّر بينهم

a) Mss. يمند ، هيمند

١) ١٢ كانون الثاني ١٠٨٥.

٢) يوم الاحد ٣١ ايار ١٠٨٦

٣) ٣ كانون الاول ١٠٨٦

٤) ٩ كانون الاول ١٠٩٧—٢٨ تشرين الثاني ١٠٩٨ انظر Hagenmayer, *Chronologie de la 1re Croisade*, dans *ROL*, VI (1898), p. 514

٥) Comtes

٤ انطاكية الفرنجية

فلنا [V. 258] كانت ليلة الخميس غرّة رجب[١] واطى رجل يُعرف بالزرّاد وغلمان له على برج كانوا يتولون حِفظه وكان يغي سغان صادره واسآء اليه وحمله الحنق على مُواطاة الفرنج وتسليم البرج اليهم وكانت نوبة ميمند بن الاريرت[a] الذى فتح صقلّيه فطلع الفرنج اليه وصاح الصايح من [B. 89 v] الجبل فتوهم يغي سغان ان القلعة [قد أُخذت] فخرج من البلد في جماعةٍ مُنهزمين فلم يسلم منهم احد وصار يغي سغان الى ارمناز ضيعة قريبة من معرّة مصرين فادركته الارمن فقتلوه وحملوا راسهُ الى الفرنج ولما وصل هذا الخبر الى عِمّ وإنبٍ هرب من كان بها من المسلمين وتسلمها الارمن . وكان الملك دقاق واتابكهُ طغدكين[b] وكربغا وسُكمان وجناح الدولة ووثاب في تلك الليلة نزولًا فرحلوا عند وصول هذا الخبر الى ارتاح وتوجّهوا نحو انطاكية لما بلغهم ان القلعة باقيـــة في ايدي المسلمين فوصلوا اليهـــا يوم الثالث سادس رجب[٢] بعد خمسة ايام من اخذهـــا [V. 258 v] فانهزم من كان بظاهر انطاكية من الفرنج اليها ونزل المسلمون عليها ممّا يلي الجبل ودخلوا البلد ممّا يلي القلعة وقاتلوا الفرنج في جبل المـــدينة واشرفت على التلف فبنوا سورًا على بعض الجبل يمنع المسلمين من النزول اليهم واقاموا كذلك اياماً وعُدم القوت بانطاكيه فاخرج الفرنج كثيرًا من الاسرى الذين معهم فاطلقوهم واحتوى كربغا صاحب الموصل على كثير مما كان بقلعه انطاكية وولّى فيها احمد ابن مروان وتواصلت رُسل الملك رضوان من حلب الى كربغا فتوهّم دقاق صاحب دمشق من ذلك وخاف جناح الـــدولة صاحب حمص من اصحاب يوسف بن ابق[c] واخيه وجرت بين الاتراك والعرب الـــذين مع وثاب منافرة عادوا لاجلها وتفرّق كثير من التركمان بتدبير الملـــك رضوان ورسالته وتخيّل بعض الامراء من بعض ثم اجتمع رأيهم على التحوّل الى المنازلـــة في

a) B. الايترت b) B. كندكين c) B. ارتق .V اتو

١) من اليوم الاربعاء ٢ حزيران الى اليوم الخميس : Hagenmayer, *ROL*, VII (1899), 284

٢) ٨ حزيران حسب كمال الدين ؛ *H. Or.* III, 582 ؛

السهل بظاهر انطاكية فنزلوا باب البحر وجمل المسلمون بينهم وبين البلد خندقاً خوفاً من [V. 259] مهاجمة الفرنج . وافرط الجوع بانطاكية حتى اكلوا الدوابّ والميتة . ولم يبق احد من المسلمين يشك في اخذهم باليد[a] فلم يزل الأمر كذلك الى يوم الاثنين السادس والعشرين من السنة المذكورة[1] فخرجت الفرنج من انطاكية فاشار وثاب بن محمود ان يمنعوا من الخروج واشار بعضهم بتمكينهم من الخروج وان يقاتلوهم اولًا فاولًا وخرج الفرنج من البلد في خلق عظيم وصاروا في الجبل واطلقوا النار مما يلي المسلمين وحمل جناح [B. 90] الدولة عليهم حملةً واحدةً وعاد وعادت التركمان في عسكر المسلمين فانهزم العسكر وبقي كربغى وحده في قليل من العسكر . وتوهمت الفرنج ان ذلك مكيدة فتوقّفوا عن اتباع الناس فسلم من الناس من يُطيق المشي واحرق كربغى خيامَهُ وسرادقه وانهزم نحو حلب فنهبت الفرنج ما تركه المسلمون وقتلوا من تاخر وبقي في القلعة احمد بن مروان في جماعة من اصحاب كربغى فراسله الفرنج على ان تومنه على نفسه وعلى من معه فسلم اليهم القلعة في اليوم السادس من الوقعه[2] [V. 259 v] وسيروا معه من يحفظه ومن معه فخرجت عليهم الارمن فقتلوا منهم جماعةً وسلم احمد ودخل حلب

وبقي [ميمند] مالكها الى ان كسره ابن الدانشمند على البليخ وأسره وقتل اكثر عسكره في سنه ثلث وتسعين واربعمائه[3] ثم اشترى نفسهُ وخلص واستخلف في انطاكية ابن اخيه طنكري وركب في البحر وسار الى بلاده ليستجيش الفرنج ويعود فاهلكه الله تعالى قبل ذلك ولم يعُد . ودام طنكرى

a) B. بالبلد

١) ٢٨ حزيران ١٠٩٨

٢) اعني ٢ شعبان = ٥ تموز ١٠٩٨ (وحسب المآخذ الغربية كان اخلاء القلعة في ٢٩ حزيران) اطلب ايضاً Hagenmayer, *l. c.* *H. Or.*, III, 505.

٣) ١٧ تشرين الثاني ١٠٩٩ – ٦ تشرين الثاني ١١٠٠ . انظر درساً قيماً في امراء انطاكية الفرنجة لادمون راي E. Rey, *Résumé Chronologique de l'histoire des princes d'Antioche*, *ROL*, IV (1896), 321-407

مالك انطاكيه واعالها الى ان اهلكه الله تعالى في ثاني عشر ربيع الآخر[١] سنة ست وخمس مائه[a] وملكها بعده روجار وكان طنكري قد استدعاه من بلاد الفرنج وجعلهُ ولي عهده فكان يُسمَّى الوارث وكان من اقوى ملوك الفرنج فحجَّ الى القدس ومُتَمَلِّكُهُ بغدوين الرونس وهو ملك الفرنج وكان شيخًا كبيرًا فاجتمع هو وروجار بالبيت المقدس وقرّرًا بينهما عهدًا انه من مات منهما قبل صاحبه كانت مملكتهُ للباقي وكان روجار [V. 260] شابا عظيم الخلقة وهو زوج بنت بغدوين الملك فقدر الله سبحانه ان التقى روجار ونجم الدين ايلغازي بن ارتق رحمه الله يوم السبت ثامن عشر ربيع الاول سنة ثلث عشرة وخمس مائة[٢] على درب سَرمَدا فكسره ايلغازي بالبلاط وقتله وقتل جميع عسكره فسار بغدوين الملك الى انطاكية فملكها واقام مالكها حتى وصل في ثامن[b] شهر رمضان سنة عشرين وخمس مائه[٣] مركب من بلاد الفرنج فيه صبي افرنجي فحضر عند الملك بغدوين وعرّفه انه ميمند بن ميمند[c] الذي كان مالكها فيخرج من يومه منها وسلمها الى ذلك الصبيّ وسار الى بيت المقدس

فاستمرّ الصبيّ فيها وكان من شياطين [B. 90 v] الفرنج ودام بها الى ان سار من انطاكية نحو الدروب فلقيه عسكر ابن الدانشمند فكسره وقتله وقتل جماعةً من اصحابه بأرض عين زربة يوم الخميس النصف من شهر رمضان سنة اربع وعشرين وخمس مائه[٤]. فملك انطاكيه زوجته بندقين[٥] بنت بغدوين

---

a) B. ست وخمسين وخمس مايه b) B. في ثامن عشر c) B. هيمند

١) ٦ كانون الثاني ١١١٢

٢) ١١ حزيران ١١١٩ – وقد تزوج Roger اخت بودوين الثاني. وابن شدّاد هو الوحيد الذي يذكر معاهدة Roger مع بودوين الثاني. وهذه المعاهدة قريبة جدًّا من الصحة لان Roger لم يكن له ملك دائم في انطاكية اذ كان متوجبًا عليه ان يعطي انطاكية لابن بوهيموند الاول عند وصوله الى سورية: E. Rey, *l. c.*

٣) ٢٧ ايلول ١١٢٦

٤) ٢١ آب ١١٣٠ . يقول غليوم الصوري Guillaume de Tyr *H. Occ.*, I, 599, أن عماد الدين زنكي صاحب الموصل وحلب قتل بوهيموند الثاني ١١٣١

٥) لا شك في ان اسم بندقين تحريف لاسم بنت بودوين. فالكلام هنا عن أليس الابنة الثانية لبودوين الثاني التي تزوجت من بوهيموند الثاني G. Tyr, 600

ووقع بين الفرنج شر [فوصل] بغدوين من البيت المقدس واغار على [V.260v] انطاكية واخذ قوماً من اصحاب ابنته فقطع ايديهم وارجلهم وفتح قوماً من السرجيديه[a] باب انطاكية فدخلها في سنه خمس وعشرين[1] فطرحت ابنته نفسها عليه وصفح عنها واخذ انطاكية ووهبها جَبلَة واللاذقية ثم مات وملكها ريمند[b] بن بندقين بنت بغدوين وهو بن ميمند بن ميمند فقُتِل في سنة اربع وثلثين[2] على دمشق وتولى البِرنس ارناط فقُتِل على حصن أَنّ يوم الاربعا حادى وعشرين من صفر سنة اربع واربعين[3] فملَك بعده بيمند وتَزوّجت أُمهُ بابِرنس آخر ليُدبّر البلد الى حين يكبر ابنها فقصدهم نور الدين فاجتمعوا للقائه فهزَمهُم واسر البرنس واستقل بيمند بانطاكية ولقب بالبِرنس فوقعت بينه وبين نور الدين وقعة أُسر فيها سنة تسع وخمسين على حارم[4] وسنذكُر ما خرج من بلاد انطاكية عنها وانضاف الى غيرها من بلادها مستوفاً ان شا الله . فملك انطاكية وهو في الاسر على ما حكاه اسامة مرشد بن مُنقذ في تاريخه شيطان [V. 26r] من ذرية ملكها ميمند الذى كان مالكها ولم يُسمّه وانما اللقب واقع عليه كما كان على غيره فان الفرنج كانوا يلقّبون مَن ملك انطاكية البرنس وفي مدّته انتهى تاريخه فانه قال : وهو ملكها الى الآن

واستقريتُ التواريخ بعده فرايتُ في تاريخ ابن ابى طىّ : وفي سنة ثلث

a) B. السرحديه b) Mss. ويند

١) ٤ كانون الاول ١١٣٠ – ٢٣ تشرين الثاني ١١٣١

٢) ٢٨ آب ١١٣٩ – ١٧ آب ١١٤٠ ريموند من Poitiers كان ابن Guillaume IX de Guyenne و Philippe de Toulouse فالملك Foulque قد دعاه من بلاط هنريكوس الاول ملك انكلترة ليكون زوجاً لقسطنطنية ابنة بوهيموند الثاني. وكانت ما بلغت بعد سنّ الزواج (وزواج بوهيموند وأليس كان في ايلول ١١٢٧) وريموند لم يقتل في التاريخ المبين صدرًا لكن في ٢١ صفر (٣٠ حزيران ١١٤٩) . راجع E. Rey, p. 368

٣) ٣٠ حزيران ١١٤٩ هو تاريخ موت ريموند . وقد اسر جيش حلب ارناط من شاتيلون Renaud de Chatillon في ٢١ تشرين الثاني ١١٥٩ : Rey, 373

٤) ٣٠ تشرين الثاني ١١٦٣ – ١٨ تشرين الثاني ١١٦٤ . تتكلم عن بوهيموند الثالث ابن ريموند وقسطنطنية الذي خلف ارناط من شاتيلون .

وثمانين وخمس مائة مات صاحب انطاكيه واوصى الى ابن اخته ريمند وفى هذه السنة كانت وقعة بين الملك الناصر صلاح الدين والفرنج على حطين لسبع بقين من شهر ربيع الآخر[1] فهزمهم واسر الملك جفرى والبرنس ارناط وكان صاحب الكرك لان السلطان الملك العادل اسره ثم فدى نفسه بعد مُدّة فتزوّج امراة صاحب الكرك وملك الحصن وبقى عليه اللقب وأُسِرَ معه امم لا يقع عليها الاحصاء وهذه الوقعة لم يجر على الفرنج منذ خرجوا الى الساحل مثلها وغنم فيها صليب الصلبُوت وهو قطعة خشب مُغلّفة بالذهب مُرَصّعة [B. 91] بالجواهر يزعمون ان ربهم صُلب عليه ولم يكن ميمند حاضراً لها . ولما [V. 261 v] كانت سنة اربع وثمانين كرّر صلاح الدين الغارات على الساحل فراسله البرنس بيمند وسأله الكفّ عنه وتركه على ما في يده من حائط انطاكية فاجابه الى ذلك وقال بها الدين ابو المحاسن يوسف [بن رافع بن تميم] بن شداد في كتابه اخبار صلاح الدين[a] ونزل السلطان في هذه السنة ثاني شعبان[2] على بغراس فضرب يَزَك الاسلام على باب انطاكية بحيث لا يُشذ عنه من يخرج منها وقاتلها مقاتلة شديدة فراسله اهل انطاكية في صُلح فصالحهم لضجر العسكر على انطاكية لا غير على ان يطلقوا اسارى المسلمين الذين عندهم الى سبعة اشهر فان جاءهم من يَنصرهم والّا سلموا البلد الى السلطان ثم رحل وفي سنة

a) فنزل العسكر – H. Or., III, 116: انظر بهاء الدين . فاسد والاستشهاد بابن شداد في مرج لها واحدق العسكر بها جريدة مع انا احتجنا الى يزك في تلك المنزلة يحفظنا في جانب انطاكية لئلا يخرج منها من يهاجم العسكر فضرب يزك المسلمين على باب انطاكية بحيث لا يشذ عنه من يخرج منها . . . ولم يزل [السلطان] يقاتل بغراس مقاتلة شديدة حتى طلبوا الامان على استيذان انطاكية ورقي العلم الاسلامى عليها في ثانى شعبان وفي بقية ذلك اليوم عاد رحمه الله الى مخيمه وراسله اهل انطاكية في طلب الصلح فصالحهم لشدة ضجر العسكر وقوة عماد الدين صاحب سنجار في طلب الدستور وعقد الصلح بيننا وبين انطاكية من بلاد الفرنج لا غير على ان يطلقوا جميع اسارى المسلمين الذين عندهم وكان الصلح الى سبعة اشهر فان جاءهم من ينصرهم والا سلموا البلد الى السلطان.

١) ٢ تموز ١١٨٧

٢) ٨ تشرين الاول ١١٨٨

ست وثمانين وصل ملك اللمان الى الشام فملك انطاكية واخذها من صاحبها ولم يزل بها الى خامس عشر رجب من هذه السنه[1] رحل يريد عكا فقتل عليها في اثناء السنة

فملك انطاكيه بعده بطريق نصير وكان من اعظم البطارقه همّةً ولما صالح السلطان الملك الناصر للكلدهرى والأنكتار في شعبان سنه ثمان[2] سار الى دمشق وتفقد في طريقه البلاد التى افتتحها [V. 230] ثم سار الى بيروت وهناك اجتمع بالبرنس باطريق نُصَير صاحب انطاكيه وتلقاه السلطان بالاكرام وادنا مجلسه وكتب له مناصفات انطاكيــة مَعيشةً تبلغ عشرين الف دينار[3] واعجب السلطان منه دخوله اليه بغير امان ولما فارقه شكا اليه ما يلقاه من اذى ابن ليفون صاحب سيس وما يناله من سُوء مجاورته مُذ صار في حصن بغراس فوعده السلطان بما طيّب نفسهُ من امر ابن ليفون وكان لابن ليفون مع بطريق نصير جواسيس اطلعوه على الحال فخاف عاقبة هذا الامر ولما وقع الصُلح الذى قدّمنا ذكره لم يكن لابن ليفون فيه ذكر فلما صار بطريق نصير الى انطاكية ارسل بن ليفون الى نايبه ببغراس وامره ان يُطمع بطريق نُصير البيمند في الحصن فاذا صار اليه يحتل عليه ويقبضه فراسل نائب بغراس البيمند وبذل لـه تسليم الحصن واطف في الحال الى ان استحكم طمع البرنس وركب اليه وتبعه جماعة من خواصه مع ولده وزوجته فنزل على العين التى تحت الحصن فحمل اليه النائب طعاماً وشراباً وكان [V. 230 v] البرنس قد

---

١) ١٨ آب ١١٩٠ . وكان فيليب دي سواب يقود جيشاً المانياً بعد موت فردريك بربروس (Barberousse) .

٢) اشارة الى هدنة بين صلاح الدين ومغريكوس دي شمپانيه وريكردوس قلب الاسد (٣١ آب ١١٩٢ : ابن الاثير *H. Or.*, II, 65)

٣) قد اثبت بهاء الدين بن شداد العكس. وهو ان صلاح الدين قد ارجع بوهيموند ثلاث محلات من اعمال انطاكية تساوي مبلغ خمسة عشر الف دينار *H. Or.*, III, 356 فتاريخ عداوة لاون الثاني الارمني ضد انطاكية مخبر عنه بنوع فريد لكن بابهام ، وسأعود الى شرح هذا التاريخ .

اظهر خرج الى الصيد فلم [B. 91 v] يزل على حاله الى ان دخـــل الليل فنزل اليه النايب وقال له ما أمن عليك ان تبيت ها هنا والدواب ان تصعـــد الى الحصن انت واصحابك فقد هيّأتُ لـــك مناماً وانت اذا صعدتَ الى الحصن احضرتُ اليك من فيه ليحلف لك فلما قال له ذلك صعد الى الحصن هو ومن كان معه

وكان بن ليفون قريباً من بغراس فلما بلغهُ ذلـــك صعد اليه ودخل على البيمند وقال له : انت تعلم انه كان بيني وبين السلطان الملك الناصر صلحُ ومعاهدة وانك ما زلتَ حتى افسدتَ ذلك وما هذا جزاي منك لانني اخذت هذا الحصن من المسلمين وجعلته معقلاً للنصرانية بعد ان عجزتَ عن حفظـــه واخذه صلاح الدين ثم لم يَكفك ذلك منك حتى صالحتَ السلطانَ ولم تذكرني في الصُلح وانا مَنسوبٌ اليك وولايتي مُتَّصلةٌ بولايتك ثم امر بحطّ الحديد في رجليه ورجلي زوجته وولده ثم خرج الى اصحابه وقال : تسلموا لي انطاكيه والّا قتلتكم جمعاً فحلفوا له واتّصل الخبر بالولي [V.231] على انطاكية فخاف تمام ذلك وخشي على نفسه

فسير الى ابن البمند الكبير وكان يسمّى القومص صاحب طرابلس واخبره بما جرى على بطريق نُصَير وحثه على المصير الى انطاكية فصار اليها ودخلهـــا وملكها ولم يزل البرنس في اسر ابن ليفون الى ان استخرجه ملـــك الفرنج صاحب قبرس الذى كان في اسر الملك الناصر على ان يُسلّم انطاكيـــه لابن ليفون الى ثلث سنين وخرج الى انطاكية ومات بها في هـــذه السنه فملكها بميد القومص بن ريمند وفي سنة تسعين[1] احتـــال ابن ليفون وهجم انطاكية يوم الثلثا ثاني عشر شعبان فقاتله اهلها واستظهروا عليه واخرجه منها وكان ذلك بمواطاة من بعض اهلها . وفي سنة ستمائة في سابع عشر ربيع الاول[2] هجم ابن لاون انطاكية ايضاً فلم يَشعُر صاحبها الا وهو على بابها فارتاع لذلك وقاتله في البلد ثم التجى الى القلعة وصاح بشعار الملك الظاهر بن الملك الناصر فكتب

١) في ٣ آب ١١٩٤ كان بوهيموند في اسر ابن لاون .
٢) ٢٣ تشرين الثاني ١٢٠٣

والى حارم على جنساح طاير الى الملك الظاهر فخرج بمساكره لنجدة البرنس فلما وصل الى حارم بلغ ابن لاون مسيره فخرج عن انطاكيسه وترك فيها رجالًا [V. 231 v] فقُتلوا وكتب الملك الظاهر لصاحبها بما يطيّب قلبه: حكاه ابن ابي طي . وقال ابن العديم سنه احدى وزاد انّ ابن لاون من وُلد بردس الفقاس الذى كان في زمن سيف الدوله ثم [B. 92] ذكر وقعسات بين ابن لاون وبين عسكر الملك الظاهر وترددت الرُسل بينهما على المواداعه وشرط عليه ان لا يعرض لانطاكية وقرر الصلح الى ثمان سنين . وذلك سنة اثنتين وستمائه[1] .

ولما كان يوم الاثنين ثالث وعشرين شعبان سنه اثنتي عشره وستمائه[2] هجم ابن لاون انطاكيه فملكها وسلمها لان اخته وكان السبب في ذلك ان البرنس ريمند الكبير والد الذى هو ملكها يومئذ قد رزق ولدين احدهما بيمند الذى هو ملكها ولآخر اسمه ريمند وكان والده يميل اليه فخطب له اخت ابن لاون وزوّجه بها ونصّ عليه بالُملك واشهد عليه اهل ملّته واتفق ان ريمنسد اصابه الصرع فهلك في حياة ابيه وترك ولسدًا من ابن اخت ابن لاون اسمه رومين فانفذ ابن لاون الى انطاكية واخذ اخته وابنها وكان اخوه بيمند ملك [V.232] اطرابلس فلما هلك ابوه تغلب بطريق نُصَير على انطاكية ثم مات وملكها بيمند بن ريمند كما قدمنا وطرّت الوقعات التى قدمناها بينه وبين ابن لاون وفي خلالها شب ابن اخته[3] رومين فلما انقضت الهدنسة التي قررها الملسك الظاهر بينه وبين بيمند كتب اليه انك ظالم خارج عن شرع النصرانيسة لان اباك اخرج الُملك عن نفسه الى اخيك وان اخاك مات وخلف ولدًا والملكُ له من بعده وكان بن لاون قد اخذ خط بطريق انطاكية بان الملسك لابن اخته وسير اليه الخط فلما وقف بيمند عليه قال : هذا مُلكى وفي يدى ثم اصعد

---

١) ٣٨ آب ١٢٠٥ – ١٨ آب ١٢٠٦

٢) ١٨ ايلول ١٢١٥ . وفي الاخير يقول ابن شداد أن لاون امتلك انطاكية في ٢٣ شوال ٦١٢

البطريق الى القلعه فخنقهٔ وسار ابن لاون بعد ذلك الى انطاكية وحاصرها دفعات والملك الظاهر صاحب حلب يدفعه عنها ويمنعه بعسكره منها. فلما كان اول السنه التي قدمنا ذكرها بعث اهل قسطنطينية الى انطاكيه بطريقاً مكان الذي قتل[1] فلما حصل في انطاكية انكر على اهلها موافقتهم لبيمند على ملك انطاكية وقال لهم كلما تتقلبون فيه [V. 232 v] حرام فاهتاجت الاستبارية[a] لمقالته وكاتبوا ابن لاون في ارسال ابن اخته ليُملكوه انطاكية فجعل يُسير الرجال الى انطاكية شيئاً فشيئاً حتى حصل من اصحابه بها جماعة كثيرة ثم واعدهم الى ليلة الاثنين ثالث عشرين شوال وجاء في الليل فدخلها هجماً من باب بولص على مواعدة كانت بينه وبين من كان بها من رجاله . وملكها وامتنعت عليه القلعة ولم يكن البرنس بيمند بطرابلس [B. 92 v] فلمّا بلغه سار الى تحت المرقب منجدًا لمن في القلعة ثم ان ابن لاون ملك القلعة وعاد بيمند الى طرابلس وكتب ابن لاون الملك الظاهر[b] يُعلمه انه كان في خدمته وانه لا يتقلب الّا عن امره ورايه وانما فتح انطاكية اسمه واطلق اسرا من المسلمين كانوا فيها وسيّرهم الى حلب فاحسن جوابه ثم خرج منها وسلّمها لابن اخته . [c] [V. 233]

• انطاكية المملوكية

ولم تزل في يده الى ان قصدها السلطان الملك الظاهر ابو الفتح بيبرس بعزمه تدنّى له البعيد وتعفّر وجوه اعدايه بالصعيد وخيّر عليها يوم الاربع مستهل رمضان سنة ست وستين وستمائة[2] فخرج اليه اهلها يطلبون الامان فلم ينعم

---

a) B. فاهاجت الاستباريه σπαθάριος, armiger ; cf. Du Cange, *Glossarium*, col. 1415

b) B. الظاهر ابو الفتح بيبرس

c) هنا بياض في المخطوطة الفاتيكانية يبلغ مقدار ١١ سطرًا

١) يعني هنا البطريرك اللاتيني Pierre II, d'Angoulême. اما بطريرك الروم سمعان الثالث (الذي كان قد دخل انطاكية سنة ١٢٠٦ في مناسبة مقاومة بوهيموند والبطريرك بطرس الاول) ، فقد قبله لاون الثاني في ارمينية. بعد ان حرمه البابا اينوشنيوس الثالث. (*ML*, vol 216, col. 781-786). Voyez Aussi E. Rey, *les dignitaires de la Principauté d'Antioche*, *ROL*, VIII (1900-1901), pp. 139, 147

٢) ١٨ ايار ١٢٦٨

لهم لانهم شرطوا شروطاً لم توافق رايه واحاط بها وملكها بالسيف يوم السبت رابع الشهر في رابع ساعة منه ولم يمكن احدًا من المرتزقة من [V. 233v] نهب شئ وفرق ما حصل منه على الامراء والاجناد واخربها ورتب فيها جماعة من التركمان يحفظون ساحلها وحصر من قتل فيها فكان نيفا عن اربعين الف نفس وخلّص من ايديهم خلقاً من اسرا حلب وكان البرنس صاحبها وصاحب طرابلس قد سباهم واسرهم عند دخول التتر فمنّ الله باطلاقهم على يد مولانا السلطان وهذه منّة قلدها رقابهم وصيرها لهم سنة تفوق القابهم وكم لها من اخوات في فتوحه اعاد بها الامن بعد نزوحه وصارت مدونة في صحائف سيرة اعماله . وبلغ بها من مرضات الله غاية آماله ولم تزل في يده الى ان توفي في ثامن عشرين المحرم من سنة ست وسبعين[1] فانتقلت الى ولده الملك السعيد ناصر الدين بركة قان[a] فاستمرت بيده الى ان خرج الملك عنه لاخيه الملك العادل بدرالدين سلامش ليلة الاثنين ثامن عشر ربيع الاخر من سنة ثمان وسبعين[2] وتسلم المُلك الملك المنصور سيف الدين قلاون الالفي العلائي اتابكاً فاستمرت بيد الملك العادل الى ان جلس السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاون الالفي المذكور على تخت الملك في يوم الثلثا حادي عشرين شهر رجب من سنة ثمان وسبعين[3] فاقطعها الامير شمس الدين سنقر الاشقر مع غيرها بمنشور كريم وقد ذكرنا ذلك مفصلاً في مواضع[b] وهي في يده الى الآن.

ومما كان مضافاً الى انطاكية من الحصون

بغراس

وهي قلعة مذكورة [B. 93] حصينة وكان الطريق الى الثغور للغزاة عليها وقد ذكر ابو زيد احمد ابن سهل البلخي في كتاب وضعه في صفة الارض وما

a) B. بن كرفان b) B. مواضعه

١) ٢٢ حزيران ١٢٧٧
٢) ٢٢ آب ١٢٧٩
٣) ١١ تشرين الثاني ١٢٧٩

تشتمل [V. 234] عليه من المدن قال[a] : وبغراس على طريق الثغور وبها دار ضيافة لزبيدة[1] وليس بالشام دار ضيافة بغيرها[b] وذكر احمد ابن يحيى البلاذرى[c] في كتاب البلدان [كذا] عمّن حدّثه من اهل الشام قال : وكانت[d] بغراس لمسلمه ابن عبد الملك فوقفها في سُبل البرّ وكانت عين السلّور وبحيرتها له ايضاً قلت يُريد بعين السّلور بحيرة يَغرًا من عمل حارم وناحية العَمْق وقال[f] : وحدّثني بعض اهل انطاكية وبَغراس ان مسلمة لما غزا عَمُّورية حمل معه نساء[g] وكانت بنو اميّة تفعل ذلك ارادة الجد في القتال للغيرة[h] فلمّا صار في عقبة بغراس المستدقــة التي تشرف على الوادى سقط محمل فيــه امرأة الى الحضيض فامر مسلمه ان تمشي سائر النساء فسُميت تلك العقبة عقبة النساء وقد كان المعتصم بنى على حد تلك الطريق حائطاً قصيرًا من حجارة . ولما كان في سنة احدى وخمسين[2] قصدت الروم حصن بغراس فاخذت ممّن كان فيه من المسلمين الجزية وكان مبلغها مائة الف درهم ثم أُهمل امر هذا الحصن حتى تهدم فلمّا ملك الطرابازى الفرنجي [كذا] انطاكية بناه ورتب فيه من يحفظه وقد قدّمنا ذلك سنة سبع وخمسين وثلثمائه[3] ولم يزل في ايدى الفرنج الى ان ملك سُليمان بن قتلمش انطاكية فملكه في اعمالها ثم لما ملكوا الفرنج انطاكية في سنه احدى وتسعين[4] ملكوه ولما ملكوه اشترته الداويّه[i] منهم ولم يزل في ايديهم الى ملكه الملك الناصر صلاح الدين في شعبان سنه اربع وثمانين وخمس

a) cf. *BGA.* I, p. 65

b) cf. dans *BGA.* II, 123 add. كبيرة

c) ed. de Goeje, p. 148

d) add : ارض

f) de Goeje, p. 167

g) Bal : وحمل الناس من معه نساءهم

h) Bal. add. للغيرة على الحرم

i) Templiers.

١) امرأة هرون الرشيد تروجها في سنة ١٦٥ وماتت سنة ٢١٦

٢) ١٨ كانون الثاني ٦٧١ – ٨ كانون الثاني ٦٧٢

٣) ٧ كانون الاول ٩٦٧ – ٢٥ تشرين الثاني ٩٦٨

٤) ٩ كانون الاول ١٠٩٧ – ٢٨ تشرين الثاني ١٠٩٨

.ائة[1] واخربه ، ثم لما كانت سنه ثمان وثمانين وخمس مائة[2] استولت عليه الارمن وعمرته في سنه اثنتى عشرة وستمائة[3] ولم يزل في ايديهم الى ان صالحهم الملك الظاهر بن الملك الناصر فاخذه منهم في جملة ما شرطه عليهم وسلمه الى مقدم الدّيويه في سنة ثلث عشرة وستمائة ولم يزل في ايديهم الى ان توفّى الملك العزيز بن الملك الظاهر واغارت الدّيوية وكان مقدمهم افرير توماس على نواحى حلب ثم عادوا فخرج اليه الملك المعظم فخر الدين توران شاه ونازل بغراس في اواخر سنة [V. 235] اربع وثلثين وخمسماية[4] وحاصرها حتى نفد ما فيها من الذخائر واشرفت على الاخذ وانما قبل شفاعته لأنّ الملك الكامل خرج من مصر قاصدًا الشام فرأى رُجوعَهُ الى حلب [B. 93 v] وحفظهما اولى من المقام على بغراس فرحل عنها بعد ان خرب بلدها خراباً شنيعاً ثم نزل بالقرب من درب ساك فجمع الداويّة جُموعاً واستنجدوا بصاحب جُبيل وساروا من جهة حجر شُغلان الى درب ساك ظناً منهم ان يكبسوا الربض على غرّة من اهله وان ينالوا منه غرضاً فقاتلهم اهل القلعة واهل الربض وحموه منهم واشتغلوا بقتالهم الى ان وصل الخبر الى عسكر حلب فركبوا ووصلوا اليهم وقد كلّت خيول الفرنج فوقعوا عليهم فانهزموا وأُسِروا وقُتِلوا ولم يَنجُ منهم الّا القليل وذلك في شوال سنه اربع وثلثين وستمائه[5] وأسر افرير توماس ولم يزل في الاسر الى سنه ثمان وثلثين[6] وكانت وقعة الخوارزميه التي كسرت فيها جيوش حلب فاطلقوه فيمن أُطلِقَ مِن [V. 235 v] الاسرى وعاد الى بغراس ولم تزل في يد الداويه الى ان فتح السلطان الملك الظاهر صاحب مصر انطاكيه فتحه معها

١) ٢٥ ايلول – ٢٤ تشرين الاول ١١٨٨

٢) ١٨ كانون الثاني ١١٩٢ – ٧ كانون الثاني ١١٩٣

٣) ٢ ايار ١٢١٥ – ٢٠ نيسان ١٢١٦

٤) اقرأ ٦٣٤ = ٤ ايلول ١٢٣٦ – ٢٤ آب ١٢٣٧ . قد اغتنم الملك الكامل ، صاحب مصر، موت الملك العزيز، صاحب حلب، وحداثة سنّ ابن العزيز نفسه الملك الناصر يوسف ، فأخذ يمتدّ الى سورية .

٥) ٢٨ ايار – ٢٦ حزيران ١٢٣٧

٦) ٢٣ تموز ١٢٤٠ – ١٢ تموز ١٢٤١

وحدّثني شِفاهاً (صان الله من الغِير مُهجته وابقى لوجه الدهر ببقائه بهجته) انه لما قصد انطاكيه بعث سَرِيّةً من عسكره مُقدمها الامير شمس الدين ابن سُنقر السلحدار [الفرقاني][a] الى بغراس فلما وصل وخيم بالبحيرة التي تحتها حضر اليه رجل اخبره ان الداوية اخلوه ولم يبق به غير رجلين وامرأة فسيّر الى الحصن ثقة فاخبره بما ذُكر فدخله وتسلّمه في ثالث عشر شهر رمضان[1] وحمل السلطان اليه من الذخائر والغلال جملةً وولى فيه من يحفظه وهو الى عصرنا في يده

درب ساك

وهو حصن قاطع النهر الاسود على لحف جبل من جبل اللُكّام ليس لـه ذكر في الفتوح وانما حُدِّد في دولة الارمن لما ملكوا الثغور . طوله اكثر من عرضه يحيط به [V. 236] سور من حَجر ابيض منحوت ولم يزل بايديهم الى ان فتحه السلطان الملك الناصر صلاح الدين في ثاني شهر رجب سنه اربع وثمانين وخمس مائة[2] فاستمرّ في ايدي من مَلك حلب الى ان اقطعه الملك الظاهر من الملك الناصر الامير سيف الدين ابن علّم الدين فلما كانت سنة اثنين وتسعين[3] عمل من كان بهـا من الاسرا وكسروا القيود وفتحوا خزانة السلاح ولبسوا العُدد وقاموا في القلعة فاحتمى الوالي بها مع جماعة من الاجنـاد وقاتلوهم فعلم الملك الظاهر بذلك فخرج مُجِدّاً في السَير حتى وصل درب ساك فوجـد الوالي قد انتصر على الاسرا وقتلهم ثم اتفقت حادثة نذكرهـا عند ذِكرنا [B. 94] لمزاز اوجبت انتزاع درب ساك من نواب [سيف الدين بن[b]] علم الدين ثم اقطعها الملك الظاهر مملوكه الامير علم الدين قيصر الرومي وسلمه اليه فزاد في عمارته وحصّنهُ [وسكنه][c] وشنّ الغارات منـه على الارمن والفرنج وفي

a) بخط يختلف عن خط النسخة الاصلية

b) كُتبت على الهامش بخطٍ يختلف عن خط النسخة الاصلية

c) بخط يختلف عن خط النسخة الاصلية

١) ٢٨ ايار ١٢٦٨

٢) ٢٨ آب ١١٨٨

٣) ٦ كانون الاول ١١٩٥ – ٢٦ تشرين الثاني ١١٩٦

سنه خمس عشرة وستمائة[1] خرج السلطان عزّ الدين [V. 236 v] كيكاوس على الملك العزيز بن الملك الظاهر وتغلّب على اكثر بلاد حلب الشمالية فانضمّ اليه قيصر وصار من عسكره فسيّر اليه ،الّا ليستميل به اصحاب الملك العزيز . فلما هُزم كيكاوس ونزح عن البلاد اصرّ قيصر على العصيان فسيّر اليه الملك الاشرف ووعده وضمن له عن الملك العزيز ما يطيب به قلبه فاجاب وتسلم منه الحصن نأوب الملك العزيز ولم يزل في ايدي المسلمين الى ان استولوا التتر على البلاد وسلموه لهينوم[a] بن قسطنطين [الين] صاحب بلاد الارمن فعمره وشيّده فلما هجمت عساكر السلطان الملك الظاهر (اعز الله انصاره وضاعف اقتداره) بلاده في سنة اربع وستين[2] واسر ولده ليفون وبقي في اسر الى ان فادى به الامير شمس الدين سنقر الاشقر العلاى وتسلّم هذا الحصن السلطان الملك الظاهر مع ما تسلّم من الحُصون التي وقع عليها الشرط في الصلح وهو في يد نوابه الى عصرنا [V. 237]

حصنُ بُوقا

وهو حصن له كوره قريب من انطاكيه قال البلاذري[b] وبنا هشام بن عبد الملك حصن بوقا من عمل انطاكيه ثم جُدّدَ واصلح حديثًا[c].

ذكر تيزين

وهى مدينه صغيرة قديمه كان لها سور قد تهدّم واليها تُنسبُ الكورة وان كان فيها ما هو افين منها ولم تزل في ايدي المسلمين الى ان استولت الفرنج على انطاكيه وفي كورتها من المشهورة وقصبتها الان

ارتاح

وهي مدينة صغيره تهدّم سورها ولها حصن مَنيع وبها كنيسة كانت مقصودةً من النصارى يقال لها سنلقنه[d] ولها بساتين وعيون وارحا وقرًى وهى

a) B. هيثوم .V ; هنون
b) Balad., ed. de Goeje, p. 167
c) وهنا بياض يتجاوز الصفحة
d) B. سلقنة.

١) ٣٠ اذار ١٢١٨ – ١٩ اذار ١٢١٩

٢) ١٣ تشرين الاول ١٢٦٥ – ٢ تشرين الاول ١٢٦٦

الخطانية والبزغارية والمشنوفية وسنلقنة والجديدة ولم تزل في ايدي المسلمين حتى خوجت عن ايديهم مع انطاكيه و كانت قبل مضافة الى تيزين فلما خرجت تيزين صارت مضافة الى ارتاح ولم تزل في ايدي الفرنج الى فتحها مُعِزّ الدولة ابوعُلوان ثِمَال بن صالح بن مرداس في سنة اربع وخمسين [B. 94 v] واربع مائة[V. 238][1] [ثم اخذتها الفرنج منه في سنـة خمسين[2] في يوم الثلثا السابع عشرين من شعبان سنة ثمان وخمسين[3] فتحها المسلمون بالسيف ونهبوها] لانهـا كانت حينئذٍ قصبـه الكورة وقُتل فيها ثلثه الف رجل وكان فَتحُها عظيماً لانّ عملها متاخم من الفُرات ومن العاصي وافامية وانطاكية والاثارب وأحصى من قُتل في بقية السنة من الفرنج واسر فكان ثلثماية الف نفر ثم لم تزل في ايدي المسلمين الي سنة احدى وتسعين فأخذها الفرنج عند اخذهم لانطاكية وملكها الارمن فلم تزل في ايديهم الى سنة ثمان وتسعين[4] فقصدهـا الملك رضوان بن تاج الدولة تُتُش السلجوقي صاحب حلب فاخذها منهم ثم خرج طنكرى صاحب انطاكية واسترجع [من المسلمين] حُصُوناً كثيرة منها ارتاح بعـد وقعة كانت بينه وبين الملك رضوان كسره فيهـا ولم تزل في ايدي الفرنج الى سنة اثنين واربعين وخمس مائة[5] ففتحها وغيرها من الحصون المجاوره لها ولم تزل في يده الى ان كسر نور الدين [V. 238 v] الفرنج على ارتاح كسرهم اسد الـدين شيركوه فلما وصل اليها اركز رُمحه على بابها وقال ارمنان[a] فقال له نور الدين ارمنان وهبها له وذلك في سنه خمس واربعين وخمس مايه ثم ملكها اسد الدين[b]

a) B. رمنان   b) B. add. شيركوه

١) ١٥ كانون الثاني ١٠٦٢ – ٤ كانون الثاني ١٠٦٣

٢) اقرأ : الروم وسنة ٤٥٠ = ٢٨ شباط ١٠٥٨ – ١٧ شباط ١٠٥٩.

٣) ٢٤ تموز ١٠٦٦

٤) ٢٣ ايلول ١١٠٤ – ١٣ أيلول ١١٠٥

٥) ٢ حزيران ١١٤٧ – ٢٢ ايار ١١٤٨ . وهنا ايضاً يذكر ابن شدّاد تاريخاً مغلوطاً فيه ٥٤٥ = ٣٠ نيسان ١١٥٠ – ٢٠ نيسان ١١٥١ Cf. Ib. Atir, *H. Or.*, I, 461 وارمنان يعني « هدية ».

لولده ناصر الدين محمد [فات وترك ولده الملك المجاهد اسد الدين شيركوه وزوجته ست الشام ابنة نجم الدين ايوب اخت صلاح الدين وبنتاً تسمى بيدة خاتون] فاشترى الملك المجاهد ما خصّ اخته[a] وانتقلت عنه بالوفاة لولده الملك المنصور ابرهيم فات ابرهيم عن ابن وبنت الملك الاشرف موسى وتوفّي الملك الاشرف[b] وخلف ما يخصّه لاخته المذكورة ولنسائه الثلث وعنه الملك الزاهر مجير الدين داوُد فباع[c] الجميع منهما ثلثه وعشرين سهما[d] لامير بدر الدين بيسرى الظاهري الشمسي عتيق شمس الدين سُنقر عتيق الملك الصالح نجم الدين [وهي الان بيده]

ذكر رعبان

[V.239] وهي مدينة صغيرة قديمة البناء. ولها قلعة حسنة وكان لسيف الدولة بن حمدان بها وقعة مع الروم بينها وبين الحدث سبع فراسخ(١). وكانت الزلازل قد اخربتها وجلا اصحابُها عنه واندرس اثرها وملكها الروم في ايام سيف الدوله فانهض اليها العساكر والصُّناع وانفق عليها الاموال الجسيمة حتى بناها في مدّه شهر والحرب بينه وبين [B. 95] الروم واقعه وكان خليفته على البناء والجيش ابو فراس وبعد ان بناها قصدها الدمستق ونزل عليها فسار اليه سيف الدولة واوقع به وهزمه واخذ اسلحتهُ وتركها في المدينه تقويه لاهلها وفي ذلك يقول ابو فراس

وسوفَ على رغم العدوّ يُعيدُها[e] مُعوّدةً ذا الثغر والثغر داثِرُ

ولم تزل رعبان في ايدي المسلمين الى ان صالح ترغوية صاحب [V.239 v] حلب غلام سيف الدولة في شهر رمضان سنة تسع وخمسين وثلثمائة(٢) ملك الروم وقطع عليه قطيعةً يزنها له وحدّدوا البلاد فدخلت رعبان في حدّ الروم ولم

a) B. ابنته b) B. add. موسى
c) B. قباع d) B. add. ونصف
e) Ibn Sihna (ed. Sarkis), p. 223 نعيدها بمودة ذى الثغر وذا الثغر داثر

١) يساوي الفرسخ العربي تقريباً ٥٧٢٠ متراً Decourdemanche *Traité pratique*, 89
٢) ٨ تموز ١ آب ٩٧٠

ترل بايدي الروم الى سنة ثمان وخمسين واربع مائة[1] فتزل افشين التركى على دُلوك فملكها وملك رعبان ولم ترل فى ايدى المسلمين تارة وفي يد الروم اخرى ثم كانت في ايديهم الى ان فتحها السلطان مسعود بن قليج ارسلان من يد نوّاب جوسلين سنة خمس واربعين وخمس مائة[2] وما زالت في يده الى ان توفّى وملك ابنه قليج فقصدها نور الدين محمود بن زنكي فاخذها بالسيف ومعها دلوك وكيسوم ومرعش في سنه خمسين وخمس مائة[3] من نوّاب قليج ارسلان فعتبوا عليه وذكّروه ما كان بينه وبين السلطان مسعود من العُهود فردّها عليه ثم في سنه اربع وخمسين[4] تسلّم نور الدين رعبان وكيسوم وبهسنة ودلوك ثم كانت فى يده الى ان مات وانتقل الملك لولده الملك الصالح ثم الى الملك الناصر صلاح الدين ثم الى الملك الظاهر ولده ثم الى ولده الملك [V. 240] العزيز فخرج من الروم عزّ الدين كيكاوس صاحب الروم فى شهر ربيع الاول[5] وقصد رعبان فاخذها مع غيرها من البلاد الاتى ذكرها مُفصّلا فوصل الملك الاشرف من حصن الاكراد لانجاد الملك العزيز فرحل عزّ الدين عن منبج وكان قد ملكها ثم رحل الى رعبان فاخذها وسلّمها للملك العزيز ولم ترل في يده الى ان توفّى وملكها ولده الملك الناصر ولم ترل في يده الى ان كانت فتنة التتر وانقضت الدولة فتسلّمها التتر واحرقوا قلعتها ودفعوها لتقفور صاحب سيس فعمرها ولم ترل في يده الى ان استولى عليها السلطان الملك الظاهر فيما تسلّمه من البلاد المتاخمة لبلاد سيس فخربها واسكن ربضها التركمان وهو بهم عامرًا

١) ٣ كانون الاول ١٠٦٥ — ٢٢ تشرين الثاني ١٠٦٦

٢) ٣٠ نيسان ١١٥٠ — ٢٠ نيسان ١١٥١

٣) ٧ اذار ١١٥٥ — ٢٥ شباط ١١٥٦ انتهز نور الدين فرصة تمليك قليج ارسلان الثاني سلطان الروم لينتزع منه بعض الحصون.

٤) ٢٣ كانون الثاني ١١٥٩ — ١٢ كانون الثاني ١١٦٠

٥) ٢٨ ايار — ٢٧ حزيران ١٢١٨، انظر النبذة عن بغراس.

ذكر دُلوك

قال ابن ابي يعقوب[a] [B. 95 v] ورعبان ودلوك كورتان [V. 240 v] متقاربتان واما دلوك فهي مدينة قديمة لها ذكر وكانت عمارةً ولها قلعة من بناء الروم علية مبنية بالحجارة وكان بها قناة قد رُكبت على قناطر يصعد الماء عليها الى القلعة وحولها ابنية عظيمة حسنة منقوشة في الحجر وحولها مياه كثيرة وبساتين كثيرة الفواكه[b] ويُقال انّ مقام داود عليه السلم كان بها وانه جهّز الجيش الى قورس وقتل اوريا ابن حنان[1] وقد خربت المدينة والقلعة وبقيت قرية بها فلّاحون واكره قال البلاذري : وبعث عياض بن غنم الى ناحية دلوك ورعبان فصالحه اهلها على مثل صلح منبج وشرط[c] عليهم ان يبحثوا[d] عن اخبار الروم ويُكاتبوا بها المسلمين .

وصلح منبج كان على الجزية او الجلاء. ولم تزل في ايدي المسلمين الى ان فتح الروم حصن دلوك سنة احدى وخمسين وثلثمائة[2] ولم تزل في ايديهم الى ان كانت سنة ثمان وخمسين[e] واربع مائة[3] خرجت طائفة من الترك كثيرة فنزل بعضها على دلوك وملكوها واغاروا على البلاد [V. 241] واخربوها وكان مقدّمهم الافشين بن يحيي وكان سبب خروجه ان الملك العادل الب ارسلان غضب عليه لانّه في خدمته خادم كان زعيم بعض عساكره فقتله وعبر الفرات

ثم ملكتها الارمن وبقيت في ايديهم الى ان فتح سليمان ابن قتلميش البلاد منهم سنة سبع وسبعين واربع مائة[4] ولم تزل في ايدي المسلمين الى ان ملكتها الروم سنة احدى وتسعين [كذا] ولم تزل في ايديهم الى ان فتحها عزّ الدين مسعود بن قليج ارسلان فنجده نور الدين محمود ابن زنكي من

a) *BGA*, VII, 363 (d'après b. Šiḥna)

b) cf. add. منها

c) Baladori, de Goeje, p. 150 اشرط

d) Bal. يتجسّوا

e) B. ستين

١) cf. II, Sam., XI

٢) ٧ شباط ٩٦٢ — ٣٠ كانون الثاني ٩٦٣

٣) ٣ كانون الاول ١٠٦٥ — ٢٢ تشرين الثاني ١٠٦٦

٤) ١٠ ايار ١٠٨٤ — ٢٩ نيسان ١٠٨٥

جوسلين في سنة اربع واربعين[1] ثم كانت سنة خمسين وخمس مائة[2] فخرج نور الدين الى جهة الشمال ففتح دلوك كما قدّمنا وخربها ثم كانت قرية كما قدّمنا حكايته وصارت مضافة الى عين تاب وقد ذكرنا عين تاب فيما تقدّم ولم يبق لها ذكر بمفردها

ذكر قورس

وهي مدينة قديمة من بناء الروم وبها اثار عظيمة ويُقال انّ بها قبر اوريا بن حنان ولها ذكرٌ في الفتوح قال البلاذرى فيما حكاه عن مشايخ الشام قالوا[a] وسار ابو عبيده يُريد قورس [B. 96] وقدّم امامه عياضاً فتلقاه راهبٌ من رُهبانها يسأل الصلح عن اهلها فبعث به الى ابي عُبيده وهو بين جبرين وتل عزاز فصالحه ثم أتى قورس فعقد لاهلها عهداً واعطاهم مثل الذى اعطى اهل انطاكية وكتب للراهب في قرية له سرقتنا[b] وبثّ [بعث] خيالـه على جميع ارض قورس الى اخر حدّ نقابلس[c] قالوا وكانت قورس كالمسلحة لانطاكية يأتيها كل عام طالعة من جندها[d] ومقاتليها ثم حوّل اليها رُبع من ارباع انطاكية وقُطعتْ الطوالع عنها ولم تزل في ايدي المسلمين الى ان اخذها جوسلين في سنة[e] ولم تزل في يده الى ان ملكها نور الدين محمود بن زنكى بعد قتله جوسلين[3] فخربها وهي في عصرنا كورةٌ تحتوي على ضياع يعمل خَراجها خبز [V. 242] اربعين طواشياً مع خاص مُقدّمهم لكل طواشي اربعة الف درهم ولمقدمهم ثُلث الخراج قال البلاذرى ويقال ان سلمان[f] بن

a) Bal., éd. de Goeje, 149. b) Bal. كتاباً في قرية له تدعى شرقينا
c) B. صديقا بلس d) Bal. جند انطاكية e) بياض في الاصل f) B. سليمن

١) ١١ ايار ١١٤٩ – ٣٠ نيسان ١١٥٠

٢) ٧ اذار ١١٥٥ – ٢٥ شباط ١١٥٦ – يضع كمال الدين Trad. de Blochet [*ROL*, III, p. 526] فتح دلوك في ٥٤٧ . ولكن تواريخه غير ثابتة هنا . فقد كتب مثلًا (p. 524) ان نور الدين اخذ تل باشر في ٥٤٥ وبعدئذ (p. 526) يقول ان نور الدين لم يأخذ تل باشر الا بعد دخوله دمشق الذي يضع تاريخه في ٥٤٧ !

٣) وقد اختفى اثر جوسلين الثاني في ١١٤٨ C. de Mas Latrie, *Trésor de Chronologie*, 2211

ربيعة الباهلي كان في جيش ابى عُبيده مع ابى امامه الصُّدَي بن العجلان صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلم فنزل حصناً بقورس فنُسب اليه فهو يُعرف بحصن سَلمان قال وقيل ان سلمان بن ربيعة كان غزا الروم بعد فتح العراق وقبل شخوصه الى ارمينية بعسكر[a] عند هذا الحصن[b] فنُسب اليه قال[c] وسمعتُ من يذكرُ ان سلمان هذا رجل من الصقالبة[d] الذين رتبهم مروان بن محمد بالثغور وكان فيهم زياد الصقلبي فنُسب اليه هذا الحصن.

ذكر كَيسوم

ذكرها ابن ابى يعقوب وعدّها في كتاب البلدان من العواصم وكانت مدينة كبيرةً قديمةً وولايةً واسعةً عظيمةً. وكان حُصنها حصيناً وبناؤه قوياً ركيناً عصى [V.242 v] فيها على المأمون نصرُ بن شبيب العُقيلي فسيّر اليه طاهر بن الحُسين فلقيه نصرٌ وكسره وعاد طاهر مَفلولاً واصرّ نصر على عِصيانه فسيّر اليه المامون عبد الله بن طاهر فحصره بها الى ان فتحها وخرّب الحصن وبقيت المدينة وهي الان قرية بينها وبين الحدث سبع فراسخ عامرةٌ فيها الفلاحون واستولى عليها صاحب سيس مع ما استولى عليه من الثغور والحصون المجاوره لبلاده

ذكر منبج

وهي مدينة حسنة البناء صحيحة الهواء كثيرة المياه والاشجار يانعه البقول والثمار واهلها حلق حسنة ويقال انها كانت مدينه الكهنة ودورُها واسوارها مبنية بالحجارة ولم تزل اسوارها في اكمل عمارة وقال ابن حوقل[e] : ومنبج قرية الى الثغر [B 96 v] ومنها الى الفرات مرحلة خفيفة ومنها الى قورس مرحلتان ومنها الى ملطية [V. 243] اربع ايام. وذكر ابو جعفر احمد ابن

---

a) Bal. 150, فعسكر   b) Bal. add. وقد خرج من ناحية مرعش

c) Bal., p. 150 وسلمان وزياد من الصقالبة الذين رتبهم مروان بن محمد في الثغور وسمعت من يذكر ان سلمان هذا الرجل من الصقالبة نُسب اليه الحصن والله اعلم

d) B. الصقاليه

e) *BGA*, II, 127 . . . ومنبج مدينة قريبة من الثغور ومنها

جبير في رحلته مدينـة منبج حرسها الله تعالى فقال بلدة فسيحة الارجاء صحيحة الهواء يحويها[a] سور عتيق ممتدّ الغاية والانتهاء جوّهـا صقيل ومجتلاهـا جميل ومحلاها[b] ارج النشر عليل نهارها يندى ظلّهُ وليلها كما قيل فيها[c] سحر كله يحفّ بغربيها وشرقيها بساتين ملتفة الاشجار مختلفة الثار والمآء يطرد فيهـا ويتخلّل جميع نواحيها . قالتُ : وفيها يقول ابو فراس بن حمـدان يصف متنزهاتها[d] [رجز]

قف في رسوم المستجـا ب وحيّ اكناف المصلّى
فـالجوسق الميمون فـاا ـسقيـا بهـا فالنهر اعلا
تلـك المنـازل والمـلا عب لا اراهـا الله محـلا
حيث التفتّ وجـدت مـا ء سايحًا ووجـدت ظـلّا
وتحـل بالجسر الجنـا ن وتسكن الحصن المعلّى
تجـلو عرائسه لنـا هرج الـذباب اذا تجلّى
واذا نزلنـا بالشرا جير اجتنينـا العيش سهـلا
والمـآء يفصـل بين رو ض الزهر في الشطين فصلا
كبساط خزّ جردت ايـدي القيون عليـه نصلا

وقال ابو زيد احمد بن سهل البلخي في كتاب صوره الارض والمدن[e]

---

a) GMS, V, 248 يحف بها   b) نسيمها   c) فيه
d) والقصيدة حسب رواية ديوانه ، طبع نخلة قلفاط [بيروت ١٩١٠] ٨٩ ، وعند ابن شداد تُقرأ كما يأتي :

قـف بالرسوم وحيّي اكناف المصلى
فالجرس والنسور فالسقيا بها فالنهر الاعـلى
تلك الملاعب والمناز ل لا اراها الله محلا
حيث التفتّ وجدت مآ ء سايحا وسكنت ظلا
بزداد وادى عين قا صر مترلّا رحبًا مُطلا
وتحل بالجسر الجنا ن وتسكن الحصن الملّا
يجلوا عرائسه لنا مرج احسن العيش سهلًا . . . [V. 243 v]

e) BGA, I, 62

واما منبج فهي مدينة في برّية الغالب على مزارعها الأعذا.[a] وبقُربها سنجة[b] وهى مدينةٌ صغيره بقربها قنطرة حجارة تُعرف بقنطرة سنجه ليس فى الاسلام قنطرة اعجب منها وقال ابن ابى يعقوب في تعداد كور قنسرين والعواصم[c] وكورة منبج وهى مدينه قديمة افتُتحت صلحاً صالح عليها عمرو بن العاص وهو من قبَل ابي عبيده بن الجراح[١] وهى على الفُرات الاعظم وبها[d] منازل وقصور لعبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس قلتُ ويُويّد بما ذكره ان الرشيد لما دخل منبج قال لعبد الملك بن صالح وكان اوطنها هذا منزلك قال هو لك ولى بك قال وكيف بناوه قال دون منازل اهلي وفوق منازل الناس قال فكيف طيب منبج قال عذبه [V. 244] الماء عذيّة الهوآء قليله الادوآء قال فكيف ليلها قال سحر كُلّه[٢]

ذكر مَن بناها

قال محبوب بن قسطنطين[e] فى كتاب الذي [B. 97] وضعه فى اخبار ملوك الروم كانت حياة اسحق بن ابرهيم صلى الله عليهما الى احدى وثلثين سنةً[f] من مولد لاوى بن يعقوب وفي ذلك الزمان بنت الملكة سمرين بيتاً عظيماً اقبوس[g] الصنم في مدينة على شاطى الفرات واقامت له من الكهّان سبعين رجلًا وسُمّيت تلك المدينة ابرولوس الذى تفسيره مدينة الكهان وهى

a) add. *BGA*, ومنها البحتري الشاعر فثابت ابنه بجا وسكانحا عرب

b) Vat. سبخه

c) *BGA*, VII, 363 (!!) حسب ابن الشحنة

d) ينص عند ابن الشحنة الى « قلت »

e) cf. *P.O.* V, pp. 663 sq.

f) *P. O.* ماية وثمانين سنة الى تمام احد وثلاثين

g) *P.O.* اقرأ قيوام (*Enc. Islâm*, art. *Manbij*) E. Honigmann قيوس وحسب

١) اطلب L. Caetani, *Annali dell'Islâm*, 816 : La spedizione di Menbij fu compiuta, a quanto pare, dopo la caduta di Antiochia e quindi dovremmo attribuire la sottomissione di Menbij, all'opera del solo 'Iyâd b. Ġanm

٢) انظر G. W. Freytag, *Selecta*, p. 17

مدينة منبج العتيه وفي بعض التواريخ المدوّنة : ولما كانت سنة خمسين من ملكه يعني بخث نصر قتــل فرعون الاعرج ملك مصر واسمه يوياقيم وكان فرعون قد احرق مدينه منبج ثم بنيت بعد ذلك وسميت ابروقيس وتفسيره مدينــه الكهنه ويُقال ان اسمها كان اوّلا سرياس ثم سُميت ابروقيس وقال كمال الدين بن العديم [V. 244 v] في كتابه اخبرنا ابو المظفر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن محمد ابن منصور السمعاني في كتابه الىّ من مرو[a] قال اخبرنا ابو سعيد اجادة قال ومنبج بناها كسرى حين غلب على ناحيه الشام مما كان فى ايدى الروم وسماها منبه وبنى بها بيت نار ووكل بهـا رجل يُسمّى يزدانيار من ولد اردشير بن بابك ومَنْبَهْ بالفارسيه انا اجوَد فعرَّبته العرب وقالوا منبج ويُقال انما سُمى منبَه بيت النار [فقلب على اسم المدينه قال ومنبج اسم البلد اعجمّى وقد تكلّموا به] ونسبوا اليه الثياب المنبجانية

ذكر ملوكها

قد قدمنا قول ابن ابى يعقوب في فتحها وخالفه البلاذرى فقال : وقدم ابو عبيده عياض[b] بن غنم الى منبج ثم لحقه وقد صالح مثل صلح انطاكية وقال ايضاً وقربه جسر منبج ولم يكون الجسر يوميذٍ انما اتخذ في خلافه [V.245] عثمان رضى الله عنه . ولم تزل منبج تنتقل فى ايدى من يلى حلب والعواصم مــدة بنى اميّه وفي ايام بنى معباس على ما ياتى مُفصّلاً فى اخبــار ولاة حلب الى ان وقع بين المعتمد بالله وبين احمد بن طولون المتولّى لمصر ولعنه المعتمد على المنابر ولعن ابن طولون المعتمد على منابر الاعمال التى في يده وخرج اليه من مصر في سنة اربع وستين ومايتين[1] فقصد حلب وكان مُتوليهـا من قبل المعتمد سيما الطويل احد موالى بنى العباس وقوّادهم فخرج من حلب هـاربًا الى انطاكيه فحصره فيها فقتله كما قدّمناه آنفاً . فاستولى على ما كان في يده من البـلاد وهى جند حمص وجند قنسرين والعواصم كلها وولّاهـا غلامه لولو ورجع الى

a) B. الى بن مرو

b) Bal. 180, عياضا

١) ١٣ ايلول ٨٧٧ — ٣ ايلول ٨٧٨

مصر فمضى عليه لولو [V. 97 v.] فخرج اليه فهرب لولو فولاها عبد الله بن ابى الفتح ثم تُوُفّى احمد فى سنه سبعين ومايتين[١] وولى ولده ابو الجيش خماروية فولى الشامات طغج ابن جُف الفرغانى وتوفى خمارويه سنه اثنين وثمانين[٢] وولى ولده ابو العساكر جيش فاقرّ طغج والياً على مـا بيده [V. 245 r] ثم عزل جيش عن ولايه مصر وولى هرون اخوه فسلم حلب والعواصم الى المعتضد فولى فيها من قِبَلـه . ولم تزل في ايدى نواب بنى العباس الى ان ولى القايم الخلافه فولاها نشرى الخادم فخرج اليه محمد بن طغج من مصر فلقيـه على حمص فاخذه وخنقه فولى القايم ابا العباس بن كيغلغ فوصل الى حلب واتفق مع محمد بن طغج وحالفه وتغلب محمد على شام كله الى ان اخرج ابو بكر محمد بن رايق لقتاله[a] في سنه ثمان وعشرين وثلثمايه[٣] فواقعه مرتين ثم كانت الثانيه على ابن رايق فانهزم في نُوَيس على الجفار وسار كافور الخادم مولى محمد بن طغج الى حلب فملكها والعواصم وقد قدّمنا هذا كله وانما الجانا لذكره فى هذا الموضع لانّا جعلنـا لكل مدينه مُسيّر تاريخ يستغنى بـه عن غيره[٤] ثم كان تغلّب ناصر الدوله الحسن بن حمدان على الشامات منابذاً المتقى فلما بلغ محمد بن طغج ذلك قصده من مصر فخرج عن حلب هارباً ودخلهـا محمد وراسله المتقى وهو بالرقه هـارباً من توزون التركى على ان يعاضده عليـه فسار اليه واجتمع [V. 246] به فاكرمه وقلّده ما بيده من البلاد ثم رجع عنه الى مصر فقصد سيف الدوله حلب والعواصم وملكها واخرج عنها نايب محمد بن طغج وولى ابو فراس منبج فلما كانت سنة ثمانٍ واربعين وثلثمايه[٥] خرج منها مُتَصيّدًا في سبعين فارساً فصادفته الروم وقد اغاروا على بلد منبج وكانوا زُهى الف فارس يقدّمهم تودرس بن اخت ملك الروم فاشاروا اصحاب ابى فراس عليه بالهزيه فابى وثبت حتى اثخنَ جراحاً واسروه ومَضوا به الى قسطنطينية وفي هذه الواقعة يقال[٦][b]:

a) B. خرج الى قتاله   b) B. add. شعر

١) ١١ تموز ٨٨٣ – ٢٩ حزيران ٨٨٤   ٢) ٢ اذار ٨٩٥ – ١٩ شباط ٨٩٦

٣) ١٨ تشرين الاول ٩٣٩ – ٦ تشرين الاول ٩٤٠

٤) انظر صدرا النبذة عن انطاكية.   ٥) ١٤ اذار ٩٥٩ – ٤ اذار ٩٦٠

ما للعبيد من الذى يقضى به الله امتناع
ذُدتُ الاسُود عن الفرا يس ثم تَفرُسُنى الضِباع

ثم خُلص في سنه خمس وخمسين وثلثمائه[١] [ولم تزل في يد بني حمدان الى ان انتهت دولتهم في حلب [لولو او بعده]

وفي سنه ست واربع مائة[٢] نادى الفتح بقلعة حلب بشعار الحاكم وعصى بها وصالح [B. 98] صالح بن مرداس على مُناصفات ظاهر البلد واستولى صالح على بلاد منبج وحلب ولم تزل في يد بنى مرداس وهى في تَخلَل ايامهم تارةً يتغلّبون عليها نواب اصحاب مصر واخرى بنو مرداس الى ان [V. 246 v] قصدتها الروم فاخذوها واحرقوها في سنه اثنين وستين واربع مائة[٣] من يد سابق بن محمود بن مرداس ثم عمرها وبقيت في ايديهم سبع سنين وفي سنه ثمان وستين واربع مائة[٤] فتح ملك بن نصر بن محمود بن مرداس منبج ثم اخذها منه في سنه سبعين[٥] تاج الدولة تُتُش ثم ملكها حسان بن كمشتكين البعلبكى فى سنه اربع وثمانين واربع مايه[٦] قال الشيخ ابو الحسن يحيي بن على بن محمد التُنوخى [المقرى][a] فى تاريخه وذكر حوادث سنه ثمان وثمانين واربع مائه[٧] ان يوسف ابن ابق كان قد استأمن الى فخر المُلك رضوان بن تُتُش صاحب حلب فارس رئيس حلب بقتاله فقتلهُ وكان في اقطاعه منبج وبزاعا فتسلّمها فهذا مما يدُلُّ على ان حساناً ملك منبج بعد هذا التاريخ وان تاج الدوله

a) B. العبرى .V المرى (وقد حُكّت القاف)

١) ٢٨ كانون الاول ٩٦٥ – ١٧ كانون الاول ٩٦٦

٢) ٢١ حزيران ١٠١٥ – ١٠ حزيران ١٠١٦ . اطلب في تغيير حكام حلب في ذلك الوقت E. de Zambaur, *Manuel de Généalogie..*, p. 33

٣) ٢٠ تشرين الاول ١٠٦٩ – ٩ تشرين الاول ١٠٧٠ . ويذكر بعض المآخذ اليونانية Romain IV Diogène فتح منبج في سنة ١٠٦٨ . اطلب وعارض تواريخ E. Honigmann, *art. cité.*

٤) ١٦ آب ١٠٧٥ – ٥ آب ١٠٧٦ ٥) ٢٥ تموز ١٠٧٧ – ١٤ تموز ١٠٧٨

٦) ٢١ شباط ١٠٩١ – ١٢ شباط ١٠٩٢

٧) ١١ كانون الثاني – ٣١ كانون الاول ١٠٩٥

تتش قطعها يوسف بن ابق وما زالت في يده الى ان قصده عسكر من جهة نور الدين بلك بن عاني بن بهرام بن ارتق[a] صاحب حلب لشيء بلغه عنه ورتب معهم انهم يمرّوا بمنبج ويطلبوا [V. 247] حساناً ان يخرج معهم للاغارة على تل باشر فاذا خرج قبضوه ففعلوا ذلك ودخلوا منبج فعصى عليهم الحصنُ ودخله عيسى اخو حسان واخذ حسان وحُبس في حصن خرت برت[1] بعد ان عوقب وعُرّي وسُحبَ على الشوك وحوصر عيسى في القلعة فنادى بشعار جوسلين ملك الفرنج فلما بلغ جوسلين ذلك حشد من كل الاقطار وقصد منبج في زهي اثرة الف فارس وراجل ليرحل عسكر بلك عنها فسار اليه بلك والتقيا يوم الثنين ثمان عشر شهر ربيع الاول[2] فاقتتل العسكران فانهزم الفرنج وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون الى اخر النهار ثم اصبح وقتل من اسر وركب يرتاد موضعاً لنصب المنجنيق على حصن فجاءه سهمٌ في ترقوته يُقال انه كان من يد عيسى فانتزعه بيده وبصق عليه ومات لوقته فحُمل الى حلب فدُفن بها . فلما قُتل وصل داود بن سكمان فاطلق حساناً واعاده الى منبج ولم يزل في يده الى ان تُوفّي سنه تسع واربعين وخمس مائة[3] ووليها ولده سيف الدين ايوب [V. 247 v] ولم يزل بها الى ان توفي في سنه اثنتين وستين وخمس مائة[4] في زمن نور الدين محمود بن زنكي وكان بيده قلعة الجسر فوليها ولده غازى بن ايوب وعصى على نور الدين فنهد عليه عسكراً كان مُقدمه مجد الدين [B. 98 v] ابو بكر بن الدايه واسد الدين شيركوه فقاتلاه حتى تسلّماها منه وقلعتها وقلعة الجسر وذلك في سنه ثلث وستين[5] وابقى عليه سروجاً فسار نور الدين الى منبج ثم عبر الى الرها وكان بها قطب الدين اينال بن حسان

---

a) B. om. ابن ارتق

١) يني حصن زياد . حسب كمال الدين *H. Or.*, III, 641 بانوا

٢) حسب كمال الدين (*l. c.*) في ١٨ ٥١٨ = ١٩ شباط ١١٢٤ – ٧ شباط ١١٢٥

٣) ١٨ اذار ١١٥٤ – ٧ اذار ١١٥٥

٤) ٢٨ تشرين الاول ١١٦٦ – ١٧ تشرين الاول ١١٦٧

٥) ١٧ تشرين الاول ١١٦٧ – ٦ تشرين الاول ١١٦٨ قابل بكمال الدين *ROL.*, III, 543 sq.

فتسلّمها منه وعوضه عنها منبج وقلعة جسر وتُعرف الان بقلعة نجم ثم اخذ منه القلعه وابقى عليه منبجاً ولم تزل فيـده الى ان كسر السلطان الملك الناصر عسكر الملك الصالح اسمعيل بن الملك العادل ودخل الملك الصالح منهزماً وذلك يوم الخميس العاشر من شوال سنه احدى وسبعين وخمس مايه[1] حلب في خبر يطول ذكره هنا ونحن نستوفيه في اسرا حلب ان شا الله ثم سار ونزل منبج فحاصرها في التاسع وعشرين من شوال[2] وبها قطب الدين المذكور وكان قبل شديد العداوة [V. 248] للملك الناصر وفي نفسه منه حزازات فحاصرها حتى اخذها فبقيت القلعه فنقبها النقّابون وملكها عنوة[a] واسر قطب الدين ثم اطلقه فيما بعد وقُطب الدين هذا هو الذى بنى بمنبج المدرسه الحنفيه فلما فتحها اطلقها لامير يُعرف بالدويك ثم اخذها منه سنه اربع وسبعين وخمس مايه[3] واقطعها الملك المظفر تقى الدين عمر بن اخيه مع حماه وافاميه والمعرّة وقلعة نجم ولمّا مات الملك المظفر بحرت بوت سنه سبع وثمانين[4] اقطعها السلطان الملك الناصر ولده الملك المنصور ما كان بيد والده من البلاد خلا افاميه فانها اقطعت لعز الدين ابرهيم بن شمس الدين محمد المعروف بابن المُقدّم واستمر منبج في يد الملك المنصور الى ان حاصر قلعه بارين واستولى عليها من نواب عزّ الدين بن المقدّم ثاني عشرى ذى القعده سنه تسع وثمنين وخمس ماية[5] وجرح[a] عليها ولما اتصل ذلك بالملك العادل كتب الى الملك المنصور واشار عليه بان يُعوّض عز الدين [V. 248 v] عن بارين منبج وقلعه نجم فتسلّمها فلم تزل منبج بيد عز الدين الى ان توفى فى ثامن عشر المحرّم سنه ست وتسعين[6] وترك بها ولده شمس الدين محمد وذلك فى ايام الملك الظاهر فجرّد الملك الظاهر عسكرًا

a) B. خرج

١) ٢٣ نيسان ١١٧٦ ٢) ١١ ايار ١١٧٦

٣) ١٩ حزيران ١١٧٨ – ٨ حزيران ١١٧٩

٤) ٢٩ كانون الثاني ١١٩١ – ١٨ كانون الثاني ١١٩٢

٥) هنا يعطي ايضاً ابن شداد تاريخاً خصوصياً. عارض بأبي الفداء (*H. Or.*, IV, 249) و G. Weil, *Geschichte der Chalifen*, III, 434

٦) ٩ تشرين الثاني ١١٩٩

وسار الى منبج فنازلها فى تاسع عشر من شهر رجب سنه سبع[1] فتسلمها بالامان واخربها واخرب قلعتها وقبض على شمس الدين وعلى اصحابه واقاربه وحبسهم بقلعه [B. 99] حلب وتسلم قلعه نجم من سعد الدين بن فاخر وكان بها نايباً عن ابن المقدّم واقطعه قريه مَاير[b] من اعمال عزاز ووهب قلعه نجم للملك الافضل وكان في خدمته ولما عاد الملك الظاهر الى حلب بعد فتح منبج اقام اياماً ثم خرج منها قاصدًا لحصار الملك العادل فسيّر الملك العادل يستنجد ولده الملك الكامل وكان على ماردين فسيّر الملك الكامل اخاه الملك الفايز فلما عبر الفُرات اخذ منبج وعبث ببلاد حلب فلما اتفق الصلح بين الملك الظاهر والملك العادل عادت اليه منبج وذلك في [V. 262] سنه ثمان وتسعين[2] ولم تزل منبج فى يد نواب الملك الظاهر مده ايامه ومده من ايام ولده الملك العزيز الى سنه خمس عشره وستمايه[3] قصد كيكاوس صاحب الروم حلب واعمالها ومعه الملك الافضل نور الدين علي صاحب شُميساط فنزل على منبج واخذها مع غيرها من البلاد وخُطب له بها ثم خرج عنها بعد ايام قلايل لما قصده الملك الاشرف موسى ابن الملك العادل وعادت الى الملك العزيز وكانت في يده ثم فى يد ولده الملك الناصر سلاح الدين من بعده الى ان كان اليوم الرابع عشر من شهر ربيع الاخر سنه ثمان وثلثين وستمائة[4] قصدت الخوارزمية منبج وهجموها وقتلوا اكثر من فيها وسبوهم وكانت قد انتهت في العماره في دولتى الملك العزيز والملك الناصر ثم جرى على الخوارزميه ما نحن ذاكروه ان شا الله تعالى وعادت منبج الى الملك الناصر واستمرت في يده الى ان استولت التتر على بلاد وانقضت دولته ثم لما انهزمت التتر بين يدى السلطان الملك المظفر قُطز التركى عادت حلب واعمالها اليه ثم [V. 262 v] انتقلت بقتله الى مولانا السلطان الملك الظاهر ابى فتح بيبرس ملك مصر والشام ولكنها خربت على يد التتر وفيها

b) B. مايرين

١) ٢٥ نيسان ١٢٠١
٢) ١ تشرين الاول ١٢٠١ – ٢٠ ايلول ١٢٠٢
٣) ٣٠ اذار ١٢١٨ – ١٩ اذار ١٢١٩ ٤) ١٣ تشرين الثاني ١٢٤٠

نفر من التركمان قلياون لا يتجاوزون المائة بعد ان كان يُجبى[a] منها فى كل سنة اديوان السلطان ما هذا تفصيلهُ: العرصة ٩٠ ٠٠٠، الجهة المستجدة ٤٠ ٠٠٠، سوق الغزل ٨ ٠٠٠، صبغ الاورق ١٣ ٠٠٠، صبغ الملوّن ٥ ٠٠٠، الافراح ٩٠ ٠٠٠، سوق الغنم ٣٥ ٠٠٠، فندق القزّ ١٥ ٠٠٠، معصرة الشيرح[b] ٣ ٠٠٠، الطارى ٦٠ ٠٠٠ دلالة الدواب ٦٠ ٠٠٠، الختم والسمسرة ١٣ ٠٠٠، طواحين الغمض ٤ ٠٠٠؛ المادنة ١٠٠ ٠٠٠؛ طواحين الساجور[1] ٢٠ ٠٠٠ الموارث ٥٠ ٠٠٠ ــ فذلك خارجاً عن الضواحي خمس مائة الف وعشرة [B. 99 v] الف درهم [كذا]

وقد ذكرنا من امر هذه العواصم بما اقتدينا في ترتيبه على مبا [V. 263] رتبه من عليه في ذلك المعوّل من اهل الصدر الاوّل واتينا بما امكنا منه القدرة والاستطاعة وجرينا فيه طلق الادراك لنيل الاغراض المطاعة ولا ندّعى الحصر والاستقصاء. ولا خرجنا عما رسمه الثقات ممن دوّن الاخبار والانبآء. وقد تغيرت معالم هذه الحصون وذاع من سر خرابها ما كانت العمارهُ له تصون ولا عجب فان الايام مُدنيات كل جديد الى البلاد[c] وقاضيات على الاوطان بالخراب وعلى القطان بالجَلا

واما قلعة نجم

فانها كما قال القاضى الفاضل في بعض رسايله ووافينا قلعه نجم وهى نجم في سحاب وعُقاب في عِقاب وهامة" لها الغمامةُ عمامه وانملة" اذا خضبها الاصيل كان الهلالُ لها قلامَةْ . وكانت قديماً تُعرف بجسر منبج وهى على شاطى الفُراتِ والجسر في ذيلها ولم تزل بُليدةً صغيرة فى صدر الاسلام الى ان عمرها نجم غلام جنى الصفوانى بعد [V. 263 v] الثلثمايه[2] تقريباً وهى قلعة حسنه

a) B. يجى
b) B. سيرج
c) V. البلا

١) نهر يصبّ في الفرات في الشمال الشرقي من منبج.
٢) ١٨ آب ٩١٢ – ٧ آب ٩١٣

حصينة لما ظاهرٌ باهرٌ للطرف قاصرٌ عنه الوصف ملكها بنو حمدان ثم بنو مرداس ثم كانت لبني نُمير وآخر من كان بها منهم منصور بن الحسن بن جوش ابن منصور النميري وهو من ولد الراعي عبيد بن الحصين الشاعر فقتل منصور واخذت القلعة من ولده نصر وسبب اخذها منه انه اصابه عمى وله من العمر اربع عشره سنه وملكتها بعده التركمان ثم اخذها منهم بنو حسان ولم تزل في ايديهم الى ان انتهت دولتهم وفتح صلاح الدين منبج وجرى فيها ما تقدم ذكره من انتقالها مع منبج من يدٍ الى يدٍ الى ان اخذها الملك الظاهر ودفعها لاخيه الملك الافضل ثم استرجعها منه لخوفه من اخذ الملك العادل لها وذلك في شعبان سنة تسع وتسعين وخمس[1] مابة ولم تزل في يد الملك الظاهر الى سنة ثلث عشرة[2] اقطعها لعتيقه الامير بدر الدين ايدمر المعروف بوالى قلعة حلب فزاد في عمارتها وبنى بها جامعاً كبيراً بديع البناء واسع الفناء وخاناً [V. 264] للسبيل ورتب فيه صدقة مستمرة ووقف عليها اوقافاً مستقرة ولم تزل في يده الى سنة [B. 100] تسع وعشرين [وست مابة][3] وذلك في ايام الملك العزيز وصارت الى والده الملك الناصر فيما صار من البلاد وما زالت في ملكه الى ان انقضت الدولة اخربتها التتر جميعاً ثم توفي في شام سنة ثلاثماية [كذا] وخمسين والله اعلم بالصواب.

---

١) ١٥ نيسان – ١٤ ايار ١٢٠٣

٢) ٢٠ نيسان ١٢١٦ – ١٠ نيسان ١٢١٧

٣) ٢٩ تشرين الاول ١٢٣١ – ١٨ تشرين الاول ١٢٣٢

بنت يفتاح

مأساة شعرية ذات فصلين

جائزة « الجامعة الادبية » للسنة ١٩٣٠

بقلم سعيد عقل

توطئة

وصلنا الادب العربي ، وهو يجهل « الانواع الادبية » ، حتى الاولية منها كالملحمة . وكان على نهضتنا الحديثة ان تحاول جهدها مجاراة آداب الامم في هذا المضمار .

اترك الملحمة لظرف آخر ، واكتفي الان بدرس المرسح .

***

اني ، بكثير من الجرأة ، أشيح ناظري عما وسموه عندنا بسمة المرسح ، فأبدأ بعرض عام ادرس فيه انواع المرسح عند الامم الراقية .

ثلاثة مراسح في الآداب العالمية لم تُحقق : اليوناني ، والاتباعي المدرسي في القرن السابع عشر ، والشكسبيري .

المدرسي الفرنسي صورة اروع للمرسح اليوناني ، فاترك سوفوكل وأوريبيد الى راسين وكورنيل . فيبقى لديَّ مرسحان لنوعين مختلفين : الشكسبيري والمدرسي . على ان هذا الاخير نفسه ، منقسم الى نوعين مع راسين ، وكورنيل .

طريقة راسين تقضي بوصف « العارض في اشد حالاته » ، فاذا المأساة عاصفة مبيَّتة من زمن تنفجر على المرسح فلا يمكنها ، والحالة هذه ، ان تطول او

تجري في اماكن مختلفة فتتوافر وحدتا الزمان والمكان. وطريقة كورنيل تتابع وصف العارض من نشوئه الى حدّته الى انحلاله. خذ له « السيد » مثلاً ، فترى ان العارض لا يبدأ الا بعد صفعة « الكونت » ، اذ يقف « رودريك » حائراً: ايترك والده سليب الشرف ، ام يقتل والد « شيمين » ، والد حبيبته ؟ فلو تناول راسين « السيد » هذه ، لبدأ الرواية من هنا . ومن البديهي ان تكون طريقة راسين الطريقة الاكمل لبساطتها ولاكتفائها بأخذ البعض من حالات النفس ترسل عليه النور ، فتبدو النفس وعواطفها بأجلى مظهر. وعليه يكون النوع الراسيني النوع الذي اقصده من المرسح المدرسي.

اما المرسح المنتسب لشكسبير فالثابت ان صاحبه لم يكن متضلعاً من اللاتينية واليونانية فيأخذ بمرسحها وبرقيه ، كما فعل راسين ، فنشأ مرسحه من نوع الادب الاولي ، اي « الملحمي » . فكما ترى في « الالياذة » مثلاً ، عصور اليونان الاولى ، تتهادى امامك حية أخلاقاً وعادات ، هكذا ترى في « روميو وجوليت » وفي « هملت » ، عصرين : ايطاليًا ودانمركيًا ، يخفقان باخلاق هذين البلدين وعاداتها.

ظلّ البحث قائماً على راسين وشكسبير ، فأيّ النوعين نعتمد في نهضتنا ، وقد ثبت لنا انهما مختلفان ؟

الاول يدرس « عارضاً » واحداً ، ويدرسه بكثير من التعمق بحيث لا يعطيك النفس الواحدة الا وهي تخفق بين يديك كأنها نفسك . والثاني يصف لك « عوارض » عدة وجماعة كاملة. واذا حالت وفرة اشخاصه دون التعمق في درس كل نفس ، فتعتاض انت بانّ امام عينيك عصراً كاملاً او بشرية باسرها، ولو باهتة الالوان.

الاول — وهو درس — يقتضي له ، على توهّم ، انشاء وضعي رصين ، يسيّره المنطق ، أداة الدرس الاولى ، فيخلو من المقاطع الغنائية او الملحمية . والثاني — وهو تصوير عصر او بشرية — يستدعي الانشاء الغنائي والملحمي لغة البشرية في كل آن.

لا يجوز لنا الاخذ باحد هذين النوعين ، مها كان كاملاً ، الا اذا وافق

اميـال بيئتنا وذوقنا الحديث. فما هي اذواقنا وما هي اميالنا ؟ وهل نستسيغ راسين بإجماعه ، او شكسبير بإجماعه ؟

ان هوغو ، قد اخفق مرسحه ، يوم اراد ان يحذو فيه حذو شكسبير ، فهل يعني ذلك انّ المرسح الشكسبيري لا يوافق غير الانكليز ولا يـلائم العصور الحديثة ؟ وانه لا يستند في البقاء الا على « العتق » ، كأدبنا العربي الهزيل ؟ وانه لذلك خليق بالاهمال ؟ لا ؛ والتشبيه الذي جئت به بعيدٌ بعد شوقي عن راسين . . . فانّا لمرسح شكسبير مزايا مرسحية حقًّا تفيدنا نحن الشرقيين على الاخص . فهو نوع أمثل « للمرسح الشعبي » (mélodrame) ، الذي نجح عندنا في « عاصفة في بيت » و « الذبائح » و « العواصف » لانطون يزبك .

ومن جهة أخرى ارى ان حالتنا ـــ تلامذة العرب ـــ غير حالة مشاهدي هوغو في فرنسة . هؤلاء اعتـادوا مع راسين وكورنيل مرسحاً منطقياً يـكاد يخلو من الغنـائيات ، فلولا بعض مقاطع من مثل « مونولوج رودريك » و « اغاني استير » ، لرأينا المرسح المدرسي الفرنسي خالياً من الوتيرة الغنائية . وجاء هوغو فقدم لهم فجأة نوعاً معاكساً تماماً . اما نحن ـــ تلامذة العرب ـــ فوقفنا من هوغو ، التلميذ الصغير لشكسبير ، غير موقف الافرنسيين ، وقد اعتدنا ان نرى شاعراً يسمعنا من على المنبر مـائة بيت كلها من النوع الغنائي ، اعتدنا ان نقرأ من الغنائيات حتى الاهاجي والمدائح ، وقل اخيراً اعتدنا ادباً كاملًا يـكاد لا يعرف الّا النوع الغنائي . الافرنسيون ألفوا ، في الطريقة المدرسية ، التنظيم ، والبساطة ، والوضوح . ونحن ألفنا « الفوضى الفخمة » والتعرّض « للملحميات الناقصة » من مثل ادب هوغو ، واني على مثـل اليقين من ان صاحب « البورگراف » لا يخفق على مرسحنا إخفاقه في باريس .

فنحن بالتالي ، إزاء مرسح شكسبير الغنائي الملحمي ، نحسّ اننا في قلب ادبنا العربي المدرسي الذي لا يمكننا ان نخلعه بالكلية .

امـا راسين فيغري ذوقنا الحديث المثقّف على الادب الاوربي ، يغرينا بوحدة العـارض التي تمكنه من درس النفس البشرية ، الامر الذي نلتفت اليه بظمإٍ في كتاباتنا الحديثة ، ويغرينا اخيراً بطريقة تسيّل ـــ وهي وحدة ومنطق ـــ

عمل الذوق ، عدوّ الضوضاء والفوضى .

فأرى لزاماً ، والحالة هذه ، ان نلتفت بآن واحد الى صاحب «اندروماك» ، وصاحب « همليت » .

***

وبعد فقد تأثرت ، في « بنت يفتاح » ، بطريقة راسين . فأخذت « عارضاً » ووصفته في « حالة اشتداده » فانقادت لي الوحدات الثلاث ؛ كما اني سايرت الميل العربي الى الغنائيات والملحميات فكنت كشكسبير غنائياً ملحمياً ، ولكن الى حدّ ، بحيث لا اسقط من المبالغات حيث سقط هوغو .

وفي وصف النفس البشرية رأيت ان المحدثين من مثل راسين وكورنيل لم يكتفوا بتصوير دقائق العاطفة الواحدة ، والعراك بين الاشخاص المختلفين ، بل صوّروا العواطف المتضادّة في النفس الواحدة ، وهكذا خلقوا « الفاجعة النفسية » او « فاجعة الضمير » . وهذه ميّزة للادب الحديث على الادب اليوناني ، فلم امرّ بها دون نظرة جدية .

وإجمالاً كان المرسح عندي « قلقاً » . فقد ذهب جول لمتر الى ان المرسح هو هذا « القلق » الذي يغمر قلوب المشاهدين اذ يتوقّعون اصطدام خُلق بخُلق مُضاد . فتخلو الرواية من المفاجئات على المشاهدين ، بحيث يتعرفون الموضوع كله منذ البدء . إما لشهرته وإما لاتقان « العرض » القصير ، فلا يتساءلون بعدُ : « ما هو سرّ العراك النفسي ؟ » لانهم يعرفونه ، بل يتساءلون : « كيف يتعرّف اشخاص الرواية الى هذا السرّ ، وكيف يتحملون خطبه ؟ » . اجل ان هذا « القلق » هو المرسح ، كل المرسح ، وقد تجلّى في الآداب العالمية في مأساة خالدة : « اوديب الملك » لسوفوكل .

***

اما اني كنت في إنشائي على طريقتي المعروفة ، التي تصف العواطف بالصور او على الاصح بالايحاء ، فأمر ما انا بالنادم عليه آتي به في المأساة . وقد آن للمتأدبين ان يفهموا أصول المرسح ومقتضيات انواع المرسح . فالمأساة غير « القطعة المرسحية » ، وغير « المهزلة » ، وغير « المرسح الشعبي » . المأساة ، مفترض فيها « جلال

الحزن ، وان ترفعك بإيهامها الى مثل الحلم » ، فتنفلت انت ـــ وهذا شرط الفن ـــ من الحقيقة الوضعية . ولهذا اوجبوا فيها الشعر دون سواها . فهي ، دون بقية الانواع المرسحية ، لا تحاكي الحياة العادية . والا كان عليهم ان يحظروا الشعر فيها ، حتى العادي منه ، لانه ليس في حياة العامة . قلت ان انشاء المأساة يجب ان يكون على روعة الإيهام ، يحاول ان يظهر العاطفة بالصور او يوحيها إيحاء . واني مُقدّم نظرية علمية جدّ عميقة ، للسيدة ده ستال ، قالت : « اذا حرّكت النفس عاطفة قوية ، فالمرء العادي نفسه يلجأ الى الصور والاستعارات . هو يستعين بالطبيعة الخارجية ليعبّر من نفسه عما لا يُعبّر عنه » . وهل المرسح غير تعبير عن « عواطف قوية » ؟

***

مفترضٌ في « المأساة » ان يكون موضوعها عريقاً في القدم ، يعطيه غبار السنين جلالاً . فأخذتُ موضوعي من « العهد القديم » ، واستخدمته للتعبير عن عواطف بلادي وامانيها .

اما اشخاصي فقد جعلتها أميل الى اشخاص كورنيل . ذلك ان الروائي الذي « صوّر الانسان كما يجب ان يكون » تظلّ طريقته احدى لبلادي تريد في بدء نهضتها ، ان تتوفّر المُثل العليا . واني لاجدها جرءة كبيرة ان يبدأ المرسح عندنا بوصف نفوس هذا العصر كما هي . ففي مثل هذا الوصف قطع رجاء ، وقنوط من حياة شعب يأمل أحراره منه ان يلتفت الى الشمس .

***

اعطاني « سفر القضاة » من « العهد القديم » ـــ وقل التاريخ ـــ ان يفتاح رجلٌ بطش ولدته لجلعادَ امرأة بغيّ . فاذا كبر اخوته ، انكروا عليه الأخوّة وطردوه . ولا يذكرونه الا متى اجتاحهم « بنو عمون » واستبوهم . ومقابل محاربة يفتاح للعدوّ يُقرّ له اهله بحقوقه وبالسيادة عليهم . وينتصر يفتاح . لكنه يكون قد نذر قربان الظفر اول بكر تخرج للقائه . فيتفق ان تكون الاولى بنته الوحيدة . ويعطيها شهرين تبكي بكوريتها على جبل جلعاد ثم ينفّذ فيها

النذر. ويصير رسماً عند اسرائيل ان تقوم العذارى في كل سنة الى جبل جلعاد يتفجعن على بنت يفتاح.

وهكذا خلقت الرواية :

افترضت ان يفتاح على اثر طرده استبدل اسمه بجلعاد ، وكتم بنته الامر، فربّاها لا تعرف في والدهـا ــ جلعاد ــ الا رجل اصل واعمال كبار ، كما ربّاها على كره يفتاح، فاذا اجتمعت باتراب لها من اسرائيل يحتقرنه، ويحتقرنَ ذكره، لم تتوانَ عن مشاركتهن هـذا الاحتقار . وبدأت المأساة عند تردّد يفتاح لدخول الحرب: ايترك بلاده للعدوّ سبية؟ ام يدخل المعركة فيشتهر اسمه ويفتضح أمرُه عند بنته ؟ فكانت روح الرواية في « قلق » المشاهدين على بنت يفتاح « الابية » اذا عرفت سرّ ابيها « الوضيع » ، وعلى يفتاح « المتكتم » اذا « افتضح » امره عندها.

بنت يفتاح *

الاشخاص

يفتاح
راحيل : بنت يفتاح
المجنونة : امّ يفتاح ، عاهرة من جلعاد
تامار : خدنة لراحيل

يمثل المرسح تلة من « طوب » ، قرب « جلعاد »

الفصل الاول

الحربة

جرحٌ على النور الهوانُ ،
ومأتمٌ معه الجنانُ ؛
وبأضلع الاحرار « آبادٌ
صغيراتٌ » حسانُ ؛
إن يستبدَّ بها الزمانُ ،
يَفِنِ ثورتها الزمانُ .
لي ، مثل غيري بالعُلى
المتناف ، مرمىً وافتتانُ ؛
انا لا اذلّ ، وفي جبين
الشمس يبدو لي مكانُ !

---

* الحقوق محفوظة ؛ والنقل محظور ، ولو مقاطع .

الفصل الاول

مِضرَب إلى اليمين ؛ محرقة متداعية الى اليسار ، يظلّلها شجر جبلي . الليل في السحر يُنازع شيئاً فشيئاً .

المشهد الاول

يفتاح ثم المجنونة

يفتاح

أيُّ تيهٍ ، يا ربِّ ، أيُّ مقاديرَ تقاذفنَ عزّتي وقيادي ؟
أنا في حَيرة ، أُهادن دهري ، واهزّ الآلامَ ملء فؤادي ،
انكرتني عشيرتي ، ورمتني هائماً في قفار « طوبَ » الجهم ،
فرعُ مجدٍ ، مدرّبٌ في المعالي ، كنت دنيا ، لولا مذلّةُ أمي .
انكبرتني «جلعادُ» عزي ، فلا تذكر بطشي ، لولا العدوُّ السابي ،
أتُراني مجيرها من عداها ، وانا الثأرُ بين ظفر وناب ؟
انا سِرٌ كتمتُهُ عن كياني ، عن أحبِّ البنين ، عن راحيلا ،
إن أُجب داعي الوغى يَشعِ اسمي عند بنتي ، فالتقيها ذليلا ،
-وإخال الاسباط تهتف باسمي في غدٍ ، وابنتي تُصِمُّ المسامع .
قذفتني الاقدارُ دُميةَ لاهٍ فأنا حائرُ الأمانيِّ ، ضائع
بين أمّ مجنونةٍ تملأُ البيد صراخاً ، وتملأ الامس عارا ،
وابنةِ صُنعِ ما أريد ، تردّت بغض يفتاح ، في الحياة ، شعارا ،
ذكرُهُ عندها براحٌ على القول ، وتجديفةٌ على وجه قدسٍ ،
ومرورُ اسمهِ على شفتيها غيمةٌ من أسًى على جوّ عرسٍ !

يلتفت فجأة فيرى امه بشعر كث ، وجنون نائتة ، واثواب ممزقة

أمي !

المجنونة

يفتاح .

يفتاح

لا أنا لست يفتاح . انا لابنتي علاء ونور !
أنا . . .

المجنونة

يفتاحُ .

يفتاح

لا تعيدي على اسماعيَ اسمي ، فكل ما بي يثورُ .

المجنونة

اين راحيل ؟ انت تمنعني عنها ؟ ولا كتم بعدُ لا استارا ،
كبرت ، فالسؤال ينشقّ عن فيها ، وتبدو الدنيا لها أسرارا .
شئتَ أم لا ، أنت ابن فاجرةٍ !

يفتاح

امي ، حنانيك ! أقصري في المقال !
انا أدرى ، الى الصميم ، إلى إخفاء حالي عني ، وانكار حالي .

المجنونة

يشتدّ عليها العارض فتترم بشتى الايماءات إلى الفضاء البحيق

عبثاً تصعد التلالَ المنيفات ، وتجري تهرّباً في الفضاء !
أتعدُّ السقوط من علُ ، يا يفتاح ، من مرتقى ظنون الرائي؟!

يفتاح

عاودتها رؤى الجنون .

المجنونة

مستطردة

أتبغي مسحَ وجه الاوضاع بالأوهام ؟

عرّدِ البنتَ رؤيــةَ الحاضرِ القفر ، فلا تشرق الشموس الدوامي .

يفتاح

باشتاق

لو تعي قولهــا ، وتعرف راحيل ، وجوا عاشت به راحيلُ !

بترفق

طفـلةٌ من تبسّم الصبح في الرونق ، مــالت على العُلى وتميلُ .
مثلُ ابكار ربعها ، تعشق المجــد ، وتزهو بالمحتــد المعبودِ ،
تلتقي ، في الربيع ، بعضَ سجاياها ، وفي الانبياء بعضَ الجدود .

بحسرة

انا ربّيتُهــا على كره يفتاح ، وقاسمتهــا مسبّة إسمي ،
فأنا ، عندها ، ابن اكرم بيتٍ ، باسم «جلعادَ»،وابن أشرف أمّ !
اتراني أُوحي لهــا سرّ فرعٍ لطخته أمّي بثوب العــار؟!

المجنونة

• ترى راحيل فتنهد اليها

هي راحيــل في الخميلة . . .

يفتاح

يمنعها بتؤدة

خلّها شعاعاً في جيرة الأزهــار !

المجنونة

غاضبة لمنعها رؤية حفيدتها

الضيــاء الضيــاء من ترهاتٍ نسجتهــا أنامــلُ الانسان ؛
وغدُ البكر ليــلةٌ وفرة الرجس ، وجوٌ مخضّبٌ بالهوان ،
كَذِبٌ طهرها ! . . .

يفتاح

منتفضاً لاهانة بنته

أناَتَكِ ، أمي !

المجنونة

كذبٌ مثــل محتــدٍ برّاق .

يفتاح

انت تعنين محتدي ؟ وهو معنى فيه ، لولاك ، روعة الاشراقِ
ولو انشقّت الظواهر عني ، لتراءى دمـانِ طيّ جَنـاني
ولو البرُّ بالأمومةِ يرضى ، لانبرى واحـدٌ لحرب الثاني

وكأنه قد ندم على اهانة امه

عفوَ أمي ، إن اجوز اليومَ بالقول !

المجنونة

وفي جرأة الذليل اتضاعُ !

يفتاح

بتكبر وثورة

ما أنا بالذليل !

المجنونة

ما أنت يفتاح ؟ !

يفتاح

بتفجّر وتحسر

بلى ! لو تميد تحتي البقاعُ !
مُرّةٌ في فمي الحياةُ ، ودكناء المرامي في ناظري المكلوم ،
وتكاد الشموس تظلم في وجهي ، ويبكي معي بياض الغيوم !

المجنونة

أبياضٌ في وجه نذل شريدٍ خلّفته جلعادُ إلف الضواري؟!

يفتاح

مهلَ أمي ! فربَّ ضارٍ من الوحش عليه بعضُ النفوس الكبارِ !

المجنونة

إخفضِ الرأس .

يفتاح

في انكسار جبيني غضبةٌ للعلى ووجه الخيال ؟

إن ورثتُ الدم الأذلَّ ، فنفسي ، في ضلوعي ، على جبينٍ عالِ !

المجنونة

خلِّ عنك الإباء .

يفتاح

مشيرًا إلى وجه أمه

لا ، واعتزازي في اباني لقاءَ وجهٍ أغرّا ،
انت امي ، وانت سرُّ عذابي ، فدعيني ابثك الحبَّ مُرّا .

المجنونة

حبّك الذل ؟ !

يفتاح

لا ، وفيه جلالٌ .

المجنونة

هو ذلٌ !

يفتاح

بنفاد صبر

ذلٌ ، إذا يأتاكِ !

وكأنه ندم على كلمته

أنا اهواكِ ، كيف كنتِ .

المجنونة

وقد تقدم يفتاح يريد تقبيل يدها

تراجع !

يفتاح

انا اهواك .

المجنونة

يفتاح

يكون قد ارتمى دونها ، يرغمها على التراجع

أنا اهواكِ !

فاذهبي.

المجنونة

غاضبة لطردها

انتَ ؟ أنتَ يفتاحُ ؟

يفتاح

خلّيني.

المجنونة

مولولة من الداخل

طريد الرُكبان من كل ظعن؟!

ثمر العار! ولد فاجرة حمراء! وُلدي انا! وتبرأ مني؟!

يفتاح

ايها الخفنة الحقيرة من نثر الضحايا، ومن رفات الجريمه،

لا، وراحيل، ما تبرّأتُ من وجه تهادى عليه طيفُ الأمومه.

المشهد الثاني

يفتاح وحده

ربِّ يكفيك ذلتي في حياةٍ وَفرة الصبر، وَفرةَ الآلام،

أترى يطلع الصباح، ويغنى اليومُ في سرحة الزمان الدامي؟

يلتفت الى حيث مضت امه

ذهبت تنثر الصراخ وجيعاً، وإخال احتضاره في ضلوعي،

ويكاد البعاد يحجبها عني، وتبقى بِراقةً في دموعي؟

تركتني إلف التأمل في حالي، وفي طالعي الوجيع القروح،

ورمتني سحابةً في فضاء التيه، العوبةً بكفّ الريح.

رأيُ مجنونةٍ لها! أم كلام الوحي ألقاه في لماها الله؟

وإلى مَ الكتمان في أمر سرٍّ بدأت تلتقي عليه الشفاهُ؟

حَيرةٌ مرَّةٌ تهدّم نفسي ، وتريني الحياةَ حرَّى الكلوم
أيُّ هولٍ غداةَ تعرف راحيلُ، وأيُّ ارتعاشةٍ في صميمي !
بين خطبينِ صارخين بصدري : ذلُّ أهلي ، وجرحُ آمالِ بنتي ،
كيف أحيا ، وكيف أسحب رجليَّ على الأرض ، وهي تنهار تحتي؟!

مستترُ الراي

أنا أمضي لمصرعي ، في وغى الأحرار ، أقضي حقَّ الأباة العوادي ،
إن يَفتني الفرع المهلّل كبرًا ، لا يفتني الردى فداء بلادي .
فتراني راحيلُ في النصر ، أو في الموت ، أسمى مني ، ولم أمحُ ذلّي ؛
وإذا يذكرون ذلّي لديها ، تلتقيهم براية أو بنصل !

يتناول درعه عن المحرقة

المشهد الثالث

يفتاح ، راحيل

راحيل

فرحة ، تحمل طاقة من الزهر

أإلى الحرب ، يا أبي ؟

يفتاح

وإلى النصر .

راحيل

هنيئاً لنا افتداء الديار !
انا أهواك ، يا أبي ، قبلة الناس ، عقيد الفوارس الأحرار .
انا اهواك ، حاملَ الرايِ سمحاء ، ومستقبل الطعان سخيًا ،
بين لمع الحراب ، بين المواضي ، يخفق النصر من حواليك حيًا .
تخلع المجدَ والهناء على جلعادَ ، فجرًا مجرّر الاردانِ ،
فيقولون في لقائك : « حرّ » ويقولون : « بنتُهُ » ، وكفاني !

يفتاح

تعشقين العُلى .

راحيل

واعشقه في والدٍ، مطلع العُلى من ظباه ،

فهو معطيّ رفرفاتي إلى المجد ، ومغنيّ عن على في سواه .

تبدأ الفاجعة النفسية تتراءى على وجه يفتاح ويتتابع ذلك في كل من المشاهد التي تقوم على يفتاح وبنتو .

عجبٌ ما لوجهك أصفرّ وأنهدّ رواءً ؟

يفتاح

راحيلُ ، خلّي المفاخر

راحيل

لِمَ يا والدي ؟ ونحن . . .

يفتاح

كباقي الخلق .

راحيل

لا لا ، ونحن أسمى منائر ؛

نحن فرع الامجاد . ليس « شكيمٌ » في ذوينا ، وليس « يفتاحٌ » . . .

يفتاح

يكفي !

لا تزيدي ، راحيل ، لا تتجنّي !

راحيل

متعجبة

أيّ ذنبٍ اتيتُهُ ؟ أيّ خسفٍ ؟

انا عرضتُ ، عن قلبيَ ، بالذليلين : شكيمٍ ، وتربهِ يفتاحا :

ماتتِ ، ذكرُهُ ظلامٌ ؟ وحيٍ ، يجرح الخاطرَ اسمُهُ والصباحا .

يفتاح

لا تضلّي ، راحيل ، في كفّ يفتاح أماني الاحرار من جلعادا .

بطلٌ لا يَخِبُّ في سرحة المجد سواه، إذا الفخار تنادى.
فاذكري الحربَ، واذكري الذلَّ، يا راحيل، «عمّون» في حمانا يجورُ،
داسنا: فالربوع قفرٌ، وأهلوها جباهٌ زلفى له ونحورُ.
لا وليٌّ يقودنا . . .

راحيل

لا وليٌّ ؟ !

يفتاح

غير يفتاح .

راحيل

والذليل ذليلُ !

يفتاح

اقصري في المقالِ ! إن يمشِ يفتاح إلى الحرب، فاللهاث صليلُ،
والجباهُ الخنوعُ غضبةُ مجدٍ، والبلادُ انتفاضةٌ شتاء .

راحيل

بغضب

يا «جلعادَ» ! يلجأون إلى الذل، فأين الأحرار ؟ اين الإباء ؟

تشير إلى أبيها

اين جلعادُ، فارسُ الظفر الزاهي، أبي، أين سيفُه المسلولُ ؟

يفتاح

كأنه يتحسر

لستُ في الحرب مثلَ يفتاحَ .

راحيل

ما قلتَ؟ وأمساً قامت اليك السهولُ
في رجالٍ بواسلٍ مرّغوا الكبر انتضاءً على تراب الدارِ ؛
بسمة منك أرقصتهم فاجوا طرباً يلتقون لمع انتصارِ،
هتفوا فيك للوليّ المفدّى، والتقاك الشيوخ بالصولجان،

وإذا ازوَرَّ عنهُ طرفُكَ ، مادت بهم الأرضُ في ثياب الهوانِ .
ثقةٌ فوقها التلفتُ لله ! فهل نال مثلها يفتاح ؟

يفتاح

لا تغيبي إليه أيَّ كميٍّ تخشع البيضُ دونه ، والرماحُ .

راحيل

انت تعلوه . أنت سيف صقيلٌ شقه الله مشرقاً في البريّه ،
بطلٌ فيك من يشوعَ مُعيد الشمس ، ليلاً ، بضربةٍ علويّه ،
تفتل الزند من تجهّم لبنان ، وتلهو بالموت حُمرُ بنانِك ،
وتكاد الذرى تُحسُّ تهاديك ، ويرنُ المدى صهيلَ حِصانك ؛
انت تعلوه .

يفتاح

لا !

راحيل

بنفاد صبر

اما انت جلعاد ؟ !

يفتاح

بلى ، يا ابنتي ، ويفتاح دوني .

راحيل

أين منكَ الوضيعُ ؟

يفتاح

وحده

ربي ، كفاني !

راحيل

اين منك الثاوي على كل هونٍ ؟ !

ذلّ يفتاح . . .

يفتاح

بسطوة وقد نفد صبره

هاتِ ، راحيلُ ، سيفي ، ونبالي ، والقوسَ .

تخرج راحيل

يا ويلاه ُ !

ايّ خطبٍ يدهاك ، ان يدُ أمري ، يا ملاكاً يفتاحُ . كان اباهُ !
عُمُرٌ قاتمٌ يمرُّ ولا ينشق ، دون انهياره ، عن هناه ،
فيذلَّ ابن آدمٍ بيديه ، لا بذنب الأجداد والآباء ؟!

يحس وحشة الانفراد

أين راحيلُ ؟ بتّ أخشى انفرادي ، وأرى في الفضاء مرّ سوادٍ ،
ثقلت أضلعي على قلبي الكاهل ، واهرورقت قوى أجلادي ،
ويكاد الجنان ينهار عني ، ويكاد الهواء يأبى نهوضي ،
اين راحيلُ . أرتمي في يديها ، وقعة النسر والجناحِ المهيضِ !

يستند تعباً الى المحرقة

راحيل

وقد عادت بالسلاح

والدي ، ما اعتراك ؟ رعشةُ خوفٍ وعلى كفك انتصار النداة ؟!

يفتاح

وقد استيقظ من ذهوله وآلامه

لا ، وعينيك ، لم أخفْ ! وسواء وقعُ دنيا ، عندي ، ووقعُ حصاة .
وإلى الملتقى .

يأخذ السلاح ويخرج

راحيل

على بركات الله مسراك ، والتفاتُ سهامك !
تفتدي روحك البلادَ ، إذا عزّت ، ولم يكفِها افتداء حسامك .

المشهد الرابع

راحيل وحدها

كل شيء حولي تغيّر من عهدٍ، فنفسي في حيرةٍ وظنونِ،
وإذا التقي أبي فعلى حزنٍ، وعهدي به ضحوك الجبينِ.
أيّ سرٍّ يحوطني بقنوطٍ، وانا بعدُ في ربيع الشباب؟!
لم تمرَّ الأحلام في خاطري بعد، ولم تحظَ في الدجى بجوابي.
منعوني بالأمس مجنونةً مرّت تنادي باسمي، وتطلب خدري،
ورموني في عزلةٍ أجدُ الأفواه همساً، والعينَ لفتة سِرِّ.

أغانٍ من الداخل

رجّعي، يا رياح،
نغمات الهنـاء،
وافتحي باب السماء.
للعذارى المـلاح.

راحيل

متجهمة الوجه

منشداتٌ! والناسُ في غمرة الـذلّ، وسيف العُـداة في جلعادا؟!
منشدات أم خالعـاتٌ على الابطال روحاً وثابـةً وجهـادا؟!

اغانٍ من الداخل

رجّعي، يا رياح،
زمزمـات القنـا،
وأجتني طيب المنى
عن سيوفٍ صباح.

راحيل

فرحة

نَغَمٌ ناصعُ المُنى، أحمر الإرعاد، يَنشقّ في رحاب الفضاء،

لو يحولُ انتفاضةَ في صُدورِ الناس ، أو وثبةَ إلى العلياء !

إلى المغنيات

يا عذارى جلعادَ ، غنين بالسيف ، وهِجنَ الربى ، وهجن الصخورا ،
وأمتشقنَ الرجالَ من حلل الأطيافِ ، وابعثنهم لهيباً ونورا .

تغني على النغم نفسه

غنِّ ، يا جبلي ،
بالأماني السماح ،
وأمتشق منها الرماح
ليد البطل .

. . .

فارسٌ آمنا
ببلوغ الأمل ،
يرتقي أسمى القلل ،
يرقص الزمنا .

. . .

قم بنا ، يا جبل ،
نلتفتْ للشروق .
لك بالجوِّ حقوق
مثلما للدول !

- - -

— ستار —

الفصل الثاني

الاسطورة

يا روعةَ القدمِ المُطلّهْ
خلل الترفّعِ والمذلّهْ،
سيّانِ أرقصتِ الزمانَ
وشيّدتِ كفّاكِ جِهالَهْ؛
أنا دونَ هيكلِكِ الرفيعِ
أبثّكِ الإجلالَ كُلَّهْ.
جرّحتِ آهاتي، وألقاها
على شفتيّ نهلهْ؛
ما شئتِ كوني! فالألوهةَ
في وشاحكِ مستظِلَّهْ!

الفصل الثاني

المشهد الاول

راحيل ثم تامار

راحيل

ملعبَ النورِ ، ملعبَ العطرِ ، يا جلعاد ، أصبحتَ قدَّةً من ظلامٍ ؟
خضَّب الاثمُ بالدماء حواشيك ؟ فبهج الصباح ، دونك ، دامٍ !
لم يجئْ بعدُ منبئ عن لظى الحرب ، وعن قرن والدي في الطعانِ .
قيل : إن يدخل الوقيعةَ يفتاح يتوّج جلعادَ في الميدان .
وإذا أنكرُ انتصاراً على النذلِ ، فلا أنكرُ الظروفَ العُجابا ،
رفض الحرب ، مثل جلعادَ ، بالامس ، فهل يَلتوي الذليلُ رغابا ؟

هي تامار ، خِدنتي ، تحمل الانباء بكراً من الثقات الناسِ ،
ذكرت حيرتي فجاءت ، ولا بدَّ ، إلى عزلتي بكل مؤاسِ .

تامار

بشرَى ، أختِ ، بشرى ! رَضيَ اليفتاح !

راحيل

جوزيتِ ألفَ بشرى لبشرى !

تامار

ومشى للقتال في سحر الأمس ، شجاعاً يجرّر المجد جرّا .
ما درينا إلّا مساء ، فقمنا بقرابينَ بكّرٍ ، وصلاةٍ ؛
فانظريها ، جلعادَ ، قطعةَ نارٍ تتعالى لمبدع الكائناتِ :
الحنايا معابدٌ وصلاةٌ ، والأيادي كنّارةٌ ودفوف ،
وانظري الجوَّ دفقةً من أغانٍ سمعُ الكون دونهنّ رهيفُ ؛
وانظري الحُلمَ . . .

راحيل

اي حلمٍ تــذكرتُ وجميعِ الألوانِ مِلءَ جفوني ؟!
في منامي رأيت سيفَ دماء ...

تامار

مقاطعة

سيف يفتاح في بني عمون ؟

فاطربي .

راحيل

لا طربتُ ! حلمي مخيف يملأ الصدرَ رعبُه والمآقي ،
فيه زهو البياض يرقص مِغناجاً على حمرة الدم المُهراق :
كنتُ في الحلم طلقة الوجه والقلب ، كورقاء في الربى غنّاء ،
حدثتني الزُهرُ العُلى ، حدثتني المُنية البكرُ في هوى عذراء ،
حين نوديتُ من علٍ : أن دعي جلعادَ ، والنصرَ ، واتبعي في الظلام .
فعصيتُ السماء — عفوكَ ، ربي ! — وإذا قِبلتي بريقُ حسام ،
وعصورٌ تدور حولي سِراعاً ، ويشقّ الزمانُ عنها الستورا ،
فأرى عصفة الرياح صراخاً ، وسواقي « جلعاد » دمعاً غزيرا .

تامار

بخوف

ايّ حلمٍ ، راحيل

راحيل

ما زلتُ حيرى في رُؤاهُ على توقّع خطبِ ؛
وأحسّ المساء ملء جفوني ، وعلى بسمتي الجريح ، وقلبي !

تامار

حدّقي ، أختِ : في البعيد سيوفٌ لامعاتٌ بين الغبارِ ، وخيلُ .

راحيل

وقد ازداد تشاؤمها

أتراهم فرسانَ عمون في نصرٍ ، مشي دونهم من السَبي سيلُ ؟
ملأوا السهل والربى ، فعلى جلعاد ظِلٌ من الدجى والفناء ،

لا رجالٌ تذود عن قـدسنا ، والناس تمشي للحتف مَشيَ الشاء .

يكون التشاؤم قد بلغ منها حدًا قصياً

يا صباحَ الدمار ، اين الدواهي الحمرُ تنقضّ من فجـاج السماء !
أين من يمشُق النجوم غضـاباً ، ويكبّ النيران في الارجاء !
ينثر الموتُ في البرايا غبـاراً ، ويردّ الجبـال فوق الجبال ،
يمسُّ البيـدَ والبحـارَ دخاناً ، عاصفـاتٍ رياحُـهُ بالزوال ،
ويعيـد الغمرَ القـديمَ مُخيفاً ، والهيولى وزمزمـاتِ المنيَّـه !
إن تُبدنا العُلى ، فلا اشرقت يوماً ، ولا رفرفت بتـاج البريـه !
الضحايا . . .

المشهد الثاني

راحيل ، تامار ، المجنونة

المجنونة

عشرون الف أسير

راحيل

بحسرة

أتراها البشرى ؟ !

المجنونة

وألف قتيل

راحيل

بنضب

حبّذا لو قضوا جميعاً .

المجنونة

قضـاءٌ علويٌّ !

راحيل

قضاء شعبٍ ذليـلٍ !

المجنونة

ومئـاتٌ من الخيول السنيّـاتِ ، وعشرون وزنـةً من نضارٍ .

راحيل

لا ذكرت الأموال !

المجنونة

لِمْ لا ؟

تامار

ويفتاح ؟

راحيل

بحسرة وهزء

وحامي الحمى ؟ وحامي الذمار؟!

المجنونة

بين لمع الحراب... بين الأسارى...

راحيل

متاطعة

يا اذلَّ العبدان في عمونِ !

قدتَ جلعادَ من مذلة هونِ أبـديٍّ إلى مذلّـة هونِ !

سرت ...

المجنونة

راحيل !..

راحيل

سرتَ عبدًا ، وعبدًا عدتَ...

المجنونة

راحيل !..

راحيل

لو رجعت قتيلا !

عدت حيًّا تجرّر القيد ...

المجنونة

خلّي القيد جنباً.

راحيل

يبقى الذليلُ ذليلا !

المجنونة

مـا تقولين ؟ مـا تقولين ، راحيل ؟ ويفتاح قبلـةُ الامصار ،
أشرق العزّ في الربوع ، وخلاهـا انتصارًا يقوم إثر انتصار .

راحيل

ما تقولين ، يا عجوز ، انتصرنا ؟ نحنُ ؟ !

المجنونة

نصرًا غنت به البيداء !

وكأن الفرح قد زاد في خبلها

كنتُ في الحرب كلّ شيء ، وكان الدمُ مني يقضي بهـا مـا يشاء

تامار

لراحيل

مَن تكون العجوز ؟

راحيل

مجنونـة تهذي ؛ دعينا من ترّهـات الجنون .

المجنونة

انا قدتُ الرجال . . وُلدي . . دمائي ؛ أنا أمُّ الوليّ ، والنـاسُ دوني .

راحيل

باشفاق

هاجت المرأة الشقيّة .

يسمع غناء من الداخل

تامار

خلّيها ، وقومي إلى لقاء الجموع :
العـذارى في موكب يتغنين بغازٍ يجتـاحُ أم بشفيع !!

راحيل

بحسرة

جالَ في خاطري انتصارٌ ، فامسى هذيانًا مرًّا على هذيـانِ ؛
أمـلٌ ، أشرقت جوانبُه ، وانشقّ عنـد اقتبالـه عن هوانِ .

المجنونة

ممسكة براحيل وقد اوشكت ان تخرج

أين تمضين ، يا ابنة الظافر الدامي ؟؟

راحيل

دعيني ، واخلي معالم داري .

المجنونة

تطرديني ؟ !

راحيل

باشتياق وندم

طردتُها ، وبصدري بعض ميلٍ لها ، وبعض وقارِ .

المشهد الثالث

المجنونة وحدها

سكوت طويل تسند المرسح في خلاله أغانٍ تجيء من بعيد . وفجأة تلتفت المجنونة الى الداخل فرحة ، وكأن العارض قد خفّت وطأته .

قرب الظافرون من منشدات النصر ، يجري جلامدُ فيهم جبورا ،
مائج الاخضرار في الظفر الرحب ، تعرّى فيه الجمال نضيرا .
خلعوا فوقه البطولة أبرادًا ، وشقوا الظُبى عليه نجوما ،
أيُّ قِرنٍ أمامهم يتعلّى المهر المجلّي ، ويستطير النيوما .
فارسٌ قدّهُ المضاء من الشمّ الرواسي ، والشُرّع الاسيافِ ،
قرّبي منه ، قرّبي منه ، راحيلُ ، وبثّي لقياه طيبَ القوافي .

يسمع غناء فتاة غريبة ، فتتابله المجنونة وكأن العارض قد عاودها

وأزيحي عن دَربه قينةً دكناء تشدوه نغمةً دكناء ،
الغناء الغناء عصفة إرعادٍ ، وأشباحُ مأتم تتناءى ،
صرخاتٌ غريبةٌ تمزق الصبح ، وجهش على التمنّي ، واحتضارُ ،
أين راحيل تملأ الأفق تحنانًا ، فينقو على يديها النهارُ ؟
قدّمتها عذراء قسرًا ، والقتها أمام القيان ، بين الدفوف .

يرتفع صوت راحيل ، فتعود المجنونة الى هدوئها

انشديه ، راحيل ، اشجى من الحبّ ، واسمى من اصطكاك السُيوفِ ،
وابعثي اللحن رافلًا ، واملئيه بحفيف الجوانح البيضاء ،

في نفثاتك الفتيّة شيءٌ من خضاب الأسى ، ولون الهناء .

بدهشة ، وقد عاودها الفارض

ما دهى موكب العلى ؟ أجفل الفارسُ ، أم مادت الربى بالجوادِ ؟
أمر الناس بالرجوع ، وألوى كاسفَ الوجه ، واهيَ الاجلادِ .
مستضامٌ ، ترجّل الآن ، وانهال على المنشدات يصرخ ذعرا .
هربت منه خاشماتُ العذارى غير راحيل ، فهي تهتف بشرا .
وهو ساجٍ ، يُلوي عليها وتُلوي : دفقةٌ من سنًى على لبنان ،
أيّ سرٍّ في قلبه يترك الصبحَ مريضاً في غمرة الاحزان ؟
فالبرايا مثلُ ازورارٍ عن الهَدْيِ ، ومثلُ اختلاجةٍ وانقضاء ،
والهدوء الرحيبُ ، والقيظ والنارُ انهيارُ الفضاء فوق الفضاء .

بعد سكوت وتأمل

ما تُرى الظافر المجلبَ بالقوّة ، يبدو موشحاً بالذهول ،
يمسح الدمع خفيةً عن عيون الناس ، عن نفسه ، وعن راحيل !

سكوت طويل ، اغانٍ مُبهمة تجيء من بعيد . تقعد المجنونة دون تمعد في ظلّ المحرقة بحيث لا يراها الداخلان

المشهد الرابع

المجنونة ، يفتاح ، راحيل

راحيل

هاتِ ، يا والدي ، عن الحرب ، فالدمعُ بعينيك ريبةٌ في انتصارك ،
والتقاء الحسان بالبسمة الحرّى دليلُ انتحابةٍ في قرارك ،
اتراها هزيمةً ؟!

يفتاح

لا ، وراحيل ، فيفتاح في انتصار فردِ :
سَفَحَ العزَّ دوننا ، وكانا بردَ مجدٍ رحبٍ على برد مجدِ ،
فجرُ نصرٍ يحيا على الاعصر الغرّ ، وتشدو جلاله البيداء ؛
عاد يفتاحُ بالغنائم والأسرى تضيق الربى بهم ، والفضاء .

ضرب الضربة السخيّة في عمّون ، فانهدّ عزّها بحسامه ،
حصد الهام ، فالسهول تجلّلن بهام ، وقفز على أقدامه .
لقي الجيش في « عروعير » صبحاً ، ينزل الرعب دفقة ، والظلاما ،
تتنزّى الهنات عن جانبيه ، فتخال التهديد منه حماما ،
لا انتباه له ، ولا وهن يضرب منه ، فتبدأ الهيجاء .
وتلوّت رجالنا مضض الحيران لاقته فجأة نجلاء ؛
لم يطقها يفتاح وقفة جبن ؛ فعلا صوته يصم الرياحا ،
أمر القوم بالهجوم ، وبالموت ، فادمى السنى ، وأدمى الصباحا ؛
كم نفوس تناثرت والعوالي ، وجسوم تعانقت والمواضي ،
خطبة السيف خطبة الحق ، والكاسي ثياب الدماء كاسي البياض .
صخب الحاملين ملء الصحاري ، ونزاع الفرسان ملء البرايا ،
والتلال الدكناء من جثث الابطال ، والافق من لهاث الضحايا .
يتهادى يفتاح في مطلع الجيش ، على عزّة الأبيّ الظافر ؛
قيل : مستقتل ، وقيل : شجاع عشقته ، فنادته البواتر .
يتحاشى عن الجبان ، ويجري عارضاً صدره على المقدام ،
فاذا يلتقيه في فجأة الطالب ، يرمي بنفسه للحسام .
وتردّى النهار بالدم فانزاح ، وابدى المساء قبل المساء ؛
ورأى الناس عمرهم مثقل الخطو ، كسولا إلى لقاء القضاء ؛
فتنادى عصف المنية فيهم ، وتهادت منه الربى والسهول ،
فاذا فجعة الحراب فناء ، يتلوّى على العدى ، ويميل ؛
وإذا دفقة من البدر تجلو اكمات الاحياء والاموات ،
عرف الناس أيّ شطر اصابوا ، فاذا السيف في ظهور العداة .
وسرى الفتح من «عروعير» يبغي حدّ «منيت» و«القرى العشرينا» ،
وعلى رقصة السنى والأغاني داس يفتاح في بني عمونا .

راحيل

يا نواجي العهد الجديد ، تنتي ! واصغ ، يا كون ، واطربي ، يا سماء !

وتهادي على بطولة قومٍ ، هم جبينٌ إلى العُلى وضّاء !
واملأي الارض باسم ربك مجدًا ، باسم جلعادَ ، باسم اسرائيلا ،
واقطفي الشهب والشموس ليفتاح ، وصوغي لشعره الاكليلا !

تلتفت الى الداخل كأنها تناجي يفتاح ، بينما يفتاح الى جنبها يكظم دموعه وآلامه

يا بريقَ الآمـال ، يا جانيَ المجد ، رعاكَ الجلالُ من لبنانِ ،
واشرأبت زرقُ النجوم تحيّيـكَ بشتّى الأضواء والالوان .
يا صلاةَ الرجوع لله بعد الكفر ، بعد المحلولكات الخطوب ،
ذكرتك العـذراء في صفوة البال ، وفي هجعةٍ بحضن الحبيب .
عفو اردانكَ النقيّـة ، يا يفتاح ، عفو الرمال تحت خطاكا !
انا جدّفتُ ، من غروري ، على القدس ، غداةَ اقتربتُ من ذكراكا .

يفتاح

عدتِ ، راحيل ! للصواب ، والفيتِ بيفتاح زَيْنَ اسرائيلا !

راحيل

زينهم ? لا . فحبذا الظافر الأكبر في مثلِ والديكَ أُصولا !

يفتاح

تظلمين اليفتاح ، راحيلُ .

راحيل

لم اظلم . وحقِّ تكبّري واعتزازي !

تشير الى أبيها ، وكأنما تذكّره بالكبر الذي رباها عليه

وابي بتّي النيـاسمَ من تيـه الرواسي ، ومن شموخ البازِ .
عشتُ في قربه ، يتيمةَ أمٍّ ، فانا منه دنيواتُ الهناء ؛
لا اماني لـهُ سواي ، ولا لهوَ ، يريني في الارض ظلَّ السماء .
كلُّ شيء حولي علاءٌ وكبرٌ ، كلُّ شيء مخضّبٌ بالكمال .
مـا قرأتُ التاريخ إلّا جليلًا ، في فم يبعث الكلام لآلي ؛
أو رأيتُ الاعمال الّا كبارًا ، من يدٍ خصبة الندى والسماح ؛
وكتابي أبي ، أرى فيه من موسى ، كليم العُلى ، ومن يفتاحِ .

وإذا نلتقي على ذكر أمي ، ففضاءٌ مغرورقٌ بالشعاع ،
او نغني بمكرُماتِ جدودي ، فرباعٌ غراءُ إثرَ رباع .
خلّني ، خلّني ، على ذكر يفتاح ، ارى فيك أطيب الناس ذكرا ؛
وإذا تشرف البلاد بيفتاح وجلعاد ، تلتقيك الأبرا .
هاتِ خبّر عن روعة الحرب والنصر ، وعن بُسّلٍ لديك أجادوا .

يفتاح

كلُّهم باسلٌ .

راحيل

وايُّ الرجال الغُرّ جلّى ؟ يفتاحُ ام جلعادُ ؟

يفتاح

وحده

ربّ !

راحيل

قلها بلا اتضاعٍ !

يفتاح

بعد تحيّر

كلانا .

راحيل

لا ! وانت المجرّر المجدَ أصلا ؛
إن يعادلْك في الطعان ، ففي فرعك كبرٌ يُلقي على الشمس ظلّا .

يفتاح

ما تقولين ؟ بعد رفرفة النصر ، وبعد انتفاضةِ الرايات ،
بعد خوضِ الطعان مرتفعَ الرأس ، وخلع العُلى على الساحات ،
بعد نسج الشموس بردةَ مجدٍ ، لا ترين اليفتاح غير وضيع ؟!

راحيل

هو ما قلتَ ، يا أبي ،

يفتاح

وجلاءُ الفتح ، يا بنتِ ، عن غوالي الربوع ،

وانتشالُ الاطفال من غمرة الموت ، ومنعُ المخـدّرات النساء ،
وحماء الاطهار فينا العـذارى من فجور الصُّبابة الاعـداء ،
والفعالُ الغرّ العُلى ، مَن اتاهـا غير يفتاحَ ؟

راحيل

انت ، والامجادُ .

يفتاح

مـا انا والرجال الّا دمى خرسٌ ؛ ولولا يفتاحُ ، صمٌ جمادُ .
بثّ فينـا العلى ، وقادَ الشتاتَ النذر منا ، مجرّحاً ، ملتاعا ،
فـاذا نحن نقتفي إثرَ يفتاحَ ، فنمشي الى الجبالِ سراعا .
نحن ، لولا يفتاح . . .

راحيل

تقاطعه بمثل الغضب والعتاب

يكفي ! تراءى لك سَمحُ الطعانِ سَمحَ الاصل ؟
امتـدحَ طعنةَ الموفّق ، يا جلمادُ ، لا تمتدحْ ذراع الأذلّ .

يفتاح

وحده

ربِّ !

راحيل

حاربتَ جنبه ، فغزا قلبك بالوَفر من جميل الطعانِ ،
فنسيتَ الاصل الذليل ؟ !

يفتاح

أناةً . . .

راحيل

مستطردة

واشتريتَ العُلى له بالسنانِ؟!!
والدي ، يا سايلَ مجدٍ عريقٍ ، لي رجاء ، على هواك ، وحيدٌ :
لا تجد في الفعالِ مغفرةَ الذلّ ، فلا يُشترى أبٌ وجـدودُ .
أنا أخشى مَغبَّـةَ وَفرةَ الشرّ ، إذا يَحيي الخنى في الوليدِ ؛

يطهر المرء ، وهو يرعى رؤى اللعن بثغر الحقد قبل الحقد .
لا أطيق امتداح يفتاح من فيك ، فدعني أمضي .

تخرج

المشهد الخامس

يفتاح ، المجنونة

يفتاح

حنانك ! ربّي ،

أيّ كأس تذيقني ، في انتصاري ، من دمائي ومن حشاشة قلبي؟!
انا كفّرت عن خطيئة آبائي بعمرٍ من الأسى والعذابِ ،
واعتزلت الدنيا اغتفارًا ، وضحّيتُ هنائي ، تقرّبًا ، وشبابي !
ونذرت الثمين والسمحَ قربان ظهوري على العداة ، وثاري ،
وتماديت انذر الغادة العذراء أولى المغنيات انتصاري ،
وإذا التقي جموع العذارى ، تتراءى راحيلُ نصبَ جفوني ؛
وأشيح الانظار عنها فالقى ، ما تلفّتُ ، وجهها يلتقيني ؛
وسأقضي ، يا ربِّ ، بعدُ على بنتي ، فيا ربِّ ، هل كفتك المنيّة؟!

المجنونة

تكون قد تركت مكانها والتقت يفتاح وجهاً لوجه

ايه ! يفتاح ، ما يجول بعينيك ؟

يفتاح

هاربًا

دعيني ، نذرت بنتي ضحيّة !

المشهد السادس

المجنونة ، ثم راحيل

المجنونة

أيّ نذرٍ ! يفتاح ، لا شرعة الله رأته ، ولا كرور السنينِ
انا مجنونةٌ ، وأنت على رشدٍ ! فخذ من فمي رشاد الجنونِ

تدخل راحيل فتراها المجنونة دونها ضارعة

أهجري، بنت، مضرب الظافر الدامي ، وخلّي مطارف الارجوانِ ،
وتعالَي الى حيــاةِ البراري ، فهي أبهى من بهجة الصولجانِ .

راحيل

متذكرة الحلم

صوتُ حلمي !

المجنونة

تعجّلي ، فهناء العمر مرمى فراشةٍ من سراجٍ !

راحيل

تعود الى نفسها وكأنما تهزأ من المجنونة

أهجرُ البيتَ مثل مجنونة ؟

المجنونة

لا ، مثل من يتّقي جنون التاج !

أسرعي ، بنتِ .

راحيل

في حنانكِ شيءٌ من أبي في تعطُّفٍ وتمنٍّ .

المجنونة

في تمنّيهِ ؟ في تعطّفهِ ؟ لا .

راحيل

بعجب

أنتِ تأبينَ ؟

المجنونة

بحسرة واعتزاز

كلُّ ما فيه منّي

راحيل

بقلق

من تكونين ؟ يا عجوز ،

المجنونة

دعيني ؟ واهربي قبلما يفوت الاوانُ .

راحيل

وقد تزايد قلقها

أنبئيني مَن انت أتبعْكِ .

المجنونة

خلّيني وشأني ، فكل ما بي هوانُ !

راحيل

تهزّها فائدة الصبر

هل تقولين ؟

المجنونة

لم أعد في جنوني فـأزيدَ الضنى بقلبٍ حزينٍ ،
أهربي .

راحيل

كشفتِ سرّكِ .

المجنونة

لا ! لا !

راحيل

لِمَ تأبين ؟

المجنونة

لم أعد في جنوني

ترى يفتاح مقبلاً

قرب السيفُ ، فاتقي السيفَ ، راحيل !

راحيل

بحيرة

ابي !

المشهد السابع

المجنونة ، يفتاح

يفتاح

يكون قد رأى ابنه وبنت معاً

مَن أرى ؟ خباءك ، بنتي .

المجنونة

وقد حزّت تضرعاتها الى يفتاح بعد أن خرجت راحيل

رحمةً بالجمال ، بالرونق الضاحي ، بزهر بِكرِ الجمال ونبتِ !

رحمةً بالشباب ! ...

يفتاح

من قال ؟! ...

المجنونة

يفتاح ...

يفتاح

إلهي ! أتسمع أسمي داري؟!

إخفضي الصوتَ .

المجنونة

نحوَ نصركَ ربَّنا ...

يفتاح

اخفضي الصوت عن نسيمٍ سارٍ .

كلُّ شيءٍ في بيت راحيل كبرٌ، في ثراها، في المنحنى، في التلول،

إخفضي الصوت يجفل المضرب الذاكي براحيل، أو بهوى راحيل .

المشهد الثامن

يفتاح، المجنونة، راحيل

راحيل

يكون قد تقدمها جلبة من الداخل

والدي، والدي، أتاتكَ بالنذر، ورحماكَ بالعذارى الحسان !

يفتاح

سمعتنا ؟!

راحيل

رحماكَ، جلعادُ .

يفتاح

وحده

جلعاد ؟

لراحيل

اطلبي، إن اردتِه، صولجاني .

راحيل

صولجان ؟ ! أبي ، بجلادَ ابكارٌ حسانٌ نذرتْ منهنّ بكرا ،
فاعفُ عنها .

يفتاح

ربّي !

راحيل

وابكار جلعاد مروج الربيع نورًا وزهرا ،
فتصوّر منهنّ مفناجَ خصرٍ تتلوّى على لظى النيران ،
يلفح الوهجُ جبهةً من محيّاها ، وثغرًا لم تلقهُ شفتانِ ؛
ويحزُّ اللهيبُ زرقةَ عينيها ، فتُغضي عن عالَمٍ في أنهيار ؛
وينيم الحُدْان عن سحر رحبِ تراءى عرض اللظى والشرار ؛
ويهيج الصدرُ المهدَّمُ أشلاءَ الاماني ملويّةَ الاعناقِ ،
مثلُ دنيا تموت ، مثلُ خيالٍ ينمحي عن معالم الاحداقِ ؛
فالعصور الطُّهورُ يركضنَ إعراضاً عن الكونِ ضاق بالاثم صدرا ،
ويغيضُ الضياء عمدًا ، ويَبكي الزهرُ

يفتاح

بنفاد صبر ، وقد تصوّر بنت نفسها على المحرقة بهذا الشكل الذي تصفه هي دون ان تعلم

راحيل ، يا ربيعي الأغرّا ،
يا نشيدَ الاضواء ، يا زُرقةَ الحُلم ، فداكِ السنى بسيف أبيك ،
وفداكِ النصرُ المهلّل في الدنيا ، ورجعُ الصلاةِ والتبريك ؛
انتِ نذري !

المجنونة

يفتاح !

يفتاح

أمي !

راحيل

باستفهام ، فحيرة ، بعد ان تنقل طرفها من يفتاح الى المجنونة فتفهم كل شيء

ترى ؟ ! . . .

المجنونة

يفتاح ، ردَّ الظلامَ فوق الظلامِ ،
واطوِ من نصرِكَ البرودَ السَنيّاتِ ، وزفَّ الدنيا سيوفاً دوامي ،
واملإِ الارضَ والعوالمَ شراً ، وابعثِ الريحَ بين جهشٍ وجرحِ ،
وتحدَّ العُلى ، ولا تغمسِ الكفَّ وتنهدْ في دمٍ منك سَمحِ !

تمضي مولولة

راحيل

والدي ، ما شجا فؤادي ، قربَ الموتِ ، غيرُ النداءِ : « يا يفتاحُ »
يا مناي البيضاءُ ، كيف تموتين ، ويبقى هوى ويبقى صباح؟!
اعشقتِ الحزينَ ، والكون صحوٌ علويٌّ ، والريحُ طيبٌ خفوقُ ،
أم تحنين نثرَ عقدكِ في النورِ ، فيبكي على هواكِ الشروقُ ،
فاذا في الاثيرِ ، منكِ جنازاتٌ ، وفيه تفجّعٌ وجراحُ !

اغانٍ من الداخل بعيدة : رجّعي ، يا رياح ،
نغماتِ الهناءْ ،
وافتحي باب السماءْ
للعذارى الملاحْ !

راحيل

العذارى يُنشدن ، والأكم الخضراء تزهو بهنَّ ، والأدواحُ ،
والأماني زرقٌ على قببِ « الكرمل » ، والكونُ هازجٌ بالعذارى ،
وانا انظر الحياةَ سواداً ، وجلالَ الحياةِ دمعاً وعارا !
والدي ، والندي ، حنانكَ شهرين أناجي ، مداهما ، آمالي

يفتاح

لكِ ما شئتِهِ !

راحيل

مستطردة

واقطفُ عمري زهراتٍ بيضٍ ، كوجهِ خيالي !

— ستار —

زحله ، ٩ حزيران ١٩٣٣ — ٤ ايار ١٩٣٤ — ١٥ ك ١ ١٩٣٤

في تاريخ الفقه الاسلامي

ثلاث محاضرات

للدكتور يوسف شخت
الاستاذ بجامعة كونيكسبرج ، والاستاذ بالجامعة المصرية

انّ الغرض من المحاضرات الثلاث التي اتشرّف بالقائها عليكم هو ان اتحدّث اليكم عن الطريقة التي يجري عليها العلم الاوربي في درس الشرع الاسلامي ، وعن بعض النتائج الهامّة التي اسفر عنها الدرس . وقد بدا لي انّ هذا الموضع خليق بان يثير اهتمامكم من اكثر من وجهة واحدة . فانّ مصر كبلد اسلامي حديث لا يمكن الّا ان تهتمّ ببحوث علمية ترمي الى اظهار خاصة من خصائص الاسلام ، والعلم الاوربي من جانبه ينبغي الّا يهمل الاتصال بالعلم الاسلامي المعنيّ بهذا الموضوع . ورغم اختلاف المبادئ والطرق والمصالح التي تفصل هاتين المدرستين احداها عن الاخرى ، فقد الّفت بين بحثيهما في الشرع الاسلامي آصرة مشتركة جوهرية ، هي روح البحث العلمي الذي يحدو المستشرقين الاوربيين اليوم كما كان يحدو علماء الاسلام من عهد القرون الوسطى . هـذا التعاد المشترك يبعث على اشدّ التفاؤل بتعاون مثمر قائم على الاحترام المتبادل بين العلماء الشرقيين والغربيين في هذا الباب ، تعاون لا يوهن في تعلّق فريق منهما بالتقاليد واستمساك الفريق الآخر باساليبه العلمية ؛ واني لأرجو ان يكون في مقدوري المساعدة على تنمية التفاهم بين الفريقين . وليس في نيّتي ان اعرض صورة عامة للشرع الاسلامي وان اكرّر كثيراً من الاشياء المعلومة لكثرتكم بلا شك ، بل اتكلم عن مسائل خاصة في تاريخ هـذا الشرع تناولها علماء اوربة متوخياً عرضها عليكم في صورة قـد تثير اهتمام حتى غير الاختصاصيين منكم .

ولنبدأ بالمسألة العامة ـــ مسألة تاريخ الشرع الاسلامي . فهذه المسألة تمكّنني

من اطلاعكم على ما بين وجهتي النظر من اتفاق تام . فعلماء الاسلام يرون في الشريعة تعبيراً عن الارادة الالهية التي لا تبديل فيها ؛ وقد كان مع هذا المبدأ من المسلّم به دائماً ان تعبير الفقه عن هذا القانون الالهي مر بدور تاريخي حتى ان بعض المؤلفين المسلمين عنونوا مؤلفاتهم «بتاريخ التشريع الاسلامي» ؛ وقد جهد علماء اوربة ببحث هذا التطور دون ان يكون لهم بمسائل العقائد شغل ، وتناولوا بهذا الروح تاريخ الشريعة . والعلماء المسلمون انفسهم ، على الرغم من اعتقادهم بقدسية الشريعة وصبغتها الالهية ، يسلمون بان احكاماً من احكامها كانت موجودة فعلاً في شرائع اخرى قبل ان يقرّها التشريع الاسلامي ؛ ولنضرب لذلك مثلاً واحداً هو القصاص ، فان مبادئه التي عدّلها واكدها القرآن والسنة ترجع الى القوانين العرفية عند العرب قبل الاسلام . فالعلم الاوربي يبحث فيما يسمّى بالعلاقات بين الشريعة والشرائع التي سبقتها بهذا المعنى التاريخي المحض — ذلك المعنى الذي لا يضير ما في علم اصول الفقه الاسلامي من الحقائق . ومعلوم جيداً ان العلماء المسلمين انفسهم يطبقون على الاسانيد قواعد نقدية ، وهذا النقد الذي وسّع النقاد من علماء اوربة دائرته وذهبوا فيه بعيداً قد بات اداة للعمل لا يستغني عنها العلم الاوربي — اداة ليست سلبية محضة بل قد اعانتنا على تقرير صحة الكثير من الاحاديث . في هذا كله يمكن ان يوجد ، بل يوجد فعلاً اختلاف كبير في الأساليب والنتائج بين علماء الشرق والغرب ، ولكن لا وجود لخلاف جوهري لان مبادئ عقائد الاسلام لا تؤثر في دراستنا التاريخية للشرع الاسلامي . هذه المدرسة الاوربيّة لا تقف عند حدود الشريعة ، التي تلتزم غايتها الاساسيّة بطبيعة الحال ، بل تتجاوزها ابحاثها الى وجهات عدّة . فتتناول القوانين الاخرى المتصلة بالشرع الاسلامي اتصالاً مباشراً ، سواء أكان ذلك باندماج سنن تلك القوانين في الشريعة الاسلامية بالمعنى الذي اسلفنا بيانه ، ام كان بتأثير الشريعة في تلك القوانين والسنن . والمقصود بذلك قوانين العرب ايام الجاهليّة من جهة ، وقوانين الشعوب التي دخلت في دولة الاسلام من جهة اخرى ؛ مثال ذلك التشريع الخاص بالاسبان المسيحيين الذين يتكلمون العربية وهم المستون بالمستعربين . ويتناول

الدرس ايضاً موضوعاً واسعاً ، هو العرف القائم بين الشعوب الاسلامية نفسها. اننا نعلم ان هذا العرف الذي يطلق عليه اسماء مختلفة كالعادة والقانون والدستور الخ قد نشأ الى حدّ ما في كافة بلاد الاسلام تقريباً ، الى جانب الفقه المعترف به رسمياً ؛ وشرح تاريخ هذا العرف وبيان علاقته بالشريعة امر لا غنى عنه في تفهّم جملة الحياة التشريعية عند الامم الاسلاميّة تفهّماً صحيحاً . وقد شهدنا في خلال السنوات الاخيرة تطوّراً جديداً في العلاقات القائمة بين الشريعة والقانون بتلك التعديلات التي ادخلتها مصر على الاحوال الشخصية . واخيراً فالعلماء الاوربيون يعنون بالمظهر الاجتماعي للشرع الاسلامي ، لان الشريعة احسن مثال وأهم مظهر لما يسمّى « بالقوانين المقدّسة » . وبهذا لا نريد مطلقاً ان نضع الشريعة في مستوى واحد مع سائر الشرائع ، بل نحرص كل الحرص على اظهار خواصها الفردية ابتغاء الوصول الى تقدير مركزها الفريد بين الشرائع والقوانين الاخرى . فاذا كان علمنا يضع الشريعة في افق ابعد زاعماً ان تلك الشريعة ليست حقيقة شاذّة لا علاقة لها بما حولها ، فانما نفعل هذا لكي ندرسها اوفى درس ممكن من كل جهاتها . كذلك لا يهمل العلماء في اوربا درس الشرع الاسلامي على طريقته التقليديّة الخاصّة ، فان هذه الدراسة شرط لازم يمهّد لكل بحث تاريخي . ولعل في هذه الملاحظات التمهيدية ما ينيلكم فكرة عامة عن هذه الوجهة العامّة من بحوثنا وغاياتنا .

وقبل المضيّ في التفاصيل قد يحسن أن اقول كلمة عن تاريخ هذه الدراسة في اوربة . فوجودها يرجع الى عهد قريب لانها مدينة باصلها للنهضة العظيمة التي تناولها البحوث الاسلاميّة في اوربة في النصف الثاني من القرن الماضي . والمشتغلان الكبيران على البحوث الاسلامية العامة هما في نفس الوقت واضعا اساس البحث العلمي في الشرع الاسلامي ، وأعني بها الاستاذ المجري الكبير Goldziher (توفي في سنة الف وتسماية وواحدة وعشرين) والاستاذ الهولندي المحترم Snouck Hurgronje الذي بلغ اخيراً الثامنة والسبعين من عمره . والى اسمَي هذين الصديقين الجليلين يجب ان نضيف اسم عالم الماني قضى قبل الأوان في سنة الف وتسمائة وثلاث وثلاثين في الخامسة والاربعين من عمره ،

واعني بــه المرحوم المأسوف عليه الاستاذ Bergstraesser واني لاعتبر نفسي تلميذاً لـ Bergstraesser و Snouck Hurgronje وانا شاعر بجميلها اعمق الشعور ، فخور بها حق الفخر .

ان اولى المسائل الخاصة التي سأعالجها هنا تتعلق بالقانون العرفي عند العرب في زمن الجاهلية ، وهو كالارض التي كانت تنمو عليها شجرة الشريعة العظيمة ، ولهذا السبب فانه يدخل في نطاق ابحاثنا كما المعنا آنفاً . هنالك رأي سائد الى اليوم يعتبر الحياة القانونية في جزيرة العرب قبل الاسلام مما لا يمكن درسه لانتفاء المصادر المباشرة ، ويزعم ان تلك الحياة كانت فطرية بسيطة بحتة . ولقد مكنتنا ابحاث السنوات الاخيرة القائمة على الانتفاع بمصادر غير مباشرة من تصحيح هذا الرأي . فلم يكن فطرياً سوى احوال البدو ، يشهد بذلك الشعر القديم واخبار القبائل ويؤيده ما يصادفه المرء عند البدو اليوم . اما المدن ومنها مكة التي كانت مركزاً تجارياً ذا صلة باليمن وسورية البيزنطية والعراق الساساني ، والمدينة التي كانت مركز زراعة النخيل مركزاً يضم جالية كبيرة من اليهود — نقول : اما المدن ، ومنها ما ذكرناه ، فكان لها بلا ريب قانون اكثر نمواً لم يكن الّا ليتأثر بالعوامل الخارجية التي ذكرناها . ويمكننا ان ننسب بالتفصيل الى الاصل البدوي اشياء منها النظام الاجتماعي واحكام العائلات والمواريث وقانون القصاص — وكل هذا بقي سارياً على اهل المدن ايضاً — ، ويمكننا ان ننسب الى التطور المدني الموافقة على قواعد مفصلة تطبق على العقود ووضع اشكال معيّنة للشركات واستعمال وثائق مكتوبة — كل هذا في مكة — ، ومعاملة بعض العقود الزراعية في المدينة . فكل هذه العناصر لم تبقَ بمعزل بل اتسع تداخلها بتأثير العلاقات التجارية التي تساعد على نموها الاشهر الحرم والاسواق الكبرى ، حتى ان بلاد العرب كانت في القرن السادس بعد الميلاد محكومة بقانون عرفي متشعب الاطراف . وهذا يطرح مسألة تحليل هذا القانون تحليلاً مفصلاً ساقدم لكم مثالاً منه .

الحالة في الشرع الاسلامي هي ان العنصر الجوهري في كافة العقود يتألف من الايجاب والقبول اللذين يعبّران عن تراضي المتعاقدين . وهذا التركيب القانوني

للعقود من الايجاب وقبول تجمع مذاهب الفقه على التسليم به كانه امر طبيعي دون ان يتناقض بعضها مع بعض ، وهو لا بد ان يكون سابقاً لتلك المذاهب فضلاً عن انه لا صلة له بالمبادئ الاسلامية المحضة كمنع الربا ومنع الغرر التي تُبنى عليها كافة الابواب المتعلقة باحكام العقود من الشريعة. وهذا كله ودلائل اخرى تحمل على الاعتقاد بان تلك العبارة القانونية عن طبيعة العقود ترجع الى القوانين العرفية فيا قبل الاسلام. اجل ان هذه الفكرة القانونية تكاد تكون شاذة شذوذاً تاماً في تاريخ القوانين القديمة . فان الامر المعني هنا ليس بذلك الدور الطبيعي الواضح الذي كان للايجاب والقبول دائماً في الحياة الاقتصادية باعتبار انها مقدمة العقود المتواضع عليها بمحض التراضي ؛ ولكن النقطه الحاسمة هي ان الايجاب والقبول يعتبرهما النظر القانوني عنصراً جوهرياً في العقود . واولئك الذين درسوا الشرع الاسلامي او القوانين الحديثة فقط يمكن ان يلوح لهم هذا ضرورياً ، بيد ان التاريخ يدلنا على ان الامر ليس كذلك ؛ لان مثل هذا التركيب القانوني للعقود لم تعرفه القوانين القديمة اللهم الا الشرع الاسلامي والقانون البابلي الحديث . فان هذا القانون يعطي نمطاً من صيغة تعاقدية يتفق تماماً ونظرية العقود التي اسلفنا بيانها ، بحيث ان نفس العقود البابلية الحديثة لو تُرجمت الى العربية يمكن ان تبدو بين الوثائق الاسلامية القديمة المبنية على النحو الاتي : « هذا ما اشترى فلان من فلان . . . وباع هو اياه . . . بتراض منهما . . . » . هذه الحقيقة الراقمة تحدو بنا الى التساؤل : اتوجد علاقة تاريخية بين هاتين الظاهرتين ؟ ان الفارق الزمني ليس بكبير مهما يظهر منه عند اللحظة الاولى . فان الوثائق البابلية الحديثة تبتدئ من اواخر القرن الثامن قبل الميلاد وتستمر الى نهاية الآداب البابلية حول الميلاد ، والقانون العرفي العربي كان قد اكتمل تطوره في القرن السادس بعد الميلاد . بيد ان بعض خواصه قد يرجع الى ما قبل ذلك . وليس يدعو الى العجب ان تبقى صيغة وثائق جمدت خلال سبعة قرون لكافة الاعاصير السياسية والاجتماعية والاقتصادية في العراق — نقول : ليس عجيباً ان تبقى مثل تلك الصيغة التعاقدية بعد ذلك زماناً ، وان كنا لا نستطيع الجزم بهذا لاننا لا نعلم شيئاً عن تلك الفترة . على ان الاستمرار

التاريخي للبيئة موكد على الأقل ؛ ذلك ان العراق كان يسكنه منذ القرن الثامن قبل الميلاد وعلى الرغم من تبدل الأسر الحاكمة اولئك السكان الآراميون الذين لم يزالوا يسكنونه في خلال الفتح العربي والذين سماهم العرب بالنبطيين . اما القانون العرفي العربي فان التأثر الذي يمكن ان يكون تناوله من جانب العراق ليس اقلّ احتمالاً من التأثير الذي اصابه من ناحية سورية ، وهذا مؤكد لان التجارة العربية كانت تتجه نحو القطرين على السواء.

وصفوة القول انه من الراجح رجحاناً كافياً ان صيغة العقود ذات الجانبين اي الايجاب والقبول قد توورثت من القانون البابلي الحديث. وقد المعنا الى ان تلك الفكرة القانونية في انعقاد العقود ليست بالوحيدة الامكان ، فان هنالك فكرة اخرى منتشرة انتشاراً واسعاً في القوانين القديمة تعتبر العنصر الجوهري للعقود موجوداً في تصرّف واحد من المتعاقدين . مثال ذلك ان ينعقد البيع بنزول البائع عن حقه في الشيء المبيع للمشتري في مقابل ثمن معين . ويظهر من الاصطلاحات العربية ان القانون العرفي قبل الاسلام كان قد عرف هذه الفكرة في طبقة سابقة لدخول الصيغة التبادلية في العقود ، وهذه الاصطلاحات ترجع بلا شك الى الزمن الجاهلي ايضاً . فبينا الاصطلاح الفني للقبول يعبّر رأساً عن معنى الفعل الذي يقع عليه فان الاصطلاح الخاصّ بالعرض — وهو الايجاب — يتناقض تناقضاً ظاهراً مع الدور المخصص لفعله لو اعتبر العقد ، كما هو الواقع ، آتياً من الجانبين . فهو يصف العرض الذي هو فعل البائع في مثالنا السابق كانه يجعل العقد واجباً نهائياً مختوماً عليه لا رجوع فيه ، بدليل معنى كلمة الوجوب في شواهد كثيرة ؛ منها حديث مشهور اذ يقول النبي عن رجل اسلم ثم استشهد على الأثر : وجبت له الجنة . وعلى النقيض من ذلك فان العقد ذا جانبين لا يصير واجباً الا بقبول عرض سابق ، بينا التصرّف من جانب واحد على نحو ما اسلفنا يطابقه ذلك الاصطلاح تماماً . ان هذا العصر الجاهلي يكشف لنا عن ارض عذرية واسعة خصيبة لأبحاث مستقلة.

والمسألة الثانية التي اودّ ان اتناولها تتّصل بعصر هو اهم من غيره في تاريخ الشرع الاسلامي اعني عصر فقهاء المدينة السبعة . وقد كان الاعتقاد الى الآن

ان عمل هؤلاء الفقهاء الاولين للاسلام كان وضع نظـام للفقه يطابق حاجات عصرهم المختلفة . ولكن الابحاث التي جعلتنا اكثر معرفة بحالة القانون العربي في العصر السابق للاسلام هي نفسها التي علمتنا ان نقدر عمل هذا العصر الآخر بأدق مما كنا نفعل ؛ فهذا العمل هو قبل كل شيء ادخال المبادئ الاسلامية في قانون كان قد نما اذ ذاك نموًّا كافياً . واصحاب الفضل الاكبر في ادخال المبادئ الاسلامية في القـانون العرفي الجاهلي كانت تضمهم دوائر الاصحاب والتابعين وتابعيهم في المدينة . كانوا يعملون على نفاذ الحياة بأسرها ومنها الحياة التشريعية بقواعد دينية اخلاقية ،وهذه القواعد كانوا يستمدونها ويستنتجونها قبل كل شيء من الآيات القرآنية الشرعية ثم من الاحاديث . فالاحاديث التي كانوا ياخذون بها ترجع بلا شك الى عصر قديم جدًّا . ومن الجدير بالذكر ان الابحاث الحديثة افضت بالعلم الاوربي الى تعديل تشككه في صحة بعض الاحاديث ـــ ذلك التشكك الذي كان يغالي فيه احياناً . فكثير من تلك الاحاديث لا يذكر اقوال النبي وافعاله التي كانت تصير قواعد جديدة ، بل يذكر ان النبي قرّر وأجاز عادات اصحابه باستصوابها صريحاً او ضمنياً دون ان يستنكرها . وهذا هو البرهان المباشر لما نسميه استمرار السنن القانونية السابقة في الشرع الاسلامي . ولقد كان من هذا التطبيق المحتوم المنظّم لاحكام القرآن والسنة أن اشتمل نظام من « الأوامر والنواهي » على جميع ابواب الحياة القانونيّة حتى التي لم ينص القرآن عليها صراحة . وروح هذه « الشريعة المقدّسة » تختلف اصلاً عن روح القوانين المدنية كالقانون الروماني مثلاً . فان امثال هذا القانون تتناول قبل كل شيء الحقوق المشتقة من افعال معينة ذات قيمة قانونية ، على حين ان الشرائع المقدّسة تعنى بالحكم على الافعـال من حيث انها مباحة او محظورة . وهذا بيّن من الاصطلاحات الفنيّة : ان التدرّج العام لاعمال الانسان من واجبة او مفروضة ومندوبة ومباحة او جائزة ومكروهة ومحظورة تعبّر عن صفاتها الدينية والاخلاقية . ولكن كلمة الواجب لم تدلّ في الاصطلاح الجاهلي ـــ كما رأينا ـــ على المفروض بل دلّت على الصحيح وقد تستعمل في هذا المعنى احياناً في كتب الفقه ايضاً . ونحن نشهد حقيقة على تراجع للعنصر القانوني المحض بتأثير

القواعد الاخلاقية . حتى نفس نظام المصطلحات الدالة رأساً على انواع الصفات القانونية ، وهي مشروع وصحيح ومكروه وفاسد وباطل الى غير هذا ، تأثرت بتلك النظرية الدينية : فالصفة العامة وهي المشروعية ، مشروعية البيع مثلاً ، تشتمل حكماً من هذا النوع الديني الاخلاقي ؛ ثم اننا نجد صفة الكراهة تطلق على افعال قانونية مشروعة صحيحة يليها شيء من المنهي عنه . ومن الجدير بالذكر ايضاً ان هذا النظام المدرّج الثاني اقل تفصيلاً من التدرّج الاول وان بعض المصطلحات الدالة على الصفات القانونية المحضة كاللازم والنافذ والبات قد بقي بلا تحديد حاسم دقيق . واخيراً فان اصطلاح « الجائز » اصبح مترادفاً لاصطلاح « الصحيح » ويدل على ان الافعال التي يطلق عليها لا بأس بها من حيث التقدير الديني الاخلاقي فهي بهذه المثابة صحيحة . واذا قيل ان امان المسلم الواحد مثلاً جائز فمعنى ذلك من جهة انه غير آثم في منحه هذا الامان ، ومن جانب آخر انه لا اعتراض على هذا الفعل وانه من اجل ذلك يعتبر صحيحاً .

ومن هذا كله يتضح ما للتقدير الديني الاخلاقي للاعمال من اهمية ومن اولوية على الصفات القانونية المحضة في الشرع الاسلامي . وليس هذا بأقل وضوحاً في نظام الاحكام الشرعية نفسها . فان الجانب الاكبر من احكام المعاقدات مثلاً يتسلط عليه الميل الى استخلاص كل النتائج من تحريم الربا والميسر ؛ اما احكام العقوبات فانها لا تتناول الا جانباً بسيطاً من الافعال المحرّمة ، بحيث يكون للاوامر والنواهي صبغة ادنى الى ان تكون اخلاقية منها الى الصبغة القانونية .

ان مصدراً من مصادرنا الكبرى فيما يتعلق بهذا العصر هو على الرغم من تاريخه الاحدث قليلاً كتاب الموطأ لمالك بن انس . انه جدير بالذكر ان اقوال الفقهاء السابقين تتلو بعضها بعضاً في ابوابه التي تتصل بالاوامر الاخلاقية وبكافة الاحوال الشخصية والمواريث — تلك الاحكام التي ترى صبغتها الدينية بادية ظاهرة — ، في حين ان هذه الاقوال نادرة في كثير من الابواب المتصلة بالقانون التجاري الذي كان بعيداً عن دائرة الاخلاق قليل الاكتراث له لا يثير مناقشات اهل الدين . فهذه الابواب من جهتها تمتاز بتغلب مصطلحين فيها وهما السنة والاجماع . فمعنى السنة في كتاب الموطأ هو العرف والعادة المسنونة في المدينة ،

لا سنة رسول الله فقط ، والفرق بينها من جهة الاصطلاح ظاهر . اما الاجماع فتقتضاه في كتاب الموطأ غالباً ان سنة من السنن القانونية لم يستنكرها واحد من الائمة لاسباب دينية اخلاقية . ويجب ان نذكر الى جانب كتاب الموطأ لمالك ابن انس مصدراً آخر هاماً لذلك الدور من تاريخ الشرع الاسلامي ، وهو كتاب اختلاف الفقهاء لابن جرير الطبري ، فهو ، على الرغم من القليل الذي انتهى الينا منه ، اكثر دلالة من الكتاب الاول . مثال ذلك ان الطبري يعلمنا انه كانت هنالك عشرة اختلافات اساسية بين مذهب سعيد بن المسيب (اشهر فقهاء المدينة السبعة) واجماع مذاهب الاجيال التالية ، وهو شيء لا يظهر من المواضع العديدة التي اورد مالك فيها من هذا المرجع تأييداً لآرائه الشخصية . وثمة مصدر ثالث رئيسي لدراسة هذا العصر ، هو كتاب اخبار القضاة لابي بكر وكيع القاضي (توفي سنة ثلاثمائة وست) فهو جامع لأخبار قضاة الامصار الكبرى في الدولة الاسلامية طائفة طائفة على الترتيب الزمني من الابتداء الى عصر المؤلف مبيّناً ظروف توليتهم وعزلهم مفصلاً الحوادث التي وقعت طول ولايتهم مورداً قضاياهم الهامة واحاديثهم وشعرهم الى غير ذلك من المعلومات . ويفيدنا هذا الكتاب عن مظهر آخر للحياة التشريعية وهو تطور الشرع بالعمل القضائي ، فان قضايا هؤلاء القضاة الاقدمين وعلى رأسهم الخلفاء الراشدين قد ساهمت مساهمة كبيرة في نمو الفقه . ولندع جانباً موادّ اخرى لم يتناولها البحث الى الآن كتلك الموادّ التي يشتمل عليها تفسير ابن جرير الطبري الكبير ، ونتنقل الى المصدر الهامّ الرابع لابحاثنا عن ذلك العصر ، ونعني به المعلومات الواردة في كتب الاحاديث وما يتعلّق بها . فقد اسلفنا القول بان الفقهاء الاقدمين كانوا يأخذون القواعد التي كانوا يطبقونها على القانون العرفي من القرآن والاحاديث التي كانوا يرونها صحيحة فلذلك ليس من العجب ان نجد الى جانب الاحاديث كثيراً من القضايا والاحكام تتعلق بها لاسيا في الجامع الصحيح للبخاري . فان صاحبه في تراجم الكتب والابواب كثيراً ما يذكر آراء الفقهاء التي تدخل في موضوعه حتى ولو لم تتفق والاحاديث المذكورة او اعوزت الاحاديث كل الاعواز . وان لنا الحق في ان نفترض ان كل حديث ذي

صلة بمسائل الفقه كان يلازمه اصلاً رأي فقهي مطابق له حتى ولو كان هذا الرأي قد اختفى . والاحاديث — سواء أكانت صحيحة ام مطعوناً فيها — هي في الواقع مصدر من الدرجة الاولى لفهم هذا التطور القديم للفقه ، وعلى الباحثين ان يطابقوا بين الآراء الفقهية التي تعبّر عنها الاحاديث وحالة الاشياء الحاصلة بعد استكمال الفقه على صورته النهائية . واود ان اورد لكم بضعة امثلة لهذه الطريقة — طريقة المطابقة من الاحاديث الشرعيّة والفقه .

فالنص الاساسي للعان ، وهو مثالنا الاول ، هو الآية الآتية : « والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الّا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين . والخامسة انّ لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين » . هذا النص لا يفصل في مسألة النكاح : أيقتضي اللعان فسخه ضرورة ام لا . فجميع مذاهب الفقه تقول بالايجاب وتستند في ذلك الى احاديث . ولكن تلك الاحاديث تثبت هذا الرأي بصورة جازمة قوية حتى ان الرأي العكسي لا بد ان يكون قد وُجد قبل تأليف المذاهب . ويقال ان مصعب بن الزبير قد اخذ بهذا الرأي الآخر ، لكن هذا القول لا اصل له ؛ ولكن الخبر المنفرد عن عثمان البتّي انه كان يرى ذلك فيؤكده .تن الاحاديث نفسه .فاما فسخ النكاح عند اللعان فقد يحتمل ان يكون على ثلاثة وجوه : ان يفسخ النكاح بالطلاق الذي يجب ان يصدر عن الزوج ، او ان يفسخه القاضي المشرف على اداء اللعان ، او ان ينفسخ بوقوع اللعان نفسه . والرأي الاول يطابق بلا ريب المعنى الواضح لطائفة كبيرة من الاحاديث ، بينما لم يبقَ له اثر ما في الاقوال المروية عن الفقهاء الاقدمين ما عدا جدالاً منفرداً ضدّه ؛ ولا بد ان يكون قد اندثر من زمن بعيد ، وقد فسّرت تلك الاحاديث على انها مؤيدة للرأي الثاني . وهذا الرأي تشهد بـه احاديث اخرى كثيرة ويصفه الزهري بانه سُنّة ، وهو مذهب الحنفية ؛ ومن الراجح على الظن ان مالك بن انس قد اخذ به شخصياً في حين ان المالكية قد آثروا عليه الرأي الثالث . وهذا قد اخذ به الشافعي ومن بعده الشافعية ايضاً ؛ لكننا لا نجـد احاديث تؤيده . وهكذا يظهر من مقارنتنا للاحاديث بالمذاهب الفقهية تطوّر بيّن يتّجه اتجاهاً معيناً .

فأحكام القصاص — وهو مثالنا الثاني — مبنيّة على آيات عديدة منها الآية التالية : « يا ايها الذين آمنوا كُتب عليكم القصاص في القتلى الحرّ بالحرّ والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عُفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان » . وقد فسرت هذه الآية تفسيرات مختلفة . منها تفسير يلوح انه مطابق لمناها الظاهر ، يفيد في الواقع ان رجلاً حرًّا لا يمكن ان يُقتل الّا في رجل حرّ وفي المرأة امرأة فقط ، وانه في الحالات الاخرى يجب اداء الدية بدلًا من القصاص . ويزعم اصحاب ذلك التفسير في نفس الوقت ان هذه الآية قد نسختها آية اخرى تنص على القصاص العام وهي الآية الآتية : « وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسنّ بالسنّ والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون » . كذلك اجمعت المذاهب الآن على ان الرجل يُقتصّ منه بالمرأة . وقد فسرت الآية الاولى ايضاً بهذا المعنى استناداً الى حديث لا شك في صحته مؤدّاه ان النبي امر بقتل رجل في امرأة . ومع هذا كله فقد وُجد الرأي القائل بانه لا ينبغي ان يُقتل رجل في امرأة ، ويُذكر من اصحاب هذا الرأي عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة ، ولكن لا يكاد يوجد حديث يؤيّد هذا الرأي . وهذا المثال يفيدنا علماً بانه — ولو ان كل حديث يطابق قولًا فقهيًا — فالعكس ليس كذلك وان بعض الآراء الفقهية يمكن ان يكون مستقلاً عن الأحاديث . ومثل هذا يُقال في مسألة العلم بهل يقتل كثيرون في شخص واحد اذا اشتركوا في قتله ؛ ولما كان اصحاب هذا القول الذي اخذت به مذاهب ابي حنيفة ومالك والشافعي يعوزهم حديث لا مطعن فيه فقد كانوا مضطرّين ان يستندوا إما الى حديث لم يكن دليلًا قاطعاً وإما الى آراء بعض القدماء ، وهو مما اثار انتقادات خصومهم .

ولعل هذا يكفي في وصف ذلك العصر الخصيب من تاريخ الفقه الاسلامي . وحسبنا ان نلاحظ ختاماً لهذه المسألة انه يمكننا ، بالانتفاع بالمصادر الميسورة اليوم ، ان نفهم فهماً دقيقاً تلك الوظيفة التشريعية التي قامت بها شخصيّة قديمة كشخصية ابراهيم النخعي . وبهذه الاشارة الى ميدان واسع لابحاث مستقبلة عظيمة الشأن نختم هذا الحديث الاول .

شوقي على المسرح

شوقي والفن

بقلم ادوار حنين

هل راعى شوقي الجانب الفني في رواياته التمثيلية ؟

مما لا مراء فيه ان شوقي لم يكن فناناً فيما خلفه لنا من الروايات المسرحية، ان من حيث التنسيق وطريقة الخوض في الموضوع، وان من حيث ابداع الاخلاق وحسن نسبتها الى اشخاص عليها مسحة، وان قليلة، من الحياة.

وسيقف المطالع على كلّ هذا في بحثنا عن التنسيق وفيما سنعرض له من مذهب شوقي في التمثيل، وفهمه لبعض المبادئ المسرحية.

التنسيق

ففيما يخصّ التنسيق يحسن بنا ان نميز بين التنسيق الخارجي والتنسيق الداخلي .

التنسيق الخارجي

اما التنسيق الخارجي فعقيم.

من البديهي ان الروايات التمثيلية تُقسم الى مشاهد وفصول. الا ان شوقي احبّ ان يخرج عن المألوف، في الغالب، فيتبع بعض العصريين، فاوجد ما سماه « منظرًا » .

هذا المنظر ليس بالمشهد ولا هو بالفصل . وشوقي يقسم رواياته الى فصول فتأتي الواحدة منها في ثلاثة، او اربعة او خمسة، ثم يقسم الفصل الى مشاهد،

على المعروف في هذا الفن. ويدخل المناظر في الفصول، فيقسم الفصل الواحد الى منظرين ، واحياناً الى ثلاثة ، كالفصل الاول من « قمبيز » والاول والاخير من « اميرة الاندلس » . وان هذه المناظر تتفاوت بالطول تفاوتاً غريباً فالمنظر الثاني من الفصل الثالث من «قمبيز» يتجاوز الى ٢٩٠ بيتاً ، في حين ان المنظر الاول من الفصل الثاني من « عنترة » لا يعلو عدد ابياته عن ال ١٩ بيتاً والمنظر الاول من الفصل الثالث من « قمبيز» لا يتعدى الابيات التسعة. وهناك المنظر الثاني من الفصل الثاني والمنظر الاول من الفصل الثالث من « عنترة » يبلغ عدد مشاهد الواحد منهما ال ١٤ مشهداً بينا ان المنظر الثاني من الفصل الثالث من« عنترة » نفسها لا يعلو عن المشهدين، كما ان المنظر الاول من الفصل الثالث من «قمبيز» محصور في مشهد واحد . وكلها مبررات خارجية يلجأ اليها شوقي لعجزه عن حصر الحوادث في الفصول المعروفة العدد ، فيزيد فيها فعلاً ، ويخشى قسمة الرواية الى سبعة او عشرة فصول — على ما قد يكون بينها من التفاوت — فيتهرب من لفظة «الفصل» لاجئاً الى « المناظر » . وهو عجز فني فادح .

ولو ان شوقي عرّض نفسه للاتعاب التي يقاسيها المؤلفون المسرحيون في تنسيق رواياتهم وتنظيمها ، لكان سما ببعض مناظره الى درجة يبلغ معها شأو الفصل وهبط ببعضها الى مستوى المشهد .

امّا ما سوى هذه النقطة ، فيما يخصّ التنسيق الخارجي ، — فكلّ ما عند شوقي عند غيره من المؤلفين المسرحيين .

التنسيق الداخلي

وفيما يتعلق بالتنسيق الداخلي يجدر بنا ان ننظر الى الموضوع اولاً ، والى الحوادث ثانياً ، باحثين هل كان الموضوع واحداً ، تاماً ، طبيعياً ؟ وهل الحوادث جارية نحو النتيجة ، ملتحمة .

الموضوع

فوحدة الواقعة قليلاً ما كانت تستتبّ لشوقي في رواياته ، اذ اننا نرى في

«مصرع كليوباترا» مثلاً الى جنب الواقعة الكبرى، وهي مصير المتحابين انطونيو وكليوباترا، موضوعاً آخر يمشي والاول جنباً الى جنب. فنرى حابي يتعشّق هيلانة فتبادله هذه حبها، فينمو هـذا الحب ويزدهر ويفضي اخيراً الى زفاف هيلانة الى حابي كما رأينا. وقـد شهدنا ايضاً في رواية «علي بك الكبير» عملين يجريان جنباً الى جنب، وهما مصير علي بك الكبير ومناوئيه على ملكه اولاً، ومصير آمال ومراد بك حتى معرفتهما اصلهما الواحد، ثانياً. ولم تخلص «اميرة الاندلس» من تعداد المواضيع فهي ايضاً ذات واقعتين نرى في الاولى منهما مصير المعتمد بن عبّاد بملكه: النفي الى اغمات والسجن، ومصير بثينة وحسّون من فراق طويل فتلاق فاقتران.

اما فيما يخصّ اتمام الموضوع فلروايات شوقي اوّل وآخر. الا انه يصعب القول انه يحسن اتمام رواياته. وقد يلاحظ القارئ ان خاتمة معظم رواياته التمثيلية الموت يستثنى من هذا الحكم: «اميرة الاندلس» و«عنترة». ففي «مصرع كليوباترا» مثلاً نرى الدماء تسيل وجثث الآدميين تغطي ارض المسرح، فنعرف في الاموات انطونيو، وكليوباترا، واوروس، وشرميون، وهيلانة التي عادت الى الحياة بطريقة عجيبة. ولم تختم رواية «مجنون ليلى» بغير الموت، فتموت ليلى حرقة، والمجنون لوعة. ومثل هذا قل عن روايتي «علي بك الكبير»، و«قمبيز» اذ يموت في الاولى «علي بك»، ومصطفى اليسرجي، والد آمال، ومراد بك؛ وفي الثانية: فرعون امازيس، ونفريت ابنته، وثانيس القائد في الجيش المصري والملتحق بالجيش الفارسي، وقائـد جيوش الفرس الشيخ، وابيس العجل اله المصريين... واخيراً ينتحر قمبيز.

اما الروايات التي تمت على غير الموت، فقبيحة الخاتمة عقيمتها. وكنا نودّ لو انه ختمها كاخواتها، اذاً لنجا من بعض ما وقع فيه. ذلك ان رواية تنتهي باختطاف عبلة من ركب بني عامر واحلال ناجية محلها فيتزوجها صخر، على غير علم منه، ويتزوج عنترة عبلته، ليست اوفر فنّاً من رواية ينهيها مؤلفها بالموت، كـما ان عودة بثينة من حيث كانت وزواجهـا حسوناً ليست اقرب احتمالاً واغزر فناً وروعة

وما الذي دعا شوقي الى تحكيم الموت برقاب اشخاصه فيفنيهم ؟

ألانه كان يعتقد ان المأساة يجب ان تختم بفاجعة او فواجع ؟ لا . اذ انه اوجد « عنترة » وكانت خاتمتها الزواج ولعمري لم يكن الزواج يوماً فاجعة من الفواجع — او على الاقل لم يكنه مرّة في الرواية حيث كان يرمز دوماً الى السعادة والنصر — وقد ختم « اميرة الاندلس » ايضاً بالزواج . فما هو الداعي اذاً ؟ هذا ما لا يمكننا الجزم به ، وشوقي على ما ترى من الاضطراب والقلق فلا يثبت على حال او يقر له قرار .

على ان القارئ يلمس فيما تقدّم عجز شوقي الواضح عن اتمام الروايات . ولمّا كان لا بدّ للرواية من خاتمة جعل خاتمتها الموت وهو ، لعمري ، الخاتمة الطبيعية لكل ذي حياة على وجه هذه الارض . اما ان يكون خاتمة جميع ابطال الرواية التمثيلية ، فهذا غير طبيعي .

ويمكننا القول ان صفة مواضيع شوقي ليست الطبيعية ، اذ انه استعمل الخوارق في غير مكان من رواياته : في « مجنون ليلى » مثلاً يظهر المؤلف زمرة من الشياطين بينهم الاموي شيطان شعر قيس . وفي عنترة من المآتي الحربية ما يعجز عن اقله « الجن » . هنا عنترة ينازل المئات فيهزم المئات ، وهناك يقاتل ويناضل فلا يردعه عن قصده رادع ، مهما كان الامر صعب المنال . ثم ان في روايات شوقي مفاجآت كثيرة مستنكرة منها اقتران صخر بناجية معتقداً انها عبلة :

مَن هذه ؟ عبلة ؟ من بن تزوّجت اذن ؟
من التي تركت في الخباء ومن ترى تكون في النساء ؟

ومنها اخوّة آمال ومراد بك في « علي بك الكبير » التي يظهرها مصطفى اليسرجي بعد اثبات ابوّته لهما عند آخر ساعة من حياته . ودخول بثينة الى دار حسون بزيّ الرجال وفضح امرها اذ تقع قلنسوتها فتظهر ضفائر شعرها وتعرف وغير هذا كثير — وكثير جداً —

الحوادث

اما الحوادث وكيفية جريها نحو النتيجة والتحامها فهذا ما سنتناوله بالبحث

فيما يلي :

مما يجدر بالذكر ان روايات شوقي التمثيلية ، على الاجمال ، كثيرة الحوادث ولا اظنني مبالغاً ان قلت ان الرواية عند شوقي هي سلسلة حوادث متوالية متتابعة ، دون ما نظر الى الصلة الرابطة بينها والى الالتحام. ففي عنترة مثلاً من الحوادث ما يكفي خمس روايات ، وفي اميرة الاندلس ، وقمبيز ، ومجنون ليلى ، ما يكفي الثلاثين كما تنبئك اختصاراتنا الموجزة[1]

اما الالتحام فليس من صفات حوادث هذه الروايات . اعني ان الحادثة الاولى فيها لا تستدعي الثانية ، وهذه الثالثة فالرابعة ...

فما الذي حمل فانيس مثلاً على الالتحاق بالجيش الفارسي ، وما الذي دعاه الى الفرس ليشي بنتيتاس ؟ ؟ ! ! لا شيء. الّا اضطرار الروائي الى اتمام روايته .

فضلاً عن ان هذه الحوادث ليست جارية جميعها نحو النتيجة ، اذ ماذا يفيد النتيجة في « مصرع كليوباترا » مثلاً ان يتزوج حابي هيلانة ؟ وماذا تفيد النتيجة ليلة الطرب التي اقيمت على شرف انطونيو في القصر الملكي ، وقد استغرقت الفصل الثاني من الفه الى يائه ؟

وماذا يفيد النتيجة وقوف الشعراء والمغنين على قبر ليلى لرثائها ، وماذا يفيد ، ما ظهر به ورد بعد زواجه منها ... اعني كل ما قيل من الصفحة ١٠٣ فصاعداً ؟

وماذا يفيد النتيجة ، في « علي بك الكبير » ، ان يلتقي سعيد وحسيناً ، ويبارز احدهما علياً فيُغلب فتأتي الصفحات الممتدة من ٦٩ الى ٧٩ بدون ما فائدة ؟

ثم هناك اقسام بكاملها لا تفيد النتيجة شيئاً اذ ماذا يفيد رواية « مصرع كليوباترا » ان يتعشق حابي هيلانة ... فيتحابان ... ويتعاهدان على الزواج ويتزوجان اخيراً تحت عناية الملكة ؟

وماذا يفيد رواية « علي بك الكبير » وجود آمال التي تزوجها علي عرضاً ،

---

١) راجع المشرق ص، ٦٨-٧٤

وضفر عليها المؤلف حوادث غرامية ، اين منها الحوادث التاريخية اذا ما قيست هذه بتلك .

وماذا يفيد « اميرة الاندلس » ان نطّلع على تاريخ ابن عبّـاد كله وقت ولايته واسره ؟ او قل ماذا تفيدها حوادث بثينة وحسون ؟؟! ومن يدريك هل الرواية في هذه الحوادث او تلك اذ ان لهذه من الاهمية المطلقة المجرّدة ما لتلك ، فضلاً عن ان اهميتها النسبية تتعادل بالنظر الى سياق الموضوع ؟ وما الى ذلك مما لا مسبب له او مبرّر .

الاشخاص

بقي ان نتحدّث عن الاشخاص في روايات شوقي التمثيلية ، وعمّا اذا كانت اخلاقهم خطيرة ملائمة ، حقيقية ، ثابتة .

في هذا المقام ايضاً يقصّر شوقي عن القيام بواجب الفنان المبدع ... فهو ، وان لم يقصر في جميع المواقف – كما سترى – فقد قصر في معظمها . وهو ، وان احسن تصوير اخلاق كليوباترا وقمبيز ، فقد قصر في تصوير اخلاق عنترة ، وعبلة ، وابن عبّاد ، وحسون ، وعلي بك الكبير ، ومن اليهم .

هذا عنترة هل له في شوقي شخصية ملائمة ثابتة ؟ لا . فهو يدعو الى الوحدة العربية ويمثّل الروح القومية الحقّة ، ومع ذلك لا يلبث ان يفتك باخوانه بني لخم وانصارهم ، فيعمل فيهم القتل والضرب فيقضي على الكثير منهم ويبقي على اقلية تشتتت هباء ... فضلاً عن ان العربي ، كما قدمنا ، فردي فوضوي لا تحمله روحه على المناداة بالوحدة والرضوخ لسلطان او مليك فرد يأمر وينهي .

فأين الملائمة ! !

وهو يصوّر مالكاً – السيد العربي – خسيساً لئيماً .

وعبلة بطلة الوحدة العربية والداعية الكبرى اليها ... رحم الله الملائمة !

وعنترة عفيف سموح اذ يبقي على اعدائه المكسورين وامتهم ، وهو ، مستهتر اذ يختطف عبلة من ركب بني عامر ... فاين الثبات ؟

وقد صوّر المهدي، ابا ليلى، ابًا شريفًا، اذ يثور على قيس فيطلب الى السلطان هدر دمه. ثم عاد وصوّر المهدي خاملًا جبانًا لا يستنهضه داعي الشرف والاباء، اذ يحرّم على شعبه الهائج قتل من تجنّى على فتاته ... فاين الثبات ! ! ؟

واعطانا صورة لعلي بك الكبير اظهره فيها سديد الرأي صائبه ؛ واين سداد الرأي في ان يرفض معونة الاسطول الروسي الذي قدّم خدماته معونة له على مناوئيه ومغتصبي عرشه... فاين الثبات !

هذا واننا لا نرى تفاوتًا بيّنًا بين الاشخاص في حين ان التفاوت ضروري لان جمهور الحاضرين يعجبهم ان يروا شخصًا متفوّقًا وآخر مقهورًا . كما اننا لا نرى في معظم روايات شوقي شخصًا بارزًا عن اقرانه يجذب الجمهور فيشعر بشعوره مهتمًا لهمه فرحًا لفرحه ... فشوقي لا يكتفي ، في الرواية الواحدة ببطل واحد ، انما يشحنها بالابطال :

هذه « علي بك الكبير » . فعلي بطل ، ومحمود بطل ، ومراد بك بطل ، وآمال بطلة ، ومن دونهم ابطال ولا تفاوت يذكر بين مقامات هؤلاء الاشخاص. وهكذا قل عن اشخاص « اميرة الاندلس » حيث تضيع بين بطولة بثينة ، وابي الحسن ، وابن حيون ، وحسون ، والملك ابن عباد .

كل هذا ناتج عن اكثار الواقعات في الرواية الواحدة كثرة قاده اليها مذهبه في التاريخ

وقد لا تفرق اشخاص روايات شوقي عن الآلات المتحركة اذ انها كالآلات في سكناتها وحركاتها ... فهي جارية ابدًا الى الامام ... الى النتيجة . فلا عقبة تصد ولا عثرة ترد . لا احتكاك بين الارادات المتعاكسة والعواطف المتنافرة ، ولا تردد نفساني داخلي في الارادة الواحدة

فاي مرة شهدنا ليلى يؤلمها زواجها من ورد ألمًا جديًا ، فتقف امامه مقابلة بين ما عليها وما لها ، ومائلة في النهاية الى حيث شقاؤها ولوعتها ، الى حيث مالت اخيرًا دون ما عراك داخلي ودون تمحيص او تدقيق.

اجل ! اننا نعلم انها تحبّ قيساً ، ونعلم انها لن تتزوّجه ونرى كل ذلك واضحاً جليًا في شوقي، ولكننا لم نرَ جليًا هذا الحب — الذي فرض شوقي انه مبرهن عنه في ادمغة الحاضرين — فاهمل امر تبيانه ، ولم نرَ كراهتها لورد الذي استبدلته بقيس ، ولم نرَ الّا انتصارًا — دون ما عراك — على رغباتها وميولها اذ قبلت بورد زوجاً لها .

رأينا ما فيه الكفاية لابلاغ الرواية نهايتها . اما ان نكون شهدنا ما فيه البرهان على مقدرة المؤلف وحسن ذوقه الفني ونقل الطبيعة البشرية الحيّة فهذا ما لا يمكننا الاقرار به .

وهكذا فان على اشخاص شوقي الّا يتأخروا دقيقة عن السير ... الى الامام لئلا يخطئوا النتيجة فيخفق الروائي ، وتهوي الرواية .

كل هذا على درجة من النقص ليست بحاجة الى برهان .

مذهب شوقي في التمثيل

هذه كلمة ارسلناها في الفن عند شوقي ، فتناولنا فيها البحث عن الموضوع والحوادث والاشخاص . واننا نردفها الآن بكلمة عن مذهب شوقي في التمثيل .

وقبل كل شيء ، ما هي الرواية التمثيلية في نظر شوقي ؟

هي كلّ شيء ، الا الرواية التمثيلية . اذ ليست رواياته سوى مغالطات مسرحية شحنها بقصائد رنانة رائعة وابيات محكمة صائبة .

هذه رواياته فمنها ما يظهر عليها النفس الغنائي « كمجنون ليلى » فلا نرى الا المجنون يتغنى بليلاه ويحدّث عنها اينما حلّ . يتذكر حيناً ايام صباه الأوّل اذ كان يلعب وليلى على سفح جبل التوباد فينشد قصيدته الرائعة :

جبل التوباد ، حيّاك الحيا وسقى الله صبانا ورعى (١

وحيناً يلتقي ليلى فيناجيها بقصيدة تفوق تلك ، يقول في مطلعها :

تمالَي نمش ، يا ليلَ ، في ظلّ قفرة من البيد لم تنقل بها قدمان (٢

١) مجنون ليلى ص ١٢٢ ٢) مجنون ليلى ص ١١٢

واحياناً تستولي صورة ليلى على مشاعره فتفقده رشده ، فيغمى عليه ، ثم يصحو منشداً :

ليلى ! مناد دعا ليلى ، فخفّ له نشوان من جنبات الصدر عربيد

وهي القصيدة الذائعة الصيت التي تغنى بها محمد عبد الوهاب في اسطوانته « تلفّتت »

وما ان ننتهي من غزليات قيس الّا تأتي مرثيتا الغريض ، المغني ، وابن سعيد ، ومرثية المجنون نفسه في ليلى مما يجعل الرواية غنائية من اولها الى آخرها .

ويظهر بعضها الآخر وعليها النفس الملحمي « كمنترة » و« علي بك الكبير » و« مصرع كليوباترا » . فما اشبه عنترة فاتكاً باعدائه منشداً اناشيد النصر بالخيل ، على فروق هامّة — طبعاً — بالنفس الشعري والسمو .

وكأن روايات شوقي التمثيلية قصص مسخت روايات تمثيلية اذ اسقطت منها كلمات قال وقالوا وقلت واستبدلت بها اسماء الاشخاص .

ذلك انه كالرواني القصصي لم يراع في رواياته التمثيلية الّا الجانب الاخباري القصصي مهملاً كلّ ما يفرق هذه عن تلك .

وعلى كلّ فان شوقي على المسرح من المناظر التي ، ان لم تثر اعجابنا ، فهي تثير عجبنا واستغرابنا ، وان العجب كالاعجاب يستفزّنا الى درس هذه الظاهرة من مظاهره العديدة . ولعمري ان شوقي على المسرح بحث احبّ الى النقدة . . . والقراء ، من شوقي بين ايادي الامراء والملوك ، او شوقي على مقابر العظماء . . . او شوقي في محادثة الغواني . . . وما الى ذلك مما يمكن درسه في هذا الشاعر الكبير .

اما طريقة شوقي في التمثيل فمضطربة اتفق عليها وجمهرة روائيي الانحطاط كفولتير مثلاً . فهو يستعيض عن الجوهر ، اي درس النفس البشرية ، بجزعبلات يتأثر منها الجمهور الا انها ليست من صفات التمثيل العالي .

طرق شوقي الفن التمثيلي ، وكأنه قد ادرك عجزه من قبيل درس النفس البشرية وتحليلها وفقه كنهها ، وفهم ما في سبيل ذلك من العقبات ، فاكتفى

بان جعل من الرواية سلسلة مناظر ومشاهد يصيب بها مخيلة الجمهور ويثير بها مشاعرهم ، وشحنها بالدعايات جاعلاً من الاشخاص ابواقاً ينفخ فيها كل ما يريد. وليس اهون على الناقد من اثبات هذه المقدّمات.

المفاجآت

واية مشاهد ادعى الى الاثارة والتهيج من مشاهد «عنترة» و«قمبيز» و«علي بك الكبير» وما اليها.

فماذا في عنترة سوى غارة وردّ غارات تتمّ الغلبة فيها جميعها لعنترة.

فنحن في طول الرواية وعرضها بين رؤية لصوص يغشون حيّ عبلة فتقاتلهم وتردي منهم اثنين ، وتثابر على الجهاد الى ان يتكاثر عليها اللصوص فيغلبونها على امرها ويحملونها هاربين[1] ، ورؤية عنترة يفتك باللصوص ويستعيد منهم السبيّات . . . وعبلة[2] ، وينازل منهم اسيد فيرديه . ثم تتوالى الحوادث على هذا الترتيب : حيث نرى عنترة يفتك بقوم كانوا يقودون الهدايا لكسرى ، وينتهر العبدين : ماردًا وغضبان ، فيموت مارد خوفاً ، ويفرّ الآخر مهرولاً ، ثم نراه ينازل جماعة يترأسهم رستم ، موفدين للفتك بعنترة ، فيقطع هذا رأس رستم ، ويفتك بمن معه ويفر الباقون . . . وهكذا الى النهاية فانه لا يفرغ من قتال الّا ويعلق بآخر وفي جميعها . . . الغلبة لعنترة.

ولم يكتفِ شوقي بخلق هذه المشاهد التي تفوز باستحسان السذج من الحاضرين ، وانما ادخل على رواياته عددًا ليس بالقليل من المفاجآت ، وفيها الدلالة الكافية على ضعف عارضة المؤلف المسرحي .

فانظر صخرًا يتزوّج ناجية اعتقادًا منه انها عبلة التي يعشق ويحب . . . وعنترة داخلاً الى حيث اجتمع القوم احتفاء بالعروس ، وفي صحبته امرأة مقنّعة متسترة فيتهامس القوم فيما اذاكان عنترة هو هذا الداخل ام احد سواه ، وبعضهم يعتقد ان عنترة قتل ، . . . فيأخذ مكانه بين القوم ثم يزيح الستار عن وجه

١) عنترة – الفصل الاول – المشهد ٧
٢) عنترة – الفصل الاول – المشهد ١٢

امرأته المقنعة فيشرق عليهم وجه عبلة كالشمس المنيرة عند انذهال الجمهور اجمعين. . . وحيرة صخر الذي كان يعتقد ان عبلة في خدره . . .

ولم تفت شوقي المفاجآت في « اميرة الاندلس » حيث اورد منها وافرط .

هذه هي بثينة تيمم دار حسون متسترة متخفية في ثياب رجل ، فينفضح امرها اذ تقع قلنسوتها وتظهر ضفائر شعرها.

وهؤلاء هم حسون وابو الحسن وابن حيون وبثينة يغادرون دار ابي الحسن في زيّ العساكر الشراكسة ، وهذا ابن حيون نعرف فيه تواليا صياد السمك ، فالاديب والشاعر المجيد . . . فاليهودي المفرط غناء .

وقد رأينا مثل هذه المفاجآت في « علي بك الكبير » بالدور الذي تام بتمثيله مصطفى اليسرجي والد مراد بك وآمال المتكتم المتخفي ، وقد افشى سرّ ابوته ابان الموت ، بعد ان جرى بين ولديه آمال ومراد بك من الحوادث الغرامية ما جرى.

اما رواية « قمبيز » فدعامتها ، بل حجر الزاوية فيها ، تدبير مفاجأة قويّة ، ذلك ان نتيتاس ابنة فرعون ابرياس القتول تتقدّم للاقتران من « قمبيز » موهمة انها نفريت ابنة فرعون امازيس التي رفضت الزواج من ملك الفرس الهمجي . . وما ان يكشف امر هذه الخديعة الا تثور ثائرة قمبيز فيحمل على مصر حملة شعواء معملاً فيها السيف والنار فيدميها وتتم الرواية .

الدعاية

ثمّ لا يخفى ما في روايات شوقي من الدعاية .

شوقي ابن الفن . . . لم يتجرّد لخدمته في الروايات التمثيلية وانما قرن به فيها الدعاية فزاحمته على ملكه .

فانك تجد في « عنترة » و« علي بك الكبير » دعاية للوحدة العربيّة .

وفي « علي بك الكبير » ، و« قمبيز » ، و« مصرع كليوباترا » دعاية لمصر ولتاج مصر .

وانّا لمكتفون باظهار الدعاية العربية فيتم لنا فيها البرهان على ما قدّمناه .

يبدأ شوقي دعايته العربية باثبات اصلنا العربي الواحد وذلك في جواب ضاهر العمر على قول محمد بك هذا :

من فلسطين انت ، ضاهر ، ام من ارز لبنـان ، ام لـك الشام اصل ؟

حيث جاء :

كل هذا هناك ، مولاي ، اصل واحـدٌ يجمع الرجـال ، وفصل
عرب كلّنا ، ومنطقنا الفصحى ، وآبـاؤنا نزارٌ واهـل (١

واليك ما جاهرت به عبلة اذ قالت موجهة الكلام لبني لخم :

مـا نحن الا ابناء جنس نحن بنو الشمس والصحارى
لا تخذلوا رشـأ ، دعوه خلّوه للفرس يثـأروه
ولا يقاتل اخـًا اخوه منكم ، ولا تخذلوا الديارا (٢

هذه تصريحات لم يكتف بها شوقي . وانما عمل عمل الدعاة المحنكين فعرض الطرق التي تؤدي الى هذه الوحدة فنادى « بالتحرّر » جاعلاً منه الطريق الاول للوحدة العربية . من ذلك قول عبلة :

الى كم تحيون تحت النجوم وتفترقون افتراق السبـل ؟
فنصفٌ قطاع رعتهـا الذئاب ، ونصف على البيد فوضى همل ،
وليس لكم دولة في الوجود ، وتحسبكم كالذيول الدول
الم على حوضكم قيصر ، وكسرى على جانبيـه نزل
ويحكم ، تحت نير الغريب ومهـازه ، الادعياء الدخل
هم الامراء ، وقـد يرتدون بباب الاعـاجم ذل الذُلل

سـائل: وما الذي ترمي اليه ؟
عبلة: ارمي « لتحرير » العرب
سـائل: تحريرهم ممّ ؟
عبلة: من القيد
سـائل: وكيف قيّدوا
عبلة: الفرس والروم استرقوا قومنا واستعبـدوا (٣

واليك دعوة اخرى من عبلة للغاية نفسها :

١) علي بك الكبير ص١٠٦ ٢) عنترة ص ١١٨
٣) عنترة ص ٧٩ ، ٨٠

حشرتمو تحت كل رايهْ واسرجوكم لكل غايهْ
وسنتمو الملك والولايه لكل كسرى وكل دارا
قبيلة تحت حكم كسرى، وقيصر الروم دان اخرى
اصبحتمو للغريب جسرا يركبه كلما اغارا

ثم تصيح :

يا لخم يا بني العرب يا لخم حرمة النسب (١

وكأن شوقي قد ادرك انه، لكي يمكن التحرير فالوحدة العربية المطلقة، يجب ان تسود المحبة والاشفاق العرب كلهم. وهذا ما صرح به عندما استوقفت عبلة عنترة عن الفتك ببني لخم قائلة :

رحماك ، عنتر ، لا تشم سيفاً ولا تطعن برمح ، واتئد وتمهّل (٢

وهي القائلة في مثل هذا :

عنترة البأس، خلّ سيفك ، وعُدْ لخماً في الحي ضيفك
ما انت من ظلم القريب وهذه لخم قرابتنا الاداني ، فاعدل
بالامس تبني ركن قومك باذخاً، واليوم تفعل فيه فعل المعول ؟ (٣

وقول عبلة هذا الاخير يطلع القارئ على ان عنترة كان ، هو ايضاً ، من انصار هذه الفكرة .

هذا وقد جرى البحث عن اصل هذه الدعاية من التاريخ .

اما ما دعا شوقي الى القيام بها فهذا ما نحن مظهرون :

عديدة هي العوامل التي دعت شوقي الى اظهار عنترة وعبلة بهذا المظهر . اولها واهمها عجزه المسرحي ، ثم زمن التأليف ، وتكفيره عن شعوبية له سالفة، واقتداؤه بشكري غانم .

اما عجزه فهو بادٍ تجاه درس النفس البشرية والولوج في عمق اسرارها ، لفهم عودها وكشف ماهيتها كما اشرنا اليه سالفاً .

ولزمن التأليف عمل في الدعاية ؛ اذ لا يخفى ان عنترة شوقي من منتجات

١) عنترة ص ١١٨، ١١٩
٢) عنترة ص ١٢٢
٣) عنترة ص ١٢٥

سنة ١٩٣٢ وهي الحقبة من الزمن التي تجددت فيها ، على اثر الحرب العالمية الكبرى ، روح القومية عند جميع الشعوب الخانعة الضعيفة ، فتسربت عن طريق العدوى الى الشعب العربي بواسطة رجاله الذين خالطوا الشعوب الاوربية. والعام ١٩٣٢ هو الذي شهد الدعاية العربية في ازدهارها ، اذ أوجدت المجلات والجرائد والمدارس والجمعيات في سبيل هذه الغاية. ولما كان الشاعر او الكاتب ابن بيئته تحتّم على شوقي التأثر بالبيئة ومجاراتها على هواها . فكانت الدعاية العربية بابهى مظاهرها في « عنترة » كما رأيت.

وليس من المستبعد ان يكون شوقي قد فطن — وقد طوى سبعين من سنيه — الى ما فرط منه في السنين الخوالي من شعوبية ، فجدّ يكفّر عنها . وكان مجال هذا التكفير « عنترة » .

وهناك عامل اخير اظنّه هامًا وهو تقليد غانم . فقد اظهرنا فيما سلف من مقابلة عنترتي شوقي وغانم ما كان من التأثير لهذا في ذاك . وليس من المستبعد ان تكون هذه الدعاية اثرًا من تلك التأثيرات.

شوقي وبعض المبادئ المسرحية

يبقى ان نبدي رأينا في موقف شوقي تجاه الوحدات الثلاث : وحدة الواقعة ، ووحدة المكان ، ووحدة الزمان ، وخلط المأساة بالمهزلة ، وتفضيل الموتمن على المناجاة ؛ واخيرًا تجاه الزينة المسرحية.

امّا الوحدات فلم يراعِ لها شوقي جانبًا . ومن حقّه الا يعبأ بالوحدتين : وحدة المكان ووحدة الزمان ، وقد ذهب في الرواية التشيلية المذهب الذي اشرنا اليه . امّا ان يهشّم وحدة الواقعة تهشيمه لتينك الوحدتين ، فهذا ما لا نغتفره له ونحن نعلم انها دعامة الرواية الكبرى وشرط اولي من شروط الفن فيها ، ولولاها لما توصل مؤلف روائي الى تأليف رواية ذات شأن.

ولا حاجة للبرهان عمّا كان من خروج شوقي عن وحدة المكان والزمان ، فان كل مطالع يتحقق ذلك فور تصفّحه اي رواية من رواياته.

الا اننا لا نعتب على شوقي في هذا الخروج ولسنا ممن يخطّئونه في فعلته هذه . اذ ان من نظر الى الرواية التمثيلية بعين شوقي ، فصنع لها ما للقصة من قواعد وشروط ، وشحنها بالحوادث الكثيرة والاشخاص الكثيرين ، وتعمّد تصوير حقبة من الزمن كاملة (راجع علي بك الكبير ، ومصرع كليوباترا ، واميرة الاندلس) ، واستعاض عن اخبار المؤرخين والروائيين بمشاهد ، وادخل المهزلة على المأساة ، لملم ان الغرابة الظاهرة في ان يرضخ لهذه القواعد المقيّدة لا في ان يتحرّر منها .

المهزلة والمأساة

امّا فيما خصّ مزج المضحك بالمبكي وادخال المهزلة على المأساة ، فهذا ما لم ينجُ منه شوقي وقد يكون خلطهما نتيجة لازمة لمنهجه في الرواية التمثيلية اذ ان كل حقبة من الزمن ، تتهادى بين الاشهر والسنين ، من حيـاة رجل ما ، فيها ايامها الباسمة وايامها القاتمة العابسة ، وكل رواية تشتمل على عدد كبير من الاشخاص ، كروايات شوقي ، يجب ان يكون فيها الضاحك والباكي . ولو انه فعل العكس لكان وقع في خطأ عظيم ، وخرج عن الطبيعة التي فيهـا مسرّة جمهرة الحاضرين .

وليست ليلة الخمر والجمر التي احيتها كليوباترا في قصرها ، بـين يومي المعركة التي شبّت على اسوار الاسكندرية ، لتُنتقد من هذا القبيل . انما زيادة من زوائد الرواية وانما خروج عن الموضوع ، وقل مهما شئت فيما خصّ ذلك امّا ان ينتج فسادها عمّا فيها من مضحك مازج مـا في الرواية من مبكٍ فهذا ما لا نسلّم به .

ومن كل ما تقـدّم نستنتج ان روايات شوقي التمثيلية هي من نوع ما يسميه الافرنج بالدرام (drame) . والدرام فرع مستقل من فروع التمثيل العديدة فليس هو بالمهزلة وليس بالمأساة ، وانما هو مزيج من هذه وتلك .

المؤتمن والمناجاة

وفيما خصّ المؤتمن والمناجاة يجب القول ان شوقي فضّل المؤتمن على المناجاة ،

فاكثر من استعمال الاول واقل ، حتى الاجحاف ، من استعمال الثاني . ولولا عراك شب بين المدرسين والمجددين فيما خص هذه المسألة لما كنا تعرضنا لها نظرًا لتفاهتها اذ انه ليس في حكم المؤلف ان يستبدل المرتمن بالمناجاة او العكس لمجرد التمذهب . وانما هي مسألة يجب ان يراعى فيها المقام ، فيجود عليه المؤلف تارة بالمناجاة قابضاً عنه المرتمن ، وتارة بالمرتمن محتفظاً بالمناجاة وكل ذلك حسب مقتضى الحال .

لقد عاب المجددون على المدرسين « مرتمنهم » قائلين بجموده التام المنافي سنن الحياة ، واذ ظنوا الحياة في مناجاتهم — على رغم التكلف البادي فيها — طرحوا بالمرتمن جانباً مستعيضين عنه بالمناجاة حتى تورطوا في مبالغات غير طبيعية .

والحق يقال ان شوقي لم يقع فيما انتقد على المدرسين في استخدامه « المرتمن » . ذلك انه عرف ان يحسّن ادواره وان يخصّه ببعض الاهمية فينشله مما كان فيه .

فما قولك باوروس ذاك الذي علّم سيده انطونيو كيف تموت الاحرار ، وما قولك بيلانة وشرميون وصيفتي كليوباترا ، وزياد ظل المجنون ؟ اوَ ليسوا على قسط وافر من الحياة ؟ ؟ بلى . الّا ان شوقي لم ينصف جميع مرتمنيه ، فاجحف بحق تني ، وصيفة الملكة نيتتاس ، وعفراء ، جارية ليلى ، وغيرهما اذ جعلهما باهتي الالوان والشخصية .

(للبحث صلة)

اثر المتنبي

احتفلت الجامعة الاميركية في بيروت ، مساء الاحد الواقع في ٢ حزيران ١٩٣٥ ، بمرور الف سنة على وفاة ابي الطيب المتنبي. فتكلم في حياة الشاعر ومختلف آثاره رهط من ادباء العالم العربي وشعرائه ، ممثلين مصر ، والعراق ، وفلسطين ، وسورية ، ولبنان . وها اننا ننشر في ما يلي الخطاب الذي القاه فؤاد افرام البستاني ، استاذ الآداب العربية في جامعة القديس يوسف ، وموضوعه: « اثر المتنبي »

ايها السيدات والسادة

كان الناس يقولون ، قبل الف سنة ، اذا ما عرضوا لذكر شاعرنا : « المتنبي ؟ ... هو شاعر سيف الدولة ! » اما نحن فنقول اليوم : « سيف الدولة ؟ ... هو ممدوح المتنبي ! »

عبثاً ينقب الاثريون ، في ارض حلب ، عن قصر اميرها العظيم ، وعبثاً يفتشون عن مصانعه العديدة في الثغور . فقد انهارت تلك الابنية الفخمة ، في حين ان بناء المتنبي لا يزال ماثلاً في ديوانه العالي ، يرتاده ادباء العالم العربي منذ الف سنة حتى اليوم ، ويردد اباته كل من عرف شيئاً عن هذه اللغة في ايّ عالم كان.

بيد ان ابا الطيب لم ينتظر مرور القرون ليتمتع بهذه الشهرة الواسعة ، ويحدث هذا الاثر البعيد.. فقد كان له ، حتى في حياته ، حظ نادر في سعة الشهرة. وبعد الاثر. وكأنه صور حاضره ، وتنبأ عن مستقبله ، عندما قال:

وما الدهر الا من رواة قصائدي اذا قلت شعرًا ، اصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير ، مشمّرًا ؛ وغنى به من لا يغني ، مغرّدا

لم يكن ينشد القصيدة الا سارت في البلاد تحدو بها الركبان من منزل الى منزل ، وينقلها الادباء من مجتمع الى مجتمع . يستعيد مقاطعها الممدوح ورجاله

طربين ، ويزري عليها الحساد غاضبين . يسمع بها الشعراء ، وهم كثر ، فيتراؤنها في خلواتهم ، فيعجب المخلصون منهم بقوتها وسموّها ، ويجتهد غيرهم في طمس محاسنها ؛ على انهم جميعاً يتأثرون بها في مدائحهم المختلفة . يتفقد ابياتها ارباب اللغة ، وسادة النحو ، وشيوخ الصناعة النظمية ، فيغتبط الاصدقاء منهم بما فيها من تركيب جديد ، وصورة طريفة ، وجرأة نادرة ؛ ويحتج الاعداء على ما يرون من غموض نافر ، وشرود شاذ . يتعصب له البيغاء في بلاط سيف الدولة فينشر مآثره ، ويتعصب عليه ابو فراس فيفتش عن سرقاته وكلهم يعملون ، عن قصد وعن غير قصد ، على نشر شعره والاشادة بذكره . والمتنبي الشاعر لا يبذو حافلاً بهذه المظاهر ، يتابع طريقه فاخرًا شامخاً « يترك السرى خلفه » للمتنافسين الساعين وراء القصائد المحكمة ، « وينام ملء جفونه عن شواردها » ، مطمئناً طمأنينة الفنان القدير الذي لا يخشى مزاحمة ولا يخاف غلبة . وتتجاوز المناظرات بلاد حلب الى العراق وفارس ، فيحاول ابن العميد ، زعيم ادباء الشرق في عصره ، اخماد ذكر المتنبي ، فلا يقوى الا على ايلام نفسه ، عندما يتحقق ان احدى قصائد الرجل ، وهي مرثيته في اخت سيف الدولة ، قد جابت البلاد العربية والعجمية ، على قلة وسائل النشر وصعوبة المواصلات اذ ذاك ، في اقل من سنة ونصف سنة

ويقضي المتنبي قتيلاً . وتكر الاعوام تلو الاعوام ، والعالم الادبي على انقسام في شأنه ؛ وما انقسم العالم الادبي في شأن شاعر الا كان عظيماً . هناك الناقمون وفي طليعتهم الصاحب بن عباد ، ثم ابو سعيد العبيدي ، يفتشون عن « سرقات المتنبي لفظاً ومعنى » . وهناك المريدون والمعجبون ، وعلى رأسهم ابو العلاء المعري ، يسمون بالشاعر الى الاوج ، فيدعون ديوانه « معجز احمد » . وكان من الطبيعي ، وقد خفت وطأة المآرب الشخصية والتحامل العاطفي ، ان يقوم من الادباء حزب ثالث ينتدب نفسه للحكم الفصل بين الفريقين ، فيتخذ التحفظ رائداً والتوسط موقفاً ، معتبرًا ان خير الامور الوسط . هو فريق المصلحين . كان منهم القاضي الجرجاني ، وابو منصور الثعالبي ، وابو علي الحاتمي . كتب الاول « الوساطة بين المتنبي وخصومه » ، وافرد الثاني في « يتيمته » فصلاً ضافياً لذكر ما

للمتنبي وما عليه ، وألف الثالث رسالة « فيما وافق المتنبي في شعره كلام ارسطو في الحكمة » ـ حتى اتى ابن الاثير فذكر كثيراً من محاسنه ومساوئه في « المثل السائر ».

ولكن جهود هؤلاء المصلحين لم تحسم الخلاف، فظل شاعرنا على روعته يثير الاعجاب والازدراء . يرى فيه اكثر النقاد الشاعر الشاعر ، فاذا ارادوا ان ينعتوا عبقرية ابن هاني ، اشعر شعراء الاندلس وافريقية في عصره ، لقبوه « بمتنبي الغرب » ، ويحتقره بعضهم فلا يراه ابو هلال العسكري بشيء ، ويخرجه ابن خلدون وشيوخه من هيكل الشعر . ولله ابن خلدون ما انفذ بصره في علم العمران واصوله ، وما اقصره في الحكم على الشعر والشعراء !

ويفوز الحزب الاول فتتراجع حملات الانتقاص شيئاً فشيئاً عن ذاك الصرح العالي ، فيبدو ديوان المتنبي المثال الاعلى للشعر العربي ، ويصبح اسم المتنبي مرادفاً للشاعر العظيم . وهكذا يقطع عصر الانحطاط الى القرن التاسع عشر ، فيتأثر بعظمته الشيخ ناصيف اليازجي ويهتف : « كان المتنبي يمشي في الجو ، وسائر الشعراء يمشون على الارض ! » وتتعدد الشروح والتعاليق على شعره يتنافس فيها ادباء العرب والمستشرقون من ابن جنيّ الى الافليلي الى المعري الى التبريزي الى الواحدي الى العكبري الى اليازجي في الشرق ، ومن رايسكه الى دي ساسي الى هامر الى نيكلسون الى بروكلمن الى بلاشير الى فرنشيسكو گبريالي في الغرب .

***

هذه لمحة سريعة تفيدنا ، وان سطحية ، ما اكتنف اسم المتنبي من شهرة واسعة وما كان لشعره من اثر بعيد ، وما احدثت شخصيته من ضجة « ملأت الدنيا وشغلت الناس » ، على حدّ قول ابن رشيق .

فاذا اجتهدنا الان في تحديد العوامل التي ساهمت في احداث هذا الاثر ، ثم انتهينا الى الحكم في هل افاد الشعر العربي ام لا ، نكون قد عملنا على جمع اطراف الموضوع .

اما العوامل الخارجية فاقواها ما كان من منافسة امراء العصر ، كل امير

بشاعره ، ومـا كان من حسد الشعراء بعضهم لبعض. وقد اشرنا الى شيء من هذا بما لا يتسع معه المجال للتفصيل.

على ان هناك عوامل اعمق واثبت تنحصر في صفات هذا الشعر الذي جابه العقبات مـدة الف سنة ، ولا يزال ، في قسم كبير منه ، على جدّته الاولية يضاف اليها روعة القدم وجلال التاريخ.

يستند الاثر الادبي في نشأته الى عناصر متعددة منها مـا يتعلق بالعصر الذي وُلد فيه ، وبالبيئة التي غذته ، فيتأثر بالمؤثرات الظرفية ، ويخضع للاوضاع والتقاليد المحلية ، ومنها ما يسمو فوق المكان ، فيتصل بطبيعة النفس البشرية وهي واحدة في جوهرها ، على اختلاف ما يكتنفها من الاعراض. فاذا آذن الدهر بالانتقال ، وتحورت عادات الشعب وتقاليده ، اضحى الاثر الادبي ، في عناصره الظرفية المحلية ، عرضة للاضمحلال ؛ فلا يبقى الا ما سما من عناصره فوق الاحوال المتقلبـة . وكلما قوي اتصال الاثر بالعناصر السامية كان صالحاً للحياة والخلود.

اما شعر المتنبي فان فيه ، والحق يقال ، قسماً كبيراً يستند الى العوامل الظرفية والتقاليد الجارية في زمانه لفظاً ومعنًى . وان يكن هذا القسم لا يزال باقياً ، فانما هو بقاء المومياء المحنطة لا بقاء الكائن الحي ، يُحفظ في المكاتب كما تُحفظ في المتاحف . وقـد يعجب به مؤرخو الادب وبعض من شبوا على النظر بعيون القرون الخالية فلم يروا الا روعة القدم ؛ ولكنه لا يصلح غذاء للثقافة الانسانية الكاملة . ومـا اعجاب ادباء القرن التاسع عشر بهذا النوع التقليدي الا الدليل الواضح على ان الذوق الادبي في عالمنا ظلّ جامداً مـدة القرون العديدة ، فلم يتطوّر الا في المدة الاخيرة . ولعل من خير الامثلة مـا ذكره الشيخ ابراهيم اليازجي في بدائع المتنبي من ابيات :

كأنّ العيسَ كانت فوق جفني مناخات ؛ فلما ثُرن ، سالا

هذه الصورة الابلية الضخمة ، البيّنة فساد الذوق في عصرنا ، كان يعجب بها الثعالبي قبل عشرة قرون ، ويُعجب بها اليازجي قبل خمسين سنة...

او أدلّ من هـذا المثل على ان الذوق الشعري قطع في الخمسين السنة

الاخيرة ، بل في العشر السنوات ، مسافة لم يقطعها في الالف السنة السابقة !

***

بيد ان هذه المعاني التقليدية والصور القديمة ليست باكثر ما في شعر المتنبي. فهناك طائفة صالحة تستند الى العناصر الانسانية الشاملة ، المرتفعة فوق الزمان والمكان. هنـاك الحان فخمة وقّعها ابو الطيب على اوتار العواطف الابدية من شكوى ، وألم ، وتظلّم ، وازدراء ، وترفّع عن التعزية حتى الانفة والكبرياء.. هي نغمات تلاقي صدًى بعيدًا في كل قلب بشري . لان في كل منا ميلًا الى التظلم من النـاس حتى الاصدقاء ، والى التشكي من الدهر ، والتظاهر بشيء من التشاؤم المترفّع حتى الازدراء بالحياة ومظاهرها الخلابة . وذلك ان هذه الحالات تدغدغ حب الذات وتعمل على رفع الانسان ، وان بالوهم ، فوق اقرانه . وهو مظهر متأصل في النفس البشرية أنى كانت نشأتها .

مَن منا تعاكسه الايام في بعض ما يريد ولا يصرخ بشيء من الاسف :

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن !

مَن منا ، اذا تراكمت عليه الرزايا وكاد ينقطع وتر الاحساس من فؤاده ، لا يستسلم قائلًا :

فصرت اذا أصابتني سهامٌ ! تكسّرت النصال على النصال

حتى اذا سمع شاعرنا يقول :

عش عزيزًا ، او مت وانت كريم

عـاود الكرة يعارك الدهر ، وفي معاركة الدهر نشوة تلذّهـا النفوس الكبيرة ، وان آبت بالفشل .

مَن منـا اذا اسودّت الدنيا في عينيه ، وسرعان ما تسود ، فرأى نفسه عرضة للتحامل والاجحاف يعرض عنه الاصدقاء ، ويجفوه الاحبّاء ، لا يردد متألمًا :

أذمّ الى هذا الزمان أهيله فأعلمهم فدم واحزمهم وغدُ

حتى اذا بلغت بـه المصائب مبلغ القنوط ازدرى البشر اجمعين ، واعرض عن كل تعزية دنيوية ، فصاح :

ولا تشكُ الى خلق فتشمته : شكوى الجريح الى الغربان والرخم

واذا امتزج القنوط في نفسه بالحقد ، رفع صوته وارسل تلك الاحكام الدامغة :

لا تشترِ العبد الاّ والعصا معه !
يا أُمّةً ضحكت من جهلها الامم !

وهناك ، فوق هذه العواطف ، حالات نفسية سامية يدركها الانسان ، اذا انتابته الخطوب المتعددة ، فصقلت التجارب نفسه ، وخففت من ثورات قلبه ، فاصبح يرى الحياة من قمة عالية فيستغرب اصطخاب الخلق على سطحها الاسفل وتزاحمهم في سبيل الغايات الشخصية التافهة ، فيردّد :

ومراد النفوس احقر من تتعادى فيه وان تتفانى

ويخاطب الدنيا مخاطبة القرن لقرنه :

كذا انا ، يا دنيا ، اذا شئتِ فاذهبي

او يقف شاهدًا مترفعاً يتفلسف ببرودة تجاه حماقات الزمان ، وموالاته بين السعادة والشقاء :

مصائب قوم عند قوم فوائد !

حتى اذا اراد ان يحنو على البشر فيقف منهم موقف الناصح الشفيق ، كان له من ابيات المتنبي ايضاً صدى لمقاصده ، وتحقيقاً لغاياته .

وان من يتعمق في درس الحالات النفسية ، ويتغلغل الى خفايا الاخلاق ، ويسير هادياً في متاهات العواطف ، حتى يرى كلّ انسان في اقواله صورة امياله الداخلية ، ويسمع صدى همساته الخفية ، أجديرٌ بان يكون في طليعة المترجمين عن هذا القلب الذي كان ولا يزال محور الادب الخالد ، يكتشف النوابغ كل يوم في حناياه شيئاً جديدًا ، وتظلّ اشياء كثيرة قيد الاكتشاف .

هذا هو المتنبي ، الشاعر الانساني ، في القسم المخلص من شعره .

خصّه الباري بعبقرية نافذة ، صقلتها ثقافة واسعة ، وغذتها اختبارات جمة في عصر توافرت فيه الاضطرابات من فكرية وسياسية ، فاقام الشاعر يحلّل قلبه فيشرّح فيه كل قلب ، ويعبّر بلسانه فينطق به عن كل لسان . ويستند ، في كل ذلك ، الى صفة فطرية صبغت اثاره معنى ومبنى ، ووافقت موقعاً حساساً من الناس ، الا وهي القوة .

القوة اس لكل ما تقدم ذكره من الصفات الشاملة،تظهر بمظهرين عامين: الثقة بالنفس ، والانفة او الكبرياء . والناس مفطورون على الثقة بالنفس ، ميالون الى الانفة ، فاذا لم يدركوها استعاضوا بالكبرياء ، تلك الانفة الزائفة. وهم، على ايّ حال ، معجبون بالقوة، حتى الجبناء منهم.

كان من نصيب المتنبي ان يبني ادبه العالي على أسّ القوة، وهو أسّ ثابت، فثبت . بناه على القوة الفكرية واخرجه في القوة التعبيرية ، فراع الناس بهذا البناء الشامخ ، واعجبهم بما فيه من ألفة بين المعنى والمبنى . والمعنى والمبنى لا ينفصلان في الحقيقة ، فلا يقوم معنى جليل في مبنى ضئيل ، كما انه لا يعيش المبنى المتين على المعنى الضعيف المبتذل ، واذا عاش فالى حين . ولا يدوم الاثر الادبي الا اذا كان مبنياً ذا وحدة متينة ، وسواء أكانت هذه الوحدة في الاثر كلّه ام في بعض مقاطعه . فان الخلود يلتحق بالمظهر المتوحد ، ولو كان بيتاً فرداً.وهو ما نراه في بناء المتنبي.فان من عوامل تأثيره انفراد ابياته الحكمية وسيرها قطعاً مسكوكة تتداولها الذاكرات ، ويصقلها الاستشهاد ، فاذا هي على كل لسان منذ الف سنة يحفظها العالم والجاهل ، ويوردها المثقف والامي.

على ان هذا البناء العظيم لا يقيمه المتنبي حجارة دكناء لا لون فيها ولا حياة ، على نحو ما نعرف في الكثير من النظم الحكمي . انما هي صور شعرية رائعة كانت جديدة في عصرها فاثرت في السامعين، وتتابع اثرها متغلغلاً الى شعراء اليوم ؛ هي مشاهد فخمة حتى في دقائقها ، منها ما مرّ عليه الزمان فمحاه ، ومنها ما لا يزال في مقدمة المثل الشعرية ، يستفيد منه الكثيرون ، كوقفة سيف الدولة في المعركة :

وقفتَ، وما في الموت شك لواقف؛ كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمرُّ بك الابطال كلمى، هزيمة ، ووجهك وضّاح وثغرك باسم

ومثلها كثير . واغلبها في تصوير المعارك مما يتناسب وفطرة المتنبي القوية ، تحفه موسيقى شديدة الوقع ، اثرت دون شك في سير هذا الشعر ، لانها عملت ، مع ما تقدم ذكره من العناصر ، على رفع السامع الى جوّ خاص من العظمة ، تكتنفه الجلبة ، ويسوده شيء من الفوضى الفخمة تسوقها القوة في

التمثيل والايجاء، فتضيع فيه هنات التعبير ونشزات المبالغة، اذ تتناسب مقاطعها وتتلّم اطرافها، اذا صحّ التعبير، فيقيسها السامع بمقياس تأثره وانفعاله. حتى اذا هبط به الناقد الى سكينة العلم، اطلعه على الكثير من مزالق الجرأة ونزوات الخيال. على ان هذه الهفوات نفسها كانت من اسباب شهرة المتنبي ايضاً، اذا اعتبرنا ذوق ذلك العصر، وما كانت توفر من مناظرات لارباب النحو واللغة والشرح يقضون بها ايامهم فيساهمون هم ايضاً، في مدّ شهرة الشاعر وبسط نفوذه، حتى ان الواحدي جعل من اسباب فضل المتنبي «خفاء معانيه، وكثرة ما يحتمل كلامه من وجوه التفسير وضروب التأويل».

فلا عجب — وهذه شخصية المتنبي — ان يؤثر ذاك الاثر البليغ في الشعر والشعراء، فيقلّده المدّاحون، وينظر اليه نظّامو الحكم في جميع اقطار العربية، من فارس الى الاندلس، منذ عصره الى ايامنا؛ الّا فترات في عصر الانحطاط، قصّر فيها المقلدون حتى عن النظر اليه، فاخرجوه من بين الشعراء، وكأنهم نزعوا من امامهم الهدف الصعب المنال. اجل لا عجب ان نرى اثر المتنبي يطوي القرون حتى يصل الى القرن التاسع عشر بل الى القرن العشرين، فنسمع صدى نبراته القوية في شعر الشيخ ناصيف اليازجي، ومحمد سامي البارودي، بل في بعض شعر احمد شوقي.

***

ولا يسعنا الان — وقد ادركنا ختام البحث — الا ان نتساءل هل افاد هذا الاثر ادبنا العربي ام لا؟

مما لا شك فيه ان المتنبي رفع مستوى الشعر العربي، فبرز فيه المثال الاعلى يُقتدى به في جميع فنونه. فكان من حسن اثره ان الشعراء، في سيرهم على طريقه، كادوا ينصرفون عن تلك الاستهلالات الغزلية البالية في قصائد المدح. قلنا: كادوا، لان الداء اعدى من الصحة، وفساد الذوق ابلغ اثراً من حسنه. ثم يمكننا الحكم ان المتنبي افاد في ادخال شيء من «الشعر» في تلك المنظومات الحكمية الجافة، وان كان لم يقوَ على تغيير نوع زائف بخروجه عن الطبيعة. ويجب القول ايضاً انه سما بالتعبير الشعري، فاضحى الشعراء بعده

يتطلبون السموّ والفخامة ، وجمال السبك ، وقوة الوقع .

على ان شخصية ابي الطيب البارزة ملكت على مقلديه مشاعرهم . فغدا ذلك المثال العالي في عصره ، مثالًا اعلى لكل العصور والازمنة ، لا في الشعور والاخراج فقط ، بل في التعرض للفنون الشعرية نفسها ، فانصرفوا يجدون وراءه في ايّ عصر كانوا ، وفاتهم ان لكل عصر زيًا في الادب ، ومثالًا للشعر ، كما ان لكل عصر فنوناً قد لا تكون للعصر السابق او اللاحق . وفاتهم ان من قلّد شاعرًا بتقيّد ورهبة واحترام ، اقرّ ضمناً بتفوّقه عليه في كل شيء ، فقصّر عنه في كل شيء .

لقد قلّد المتنبي ابا تمام والبحتري ، ولكنه فاقهما . لانه عرف كيف يجعل شعره صورة لحياته المختلفة عن حياتهما . اما شعراء العرب منذ عصر المتنبي ، فلم يتصوروا اختلافاً في حياتهم عن حياته ، وبالتالي فاتهم لم يتوهموا فنوناً غير الفنون التي طرقها ، حتى افقنا اليوم وليس في تراثنا الشعري الا قصائد المدح والرثاء والهجاء والمفاخر والحكم . وليس الذنب في ذلك للمتنبي ، انما هو لمقلديه الضعفاء ، ولما كان في محيطهم الادبي من جمود وجفاف .

ان الشاعر ، ايًا كان ومهما سما ، لا يصلح مثالًا اعلى لجميع الفنون الشعرية في كل زمان ومكان . هو يمثّل اعلى ما وصل اليه فنه في عصره فيصلح مثالًا يُقتدى به لا رسماً يُقلَّد ، بل هو غذاء يستفاد منه في تنمية الثقافة العامة وكما ان الانسان ، اذا ما تناول طعاماً ، يكون قصده تحويل الطعام الى ما يصلح لغذائه ، لا تحويل نفسه الى ذلك الطعام ، كذلك على كل من يقتدي بشاعر ان يستمدّ منه غذاء لشخصيته الادبية ، لا ان يحوّل شخصيته الى صورة ناقصة لذلك الشاعر .

هكذا يتقدّم الشعر ، وهكذا تبرز الشخصيات الشعرية . فلا نُستعبد للماضي ، ولا نقطع الصلة بيننا وبينه !

مطبوعات شرقية جديدة

Tristan d'Athayde, Fragments de Sociologie Chrétienne. Traduit du portugais par Jean Duriau et Georges Raeders [*Questions disputées*, vol. XIII]. In-12, XII-170 pp. Paris, Desclée, de Brouwer et Cie. Prix : 10 fr.

خواطر في علم العمران المسيحي

لقد نشر تريستان داتهيد ، وهو اسم مستعار لأموروزو ليما الكاتب الكاثوليكي البرازيلي المشهور ، مؤلفاً نفيساً بعنوان « التوطئة لعلم العمران » احتوى على المواد التي ظهرت في هذه الترجمة الفرنسوية .

قد يكون علم العمران احوج العلوم العصرية الى الدقة في التحديد والحصر في التعريف . فقد عرض المؤلفون لطائفة من المواضيع في درسهم العمران فتكلموا عن الدين ، والعناصر البشرية ، وما قبل التاريخ ، والنفسيات الخ . . . اما مؤلف الكتاب الحالي فيعمل على الاهتداء في هذه المتاهة ، مدققاً في تعريف علم العمران ، وتحديد مركزه من مجموعة العلوم وتناسقها . ومهما يكن من اهمية هذا العلم فلا يمكنه ان يكون منتهى العلوم ، ولا المعرفة القصوى ، او الحكمة التي تتجه نحوها سائر المعارف . والا لادّى بنا الامر الى تأليه البشرية . ليس علم العمران الا علماً عملياً يعيّن كيفية سير الجماعات البشرية نحو غاياتها الحقيقية . وهنا يتبسط المؤلف في صفة « علم العمران » الغائية من حيث سنّ القانون الاجتماعي . ثم يعرض لدرس المشاكل المهمة التي تجابه علم العمران كعلاقة الانسان بالمجتمع ، وتطاحن الطبقات ، والشيوعية ، والرأسمالية ، والربى ، والأجر ، والثمن ، والملكية ، وتسلّط الآلات ، والرقي . . . عاملاً ، في كل ذلك ، على تعيين كل مشكل في مركزه الخاص ، وان كان لا يتعمق في حلّه . وهناك نظرة جديرة بالذكر تلك التي يظهرفيها الكاتب القرابة بين كارل ماركس وويلفرد باريتو ، اي بين الشيوعية والرأسمالية ، فيبيّن ما اكتنف النظريتين من

جهل اساسي بالقيم الاجتماعية الاوّلية.

ثم يضع المؤلف، فوق علم العمران الطبيعي، علم العمران الروحاني او الفائق الطبيعة، فيتكلم عن الكنيسة، مشيرًا، دون ان يدخل في الدروس اللاهوتية، الى كل ما تعمله الروحيات في المجتمع فتطهّره وتسمو به الى ما فوق المادة وقيودها. ونحن اليوم في اشد الحاجة الى وضع العوامل الروحية في مجتمعنا، بعد ان وصلنا الى هذه المرّة التي طرحتنا فيها المذاهب العمرانية العصرية، فشوّشت مقاييس الفضيلة والرذيلة، واضاعت نظام القيم المختلفة. فكان من فضل المؤلف البعيد النظر، الصافي الذهن، انه شخّص الداء، ووصف الدواء.

R. P. Hadrianus Simom, C. SS. R., **Praelectiones biblicae ad usum scholarum. — Vetus Testamentum. — Liber primus. De sacra Veteris Testamenti historia.** In-8°, XX-520 pp. Torino, Casa Editrice Marietti, 1934. Prix : L. 30.

هو كتاب تعليمي في شرح الكتاب المقدّس امتاز بالترتيب الواضح من تقسيم الى فقر ومقاطع بعناوين ضخمة وثنوية تعين الطالب في الدرس، وتسهّل عليه فهم المواد الوافرة والمعلومات الدقيقة، وتجعل من الكتاب آلة مرنة لا يستغني عنها الإستاذ ولا الطالب ولا العالم.

Maurice Brillant, **Le village de la Vierge, Nazareth.** In-12, 255 pp. Paris, Éditions Spes. Prix : 7,50.

الناصرة قرية العذراء

قام المؤلف بسياحة بل بزيارة تقوية الى بلدة الناصرة، التي لا تزاحمها بلدة على اسم العذراء، مارًّا بحيفا والكرمل. فجمع في هذا الكتاب كثيرًا من المعلومات التاريخية الدقيقة، وكثيرًا من الذكريات الشعرية ايضًا فرفعت المجلد عن مستوى الادلّة الاثرية الجافّة دون ان تفقده دقّة التاريخ. ولا ريب في ان زوّار بلاد الجليل، تلك البلاد التي يُطلق عليها بالعربية اسم « البشارة »، يجدون في الكتاب خير دليل والطف رفيق.

ج. ل.

ÈVE LAVALLIÈRE, **Ma conversion.** Préface et commentaire de PER SKANSEN. Paris, Éditions de la Nouvelle Revue Française. Prix : 3 fr.

اهتدائي

« على اثر وفاة ايفا لاڤاليير ، طلبت اليّ احدى مجلات اوسلو ان اكتب بضع صفحات في حياة تلك المثلة الشهيرة . فقرأت عددًا عديدًا مما نُشر عنها من المقالات والاخبار . على اني حرت في امري اذ لم اجد فيها الا مغالطات واوهامًا في شأن ذاك « الكوكب » . فلم اتمكن من الاستناد الى هذه المعلومات في كتابة مقال رصين . وكان ان كاشفت احد اصدقائي بهذا الامر فقادني الى الاب شاتينيه ، خوري رعية شانسو - سور - شوازيل ، ذاك الذي اهتدت على يده ايفا لاڤاليير ، فكأنه اوصلني الى مصدر الحقيقة . فاستقبلني الاب ببساطة وعطف . واهتمّ كل الاهتمام بتذكّر الحوادث التي اتيت من اجلها ، واطلعني على الكتب التي تبادلها والمثلة المهتدية . فقرأت تلك الصفحات الجذّابة ، وتحققت حالًا ان لديّ مادةً لاكثر من مقالة في مجلة . فاطلعت الاب على فكرتي فلم يستغرب . وكان قد طلب اليه عدد من ناشري الكتب في باريس ان يأذن لهم بنشر تلك الرسائل ، فرفض ، ثم كاد يلين عندما ظهر كتاب مشحون بالاوهام عن ايفا لاڤاليير ، وكانت المهتدية نفسها قد تأثرت من ظهور هذا الكتاب وحدّثت الاب بامره فوعدها بنشر الرسائل . فكان من حسن حظي ان زيارتي اعادت الى ذهنه وعده السابق . فكلفني القيام بهذا العمل . فاحتججت بصفتي الاجنبية ، وبجداثة عهدي في حضن الكنيسة . . . ولكنه لم يقبل احتجاجي . . . »

هكذا يقدّم پير سكانسن كتابه الى الجمهور . على انه لا يذكر كل ما في الكتاب من اعجاب ، واجلال ، وتقوى تصبغ كل معلوماته عن اهتداء ايفا لاڤاليير واستشهادها ، وما تركته نفسها الكبيرة من آيات مؤثرة في تلك الرسائل الطافحة بالايمان والرجاء والمحبة . وقد نال الكتاب موافقة الرؤساء في ايلول ١٩٣٣

R. P. Judéaux, S. J., **Sermons et discours.** 2 vol. in-16, 352-366 pp. Paris. G. Beauchesne et ses Fils. Prix : 36 fr.

مواعظ وخطب

قد يكون بين الخطباء من يظهر اقوى عارضة من الاب جوديو او اسرع بديهة، او اسلس بلاغة، بيد انه من الصعب ان نرى خطيباً ادقّ درساً لموضوعه واجمع معاني، واوجز. كثيرًا ما طلب من الخطيب المؤلف ان يطبع مواعظه، ولاسيا ما خصّ منها بتعاليم عن القديس اغوسطينوس. ثم مرّت السنون، واذا بعارفي الاب يشعرون اليوم بضرورة طبع هذه الخطب والمحاضرات النفيسة. وقد رُتّبت على ترتيب السنة الطقسية تقريباً، ابتداء من عيد جميع القديسين حتى يوم تذكار الموتى. فظهر في المجلد الاول سلسلة من الخطب على قدّاس الساعة الحادية عشرة للقديس اغوسطينوس في موضوع «الحياة الالهية». وفي الجزء الثاني مجموعة خطب لتساعية في عبادة قلب يسوع الاقدس.

Pericle Ducati, **La Scultura Etrusca.** [*Novissima Enciclopedia monografica illustrata*, n° 49]. In-8°, 64 pp. à 2 col. ; très nombreuses illustr. non numérotées. Firenze, 1935.

فنّ النحت الاتروسكي

هذا المجلد جزء من مجموعة ايطالية جديدة ظهرت مؤخرًا في فلورنسة، تقوم بنشرها شركة خاصة في سبيل جمهرة المثقفين. وقد خصّ هذا الجزء بعدد من اهم روائع الفنّ الاتروسكي الراقية حتى اواخر عهد الجمهورية الرومانية رتّبها الاستاذ بريكليس دوكاتي، الاختصاصي بشؤون الفنّ المذكور، ووصفها وصفاً موجزًا، عارضاً صورًا لاهمّ الآثار المميّزة لمختلف العصور. بعد الفنّ الوطني القديم الظاهر منذ القرن السابع ق.م.، يبدو التأثير اليوناني العريق فيزدهر مدة القرن الخامس، ويستمرّ حتى في العهد اليوناني الحديث، فيهذّب الفنّ الوطني الاصلي دون ان يحدث تغييرًا جوهريًا في مظاهره ولا في اتجاهاته الخاصة. ولم يهمل المؤلف مكاناً ولا متحفاً فيه آثار ذاك الفنّ الّا استغله، ولاسيا متاحف ايطالية ومتحف فلورنسة خاصة، وهو اغناها واوفرها تمثيلًا للفنّ المذكور. وقد جرى، في بحثه، على ترتيب طبيعي، ذاكرًا المذاهب الفنية المتنوّعة والمراكز

والمدن ، واصفاً الآثار بالنسبة الى غاياتها كالنحوت الحجرية والبرونزية ، وزخارف الهياكل ، والفخار والخزف ، والنواويس ، والجرار المدفنية ، والنذور ، وغير ذلك.

هذا والكتاب سهل الاسلوب يستفيد منه ، على ما نرى ، جميع المثقفين في بلادنا فيطلعون ، بواسطة هذا الوصف المتحفي ، على مدنية ظلّت حيّة ، على عهد الامبراطورية الرومانية ، في المثال التصويري الذي يمتّ بالصلات المتينة الى فنّ الجدود الاقدمين.

فللمؤلف العالم كل تهانينا لما توفق فيه من اختيار الامثلة الفائقة ، لا من حيث الفنّ فقط ، بل من حيث الاخلاق ايضاً. وذلك ان الفنّ الاتروسكي كان ينقصه كثير من الاهتمام بالاخلاقيات.

اما فكرة انشاء دائرة معارف مصوّرة تتألف من ابحاث مستقلة تماماً احدها عن الآخر ، فجديرة بالتشجيع والتقدير على شرط ان تجمع نخبة من العلماء وذوي الاختصاص. وهكذا يمكن السير دائماً دون الاهتمام بالعقبات التي تنتج من وضع تصميم محدّد للعمل. بقي ان نسأل هل يكون لنا شيء من هذا في بلاد اللغة العربية ؟ اما عناصر العمل كالعلماء ، ومواد البحث فقد لا نفتقر الى وجودهم. ولكن من يمكنه اليوم في بلادنا ان يُنشئ مثل هذا المشروع الخطير ؟ . . .

س . ر .

Zeitschrift für Rassenkunde und ihre Nachbargebiete, unter Mitwirkung von X, Y, Z, herausgegeben von Egon Freiherr von Eickstedt. Bd I, Heft I-II. In-8°, ill. Stuttgart, Ferd. Enke, 1935.

مجلة علم السلالات البشرية وما جاوره من العلوم .

ان المجلة التي نقدّمها اليوم الى قرّائنا أُنشئت في اوائل هذه السنة في ستوتكارت ، انشأها احد كبار اساتذة علم الانسان والسُلالات البشرية في جامعة برسلو ، وتوفق ، منذ خطوات المجلة الاولى ، الى معاونة اكثر من ٣٥ عالماً اختصاصياً من اوربة واميركة وآسية ايضاً (تركية ، والصين واليابان خاصة) . وقد جاءت المجلة موافقة لنزعة مهمة من نزعات المانية الحاضرة ، ولكنها لا تساهم في الدافع القومي الذي حدا بالالمان الى تلك النزعة ، بل تظل

في الميدان العلمي دون ان تتجاوزه . وانه لمن الصعب على من لم يكن من ذوي الأختصاص ان يقدر قيمة هذه المجلة ويحكم على مستقبلها . ولكننا اذا نظرنا الى مظهر المجلة الفسيح ، ودقتها العلمية ، وما امتازت به المقالات من الرصانة ووفرة المعلومات ، كمقال مؤسسها الذي خصّ به درس عنصر البحر المتوسط في بلاد الغال ، ومقال شويدتسكي في التفتيش عن السُلالات في بلاد بولونية ، وجب علينا ان نقول ان هذه المجلة الجديدة قد احتلت مركزًا مهمًّا بين المنشورات العديدة الخاصة بعلم الانسان والسلات البشرية وعلم ما قبل التاريخ، الظاهرة في اوربة واميركة . اما في بلادنا الشرقية فمن العسير ان نتصوّر عدد العلوم والمعارف التي نحن مدينون لها في درسنا السلالات البشرية . وقد يؤلمنا ان لا نرى في مصر ، ولا في العراق ، حتى ولا في سورية ، وفيها ما فيها من الجامعات ، احدًا من العلماء يخص حياته بتقدّم هذه العلوم الضرورية في عصرنا . ثم ان المجلة تقوم بوصف للمطبوعات الجديدة ، وتنشر فهارس قصيرة للمنشورات القريبة من موضوعها . وهي حافلة بالصور الحسنة ، وتظهر اربع مرّات في السنة بثمن يبلغ ٢٢ ماركًا. س . د .

JOHN WALKER, **Folk Medicine in modern Egypt.** Being the relevant parts of the **Tibb al-Rukka** or Old wives' Medicine of ʿAbd al-Raḥmān Ismāʿīl. In-8°, 128 pp. London, Luzac and Co., 1934.

طبّ الركّة والتدجيل في مصر الحديثة

لمؤلفه الدكتور عبد الرحمن اسماعيل من خريجي القصر العيني بمصر ، جمعه في كراسين مجموع صفحاتهما ١٥٨ صفحة،طبع الاول منهما سنة ١٨٩٢ والثاني سنة ١٨٩٤ ؛ وترجمه للانكليزية الاستاذ جون واكر من المتحف البريطاني . والنسخة التي لدينا هي النسخة الانكليزية المطبوعة في لندن سنة ١٩٣٤، وعدد صفحاتها ١٢٨ صفحة .

قال المترجم في مقدمته ان المؤلف ، رغمًا من كرهه للتدجيل في الطب ، قد درس الموضوع بدقّة في مصر وساعدته وظيفته في مصلحة الصحة المصرية للوصول الى معلومات وافرة وموثوقة هي خير ما كتب عن التدجيل في مصر

والاقطار الاسلامية المجاورة ؛ وستكون لها قيمة أثرية قريباً ، لان التهذيب والاخذ بالعلوم الحديثة ، ومنها الطب ، ينتشران بسرعة في مصر ، والحكومة المصرية جادة في انشاء المستشفيات وتعميمها في انحاء القطر مما يجعل حياة التدجيل قصيرة ، والقضاء على الدجالين قريباً ·

اما مقدّمة المؤلف نفسه فتشير الى ما قضى من الصعوبات في جمع هـذه المعلومات من مصادرها وارباها الذين يحرصون على كتمانها حرصهم على ارواحهم ، لانها مورد رزقهم ؛ كما يشير الى ان انتشار التدجيل في مصر عائد الى تفشّي الجهل والخرافات فيها · ومصدر الخرافات في الغالب الامهات يغرسنها في اطفالهن ، فيشبّون على تصديق ما هو خارج عن العقـل والمنطق ، وعلى الاعتقاد بقدرة السحرة والدجّالين على شفاء الامراض وجلب الحظوظ ·

والكتاب يحتوي ، في جزئيه ، على ٧٩ فصلاً ، او وصفة لا يمكننا في هذا المقام ان نشير لاكثر من بضعة وصفات منها :

١ – التعريفة

التعريفة علاج القرف : والقرف مرض مزمن في الامعاء ، لعلّه الاسهال او الزحار · وهذا العلاج اي التعريفة مؤلف من تدليك ودواء للشرب وغـذاء · اما التدليك ، وتقوم به امرأة في الغالب ، فيكون بدلك البطن شديداً ، ثم فرك الراس طويلاً ، ثم يربط عنق المريض بحبل يشدّ تارة الى اليمين وطوراً الى اليسار بقسوة تنتهي في بعض الاحيان الى وفاة المصاب · والقصد منهـا اخراج الشياطين من راسه · اما الدواء فعبارة عن قطع الليمون الحامض مغموسة بالملح والفلفل والرماد ، والغذاء مؤلف من الخبز النـاشف مع الملح والفلفل فقط ، ولا يأكل المريض سوى مرة واحدة في النهار ·

٢ – المشومة

المشومة اسم الحمى المتقطّعة التي كثيراً ما تشفى ثمّ تنكس · وهاك طريقة علاجها : تحضر احدى النساء الى خارج بيت المحموم وتنـادي : هل عندكم منكوس · فتجيبها صاحبة البيت : ما عندنا منكوس ، ولا وجع في الروس ؛ وترشقها بقطعة من الزبل الناشف · ثم تكرّر الاولى النداء ، والثانية الجواب

وريش الزبل اثنتي عشرة مرة . فتجمع المرأة الاولى قطع الزبل وتـذهب تلقيها في بئر مهجورة فيشفى المريض !

٣ – المشخّرة

المشخّرة هي عقد مؤلف من الصدف والـدمى والحجارة المختلفة الالوان ، وفي وسطه حجر بارز يدعى حجر القبانس . والعقد واقٍ وشافٍ معاً من بعض الامراض . فاذا لبسه الاولاد فلا يصابون بالرمد ، وان لبسته الحاملات سهلت ولادتهن . اما المصابون بالرمد ، والمصابات بحمى النفاس ، فيكفي ان يغسل حجر القبانس بالماء ويستعمل المـاء غسيلاً للعيون المصابة او شراباً للامهـات المريضات فيشفوا ويشفين حالاً !

٤ – التائم

يحتكر المغاربة علم التائم وعملها في مصر . واذا اصيب شخص باضطراب عصبي او اعراض دماغية ظنّ اهله ان الجنّ استولوا عليه ، فيلجأون الى المغربي لفتقه منهم . وقد شاهد المؤلف مشهداً رواه كما يأتي : قال كنت اعود فتى مصاباً بالتهاب السحايا الدماغية عندما دخل علينا والد المصاب ومعه مغربي معمّم طلب ناراً والقى فيها من جرابه مادة كريهة جداً جعلت الحاضرين يفرون خارجاً . اما انا فقد جمدت مكاني لارى ماذا سيعمل . ثم اخذ خيطاً ربط به قـدم المريض وجذبها بعنف ثم قال ان الشيطان الذي حلّ بالمريض هو احد ابنـاء الملوك الكفرة ، ولا يخرج الا بالضرب فاخذ والـد المسكين واحد اقاربه يلهبان جلده بسياطهما وهو يستغيث ولا يغاث . فاخذتني الشفقة ورجوت والده ان يكفّ عن الضرب فاجابني بان الامر لا يعنيني .

٥ – المتوقة

هي الزوجة الولود التي لا يعيش اولادها ، فيعتقد الجهلة ان للزوج زوجـة اخرى من الجن تدعى التابعة تغار من زوجته وتقتل اولادها . ولذلك فهم يجرون عملية « قطع التابعة » وتقوم بهـا عجوز درديس محنكة في النصب والاحتيال ، تحضر الى بيت الزوجين ومعها فرخة ناصعة البياض، فتوقف الزوجين وجهاً لوجه وتربط اقدامهـا معاً بخيط ثم تذبح الفرخة وتنتف ريشها وتبقر بطنها

وتجمع الاحشاء والريش وتربطها بالخيط الذي تحله من اقدامها ، وتدفنها تحت عتبة الباب .

٦ – ابو ريش

هو الولد البكر الذي يخاف عليه اهله من الموت عندما يولد له اخ جديد، فتأتي الدجالة وتلبسه طرطورًا من الريش وتركبه حمارًا ، في القلب ، وراسه متجهاً الى الوراء وتزفه في البلدة ، ومعها الاولاد ينادونه « يا ابو ريش ان شاء الله تغيش » ، فيعيش !

٧ – وجع الرقبة

وهو التهاب اللوزتين . وعلاجه ان يبلع المصاب بيضة مسلوقة « بامها وابوها » اي بقشرها ، وقد حدث مرة ان اختنق المصاب ومات اثناء البلع .

٨ – الزار

من الزيارة ويقصد به ان المرأة المريضة زارها الشيطان ولا يخرج منها الا بحفلة الزار . وتقوم بمراسيم هذه الحفلة الكوديات (جمع كودية) ، والكودية هي الامرأة التي تدعي ان احد الاولياء حل عليها . وان لهذا الولي عفريتاً يطيع اوامرها وينفذ طلباتها ومنها طرد الشياطين ، ولكن العفريت نفسه لا يجيب الطلب الا بعد ان تجاب طلباته هو ، اي طلبات الكودية ، ومنها تقديم الهدايا من نقود وحلى وثياب ونحر الذبائح وحرق البخور واقامة الولائم . والحفلة تقام للنساء فقط ولا يحضرها الرجال مطلقاً . وهذه مراسيمها في الغالب : تُقام الحفلة في دار فسيحة مفروشة بالسجاد في وسطها كرسي مخصوص تجلس عليه المريضة، وتأتي الكودية بديك وفرختين تضع الديك على راس المريضة والفرختين على كتفيها . ثم تنقر طبلتها فتذعر الدجاج وتصيح بينما هي تتلو كلاماً غير مفهوم . ثم تاخذ الدجاج الى خارج الدار وتذبحها وتجمع دمها في اناء تسقي بعضه للمصابة ، وتدهن بالباقي يديها ورجليها بين قرع الطبول والصنوج . ثم تلبس المريضة ثوباً من الحرير ، وعباءة مزركشة بخيوط الفضة ، وطربوشاً مرصعاً بالحجارة الكريمة ، وتتقلد سيفاً وتقبض بيمينها خنجرًا ، ثم تنحني امام الحاضرات مسلّمةً فيسألنها : من انتِ ؟ فتجيب : انا الشيخ عبد السلام .

حينئذٍ تتقدم منها الكودية وتفرك جسمها فيخرج منها الشيخ عبدالسلام. ولكن تحلّ محله زوجته الست رقية التي تتهدد بان لا تخرج منها الا اذا احضروا لها سبعة اثواب من الحرير وكمية من الحلى تلبسها الواحدة بعد الاخرى بين ضرب الطبول والصنوج . وبعد ذلك يعدّ الطعام الفاخر للحاضرات.

٩ – الشبشبة وصلب النجوم

الشبشبة عملية تقوم بها احدى النساء ، وتدعى المُشبشبة ، لامرأة قد اهملها زوجها. واشهر مُشبشبة في مصر كانت الشيخة خضرة الاصوانية المقيمة بسفح المقطم بجوار قبر الفارضي تقصدها النساء من كل حدب وصوب . فتخرج من كوخها عند طلوع النجوم لابسة ثوباً اسود منكوشة الشعر، وعلى يديها ووجهها طلاء اسود ، وتقبض بيمينها ثلاث تمرات صفراء وبيسارها على يد المشبشب لها وتنادي : « يا عفريت العفاريت ، يا جن الجبال ، يا سكان البحور ، يا بعّاد في البرّية ، يا قاتلين الذرّيه ، يا مخالفين سليمان ، يا مبرطعين في الوديان ، تعالوا وساعدوني على صلب النجوم » . ثم تلقي السلام على النجوم وتخاطبها : « ايتها النجوم الصفراء كالتمرات التي بيدي والتي سألقيها عليه — وتسمي اسم الزوج — القي انت مثلها واحدة على عينه حتى لا يرى سوى زوجته ، وواحدة على لسانه حتى لا ينطق بغير اسمها ، وواحدة على اذنه حتى لا يسمع سوى صوتها »

هذه امثلة مما في الكتاب . ويا ليت احد اطبائنا يقوم بجمع الخرافات الطبية وطرق التدجيل في بلادنا ، فيكون كتابه عظة وعبرة للقارئين.

الدكتور مصطفى ابو عزالدين

J. S. Wilenčtchik, Le problème de l'orthographe dans les pays de langue arabe. [*Annales de l'Institut oriental de l'Académie des Sciences de l'URSS*, t. III, 1935, pp. 125-158]. Leningrad.

مشكل الابجدية في بلاد اللغة العربية

يبحث الكاتب في استعمال الحروف اللاتينية لكتابة اللغة العربية ، فيعرض كل ما ظهر من الآراء والمشاريع في الموضوع منذ اواخر القرن التاسع عشر الى

يومنا . ويتّبع تطوّرها ، مظهرًا موقف الطبقات الاجتماعية المختلفة ، منتشًا عن اسباب كل ذلك . اما هو فيميل شخصيًا الى استعمال الابجدية اللاتينية لانه يعتقدها ضرورية لكل شعب لا يزال على تأخر في تطوّره الاقتصادي الفني . وهو يرى في الابجدية اللاتينية واسطةً للوصول الى الرقي الصناعي العصري الذي يعتقده مقدّمة للرقي العامّ .

ولا يخفى ان المناظرة الشديدة في هذا الموضوع بدأت منذ عشر سنوات ، عندما دخلت بلاد اللغة العربية في الحركة الاقتصادية العالمية ، بفضل تلك السلسلة من المعاهدات الدولية التي عقدتها الامم بعد الحرب الكبرى . ثم كانت الحركة التركية فاحدث عملها اثرًا لا يُنكر . ويعتقد المؤلف ان اللغة العربية الفصحى ، من حيث كونها فوق طاقة الجمهور ، تظلّ مادّة لاحتكار التعليم في الطبقة الراقية من المجتمع . وهو يسير من هذا المبدأ الذي ينسبه مجّانًا الى افراد الطبقة العالية في الجماعات المتكلّمة بالعربية ، فيتوسع في موضوعه وفقًا للنظريات الماركسية في تطاحن الطبقات ، ويستنتج ان موقف السراة ورجال الاكليروس في معاكسة استعمال الحروف اللاتينية ان هو الا نتيجة رغبتهم في احتكار التعليم واعمالهم تثقيف الشعب . اما الحقيقة فيجب على من يفتش عنها في هذا الموضوع ان يعيش في بلاد اللغة العربية ؛ فيرى رأي العين انه ليس من بلد ابعد عن نظرية تطاحن الطبقات الاجتماعية ! وان يكن من عذر للكاتب فهو في عدم اتصاله بالمجتمع العربي . بقي ان نشير الى ان مآخذ البحث وافرة مذكورة بكل ترتيب من اسماء المؤلفين ، الى اسماء الصحف بالحروف اللاتينية وغيرها . مما يجعل للبحث قيمة رصينة لذيذة .

Islamica, VI^e vol., 1934, 4^e cahier. Leipzig, Verlag Asia Major.

مجلة الاسلاميات : الجزء الرابع من المجلد السادس (١٩٣٤)

ممّا يجدر بالذكر ، في هذا الجزء ، نشر قسم اول من كتاب بدر الدين ابن جماعة المعروف « بتحرير الاحكام في تدبير اهل الاسلام » وهو بحث في تنظيم الدولة الاسلامية ومختلف دوائرها من نوع « كتاب الاحكام السلطانية » للماوردي . الا ان الاول يفوق هذا بنظرته التطبيقية واهتمامه الوضعي في حين

ان صاحب « الاحكام السلطانية » يضيع في النظريات المثلى فيرى الاوضاع لا كما هي حقيقة ، بل كما يجب ان تكون في رأيه . ومما لفت نظرنا في القسم المنشور بعض آراء للمؤلف في الجهاد فهو لا يزال يعتبره « فرض الكفاية » في حين ان الاسلام لا يحاربه احد ولا يهدّده . وللنساء ان يشتركن بالجهاد بصفة ممرّضات .

ه . ل .

GÉNÉRAL BREMOND, Marins à Chameau. Les Allemands en Arabie, 1915-1916. Charles-Lavauzelle et C^ie^, Éditeurs. Prix : 8 fr.

ملاحون على الجمال

يصف كتاب الجنرال بريمون بعض الاوربيين في الحجاز وما قاسوه في ذلك القطر بسبب جهلهم طبيعة البلاد واخلاق سكانها ، كما انه يظهر ما بذلوه من جهود ومناورات عجيبة في حدّ نفسها ، ولكن تظهر نافلة لو كانوا قد درسوا البلاد وسكانها قبل ان قاموا باعمالهم تلك . وعليه فان للكتاب المذكور قيمة تعليمية اختبارية يستفيد منها الاوربيون اذا ما ارادوا الاطلاع على بعض مظاهر الدين الاسلامي ، وعلى حالات البدو خاصة . فيرون انه من اللازم ان يتخلّص الانسان من احكامه السابقة احياناً ليباشر درس بلاد تختلف عن بلاده ، واخلاق تباين ما اعتاده في محيطه ، حتى لا يجازف في احكامه ، ولا يصادف ما يعاكس تقديراته .

P. H. MAMOUR, Polemics on the Origin of the Fatimi Caliphs. In-12, 231 pp. London, Luzac and C°.

في اصل الخلفاء الفاطميين

من اغمض المشاكل في التاريخ الاسلامي مشكلة نسب الخلفاء الفاطميين في مصر . ولا يخفى ان خلفاء بغداد اعتبروهم دخلاء مغتصبين ، بل صرّحوا مرّات بفساد نسبهم وبأن ليس من صلة بينهم وبين فاطمة بنت النبي . من الحق ان احكام العباسيين لا تبرهن عن شيء ، لانهم كانوا خصوماً وحكاماً في الوقت نفسه . ولكن هنالك آراء الاكثرية المطلقة من افاضل الكتاب والمؤرخين ، ومن

مستشرقي اوربة . تجاه هذه الآراء قام مؤلف الكتاب فجرّب ان يدحض اقوال المؤرخين الشرقيين والمستشرقين الغربيين راداً عليهم جميعاً . ولكنه لم يتوفق في تجربته ، فظلّ المشكل هو هو حتى بعد قراءة الكتاب . بيد انه مفيد في تاريخ البدع الشيعية ، ولاسيما البدعة الاسماعيلية منها. ه ل.

VLADIMIR LAZAREVSKI, **La Russie sous l'uniforme bolchevique.** In-12, 256 pp. Paris, Éditions Spes. Prix : 10 fr.

روسية في اللباس البلشفي

مؤلف هذا الكتاب ضابط في الجيش الروسي ، شاهد كل ما اصاب ذاك الجيش من التقلبات والتطورات التي ادّت الى فساد نظامه القديم . فاخذ يذكر تاريخها وتتابعها مستطرداً الى درس الأساس التي يرتكز عليها النظام البلشفي ، وما كان له من تأثير في الاخلاق والحياة المادّية ، خاتماً بالقول ان البلشفية خطر دولي . وكان قد تقدّم الكاتب كثير من المؤلفين في مختلف الموضوعات الروسية فاستنتجوا النتيجة نفسها . على ان المؤلف الحالي لم يردّد اقوالاً سابقة، بل ظلّ محتفظاً بشخصيته وطرافته . ج. ل.

N. DOMBROUSKI-RAMSEY, **Injustices, révolutions, guerres.** In-12, 91 pp. Paris, Alcan, 1933. Prix : 9 fr.

ظلامات ، ثورات ، حروب

هل يستفيد المطالع شيئاً من هذا الكتاب الصغير الحجم الهائل العنوان ؟ هو ما نشكّ فيه لان المؤلف انصرف الى الاكثار من الجمل الطنانة المتداولة- قوالب فارغة في « الظلامات الاجتماعية ، والاستبداد الدولي ، والانانية الفظيعة» وغير ذلك مما اكتفى به منصرفاً عن ذكر الحوادث ودرسها . ينهي كلامه بنصيحة اتت موافقة لروح الكتاب من الرغبة في التوسيع اللفظي ، فقد اشار على كل محبي الخير والعدل والصلاح ... ان ينزعوا الاسلحة القتّالة من ايدي ذوي الانانية الدامية... هذه نصيحته ، اما القيام بها فلا يكفي لتحقيقه طبع ٩٠ صفحة من هذا الاسلوب ... ج. ل.

لبنان في عهد الامراء الشهابيين

وهو الجزء الثاني والثالث من كتاب الغرر الحسان في اخبار ابناء الزمان
للامير حيدر الشهابي

عني بضبطه ونشره وتعليق حواشيه ووضع مقدمته الدكتور اسد رستم ، احد اساتذة التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الاميركية، وفؤاد افرام البستاني، استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

القسم الاول : لبنان والاقطار المجاورة في القرن الثامن عشر
القسم الثاني : الحملة الفرنسوية على مصر واوائل حكم بشير الثاني
القسم الثالث : لبنان في عهد الامير بشير الثاني
ثلاثة مجلدات (ص ٦٢٦) مع مقدمة عربية (ص ١٩) وافرنسية (ص ١٦) قطع الربع – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٣

طُبع بعض هذا الكتاب سنة ١٩٠٠ في مطبعة السلام بمصر بهمة نعوم مغبغب طبعةً غير علمية،وهو من المراجع الاساسية لتاريخ لبنان فانتدبت مديرية المعارف العامة والفنون الجميلة في لبنان لطبعه هذه الطبعة العلمية النفيسة استاذَي الجامعتين البيروتيتين.استعدا لهذا العمل الخطير بسنين عديدة قضياها بالدرس والتدريس في المعاهد الثانوية والعليا طبقاً للاساليب العصرية العلمية التي ادّت اليها النهضة الادبية في لبنان وسورية ، وكان الباعث اليها الارساليات الاجنبية. وحسبنا القول ان الدكتور اسد رستم هو الذي نشر «الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا» وغيرها من الابحاث التاريخية النفيسة . وان الاستاذ فؤاد البستاني هو صاحب «الروائع» وكاتب سر ادارة مجلة المشرق ذو الشخصية الجذابة ، والاسم العريق بنسب العلم والادب . فالخير كل الخير متوسم من قراءة اسميهما على جلد الكتاب؛وقد يزيدنا اطمئناناً لصدق العمل وحسن القيام به ، علمنا ان رئيس الحكومة والجمهورية اللبنانية فخامة حبيب باشا السعد قلّد بوسام الاستحقاق اللبناني صدر الناشرَين مكافأةً لهما واقراراً بفضلهما واجتهادهما في خدمة المصلحة الوطنية بنشر اصول تاريخ البلاد .

من هو الامير حيدر الشهابي ؟ جاءت ترجمته في المقدمة : هو سليل الاسرة الشهيرة بكبيرها الامير بشير . ولد سنة ١٧٦١ في دير القمر او في المعاصر في جوارها ، وتوفي في دير القرقفة سنة ١٨٣٥ وعمل للامير بشير في حكمه . وكان مسيحياً تقياً سخياً محباً للسلام ، لكنه الجئ الى كبح جماح الفتن بالقوة بامر نسيبه بشير .

يتناول هذا التاريخ الاخبار السياسية ، وبعض الامور الاجتماعية والاقتصادية وشيء من الحوادث الطبيعية التي جرت في لبنان وغيرها مما جرى في فلسطين وسورية وسائر اقطار الشرق الادنى وبعض البلدان الاوروبية منذ ظهور الهجرة الى السنة ١٨٣٥ .

ومصادر الكتاب في جزئه الاول مأخوذة من المؤرخين العرب واخصهم الطبري وفي جزئيه الثاني والثالث من مذكرات الامير الشخصية ، ومن الوثائق الرسمية او التاريخية في زمانه ، وفيه بعض النقائض من قلة ضبط بالتمحيص والترتيب ، ولكنه بمجمله مرآة حية للزمان الذي عاش فيه المؤلف .

اهمل الناشران الجزء الاول من الكتاب المبتدي بالهجرة والمنتهي بقدوم الشهابيين الى لبنان سنة ١٦٩٦م (١١٠٨هـ) لانه نُشر بطبعة المغبغب وغيرها من الكتب العربية المطبوعة التي تغني عنه وحصرا جهودهما في معالجة الجزئين الاخيرين ، وهما بغاية الاهمية فيما يخصّ تاريخ بلادنا منذ اواخر القرن السابع عشر الى منتصف القرن الماضي .

للمؤلف نسخ عديدة سعى الناشران بالحصول عليها اهمها ثلاث ترقى كلها الى عهد المؤلف ، وفيها آثار خطه فاعتمدا على احدثها عهداً لطبع المتن ، واستعانا بالنسختين القديمتين لوضع الحواشي . النسخة الاولى اصلها من المكتبة الشرقية في كلية القديس يوسف رقمها ١٦٠ ؛ تبتدي باخبار سنة ١١٠٩ هـ (١٦٩٧ م) وتنتهي باخبار سنة ١٢٣٤ هـ (١٨١٨ م) ، وفيها آثار خط المؤلف .

النسخة الثانية هي ايضاً من المكتبة الشرقية اليسوعية تبتدي ١٢٠٤ هـ (١٧٨٩ م) وتنتهي بذكر حوادث ١٢٤٥هـ (١٨٢٩ م)

النسخة الثالثة من مكتبة الجامعة الاميركية وفيها آثار عديدة من خط

المؤلف وعدد صفحاتها ٧٦ (لم تذكر في المقدمة سنة بدئها ومنتهاها)

وهناك نسخة ٤ بدؤها ١٨١٣ ولم يذكر آخرها . ونسخة ٥ ونسخ ثلاث غيرها بخط نصيف اليازجي كانت لعالي سميث ، وعليها كان اعتمد المغبنب في طبعته ؛ فاعتمد الناشران على النسخ الثلاث الاولى ، او قل بالاحرى ، على النسختين الاولين وهما من المكتبة الشرقية لنشر الكتاب لان النسخة الاميركية الثالثة قصيرة وناقصة فلم تؤدِّ الا القليل من الاختلافات وسبب اعتمادهما كما شرحاه هو ان المؤلف بتوقيعه الحواشي بخطه على النسختين الاولين يكون « كانه يمهرها بخاتمه ويؤيد كل ما فيها صادرًا عنه »

لقد قام الناشران بهمتها خير القيام : صوّرا خط المؤلف التصوير الشمسي ووضعا في اسفل الصحائف التعليقات المفيدة ليس للمقابلة بين الاصول فقط ولكن لكشف القناع عن مبهمات الالفاظ العسكرية والاقتصادية وغيرها ايضاً، وجعلا في رأس كل صحيفة التاريخ الميلادي بالسنة واليوم من الشهر ، تسهيلاً للمراجعة ، وذيّلا النشرة بفهارس ثمينة للغاية ، فنهنئهما على عملهما ونفرح لكون المكتبة الشرقية ادت مادة متن الكتاب فتحققت فيه آمال المرحوم الاب شيخو لما عرَّفه في كتابه على مخطوطات المكتبة وتمنى نشره . ف . ت

معضلة السرطان

تأليف وليم سيمن باينبردج — ترجمة يوسف اسكندر حتي وشاكر خليل نصار

٢٢٧ ص . متوسطة – المطبعة الاميركانية – بيروت ، ١٩٣٥

بهذا الاسم وضع الحكيم باينبردج كتاباً ضخماً نقله الى العربية صديقي الحكيم يوسف حتي ، والسيد شاكر خليل نصّار .

وما اكثر ما كتب ونشر ويُنشر في بعض المعضلات كالسلّ والسرطان . ولكن ما أقلّ الفائدة التي تشعر بها بعد القراءة ، ولاسيما بعد التجربة ! السرطان ، ألم يزل مجهول الاصل والسبب ، مجهول الدواء ، ولم يُعرف منذ البدء الى الآن ان احدًا شُفي منه بقوّة الطبيعة وحدها . فهو يؤلم ويُضعف ويعذّب ويؤدي حتماً الى الموت .

. ثلاث سنين مضت ، وقف الاستاذ الشهير هارتمان الباريزي يخطب في نادي الحفلات بكلية القديس يوسف في السرطان باحثاً في هذا الموضوع ، وهو اعرف الناس به ، وقد أسهب في بيان ما هو معروف من أمره وأسبابه ونظرية بعضهم ، وهل هو جرثومي الاصل كالسل والزهري . وفنّد مذهب القائلين بان السرطان على ازدياد : فذكر ان احصاءات السرطان الداخلي بموجب ما يتبيّن في التشريح تدلّ على انه لم يزدد عدداً ، وان ما ظهر من زيادة فنتيجة ان متوسّط العمر أخذ في الطول بفضل تقدّم الطب وفنّ الوقاية .

ولم يذهل عن الحكم على ما يُقال من ان بعض العناصر الكيماويّة وغيرها من رصاص وزرنيخ او نحاس وماغنيزيوم (رأي الاستاذ دلبه) او موادّ عضويّة او جرثوميّة (كما فعل الجراح المشهور بالامس دوين) تقي من هذه الآفة او تشفي منها . فكنا بعد خطابه كما نحن بعد النظر في تأليف « معضلة السرطان » حيارى في سبب السرطان وعلاجه .

على انه يجب علينا شكر المترجمين شكراً خالصاً لتنبيهما أفكار الناطقين بالعربية الى ما أصبح معلوماً من عارفي لغات الغرب وتجب معرفته وتفيد وهو ان السرطان في اوله مرض موضعيّ محصور في نقطة ، لكنه لا يلبث ان يذيع في محيطه بل في انحاء الجسم فلا يعود بالامكان ان يُكشف ولا ان يطاله العلاج (صفحة ١٥٣)

وانه كثيراً ما يجيء في الثآليل ، وامكنة الاحتكاك ، والندبات ، والخيلان (جمع خال) ، والشامات ، والمحالّ المعرّضة للتخديش المزمن ومماسّة القطران والزفت واشعة اكس (المجهولة) والراديوم وبعض القروح المزمنة والاورام .

وان معالجته تقضي بالمعاجلة . والمعالجة انما هي بالاشعة المجهولة اي اشعة اكس او رنتجن ؛ والغريب ما ذكرنا من انها في مستخدميها منهم من رجال الفنّ تعرّضهم للداء اللعين عينه . وللراديوم شأنه العظيم في مداواة السرطان لاسيما الظاهريّ او الجلديّ (الآكلة) وأول بل خيرُ العلاج جراحة تستأصل العلّة بتمامها : أصلها وجذورها . والاختبار أثبت ان هذه الوسيلة تضمن الشفاء النهائي للكثيرين من المبتلين .

امين الجميّل

الكنيسة وما هي

رأي كاهن كاثوليكي وردّ احد الاخوة عليه

هل بلغ اليك هذا الكتاب ؟ فلا بد من ان نسمعك كلمتنا عليه. وان لم يبلغ اليك فلا خير لك فيه، ايها القارئ العزيز، لانه مجموع من الاقوال التي يرشق بها جماعة البروتستانت، المنتمي اليهم المؤلف، تعاليم الكنيسة الكاثوليكية، وفيه يحاول عرض تعليم البدعة في اهمّ المسائل الدينية. قلت «يحاول» لان من العسير جدًّا على البدعة تدوين معتقداتها بدستور رسمي، فلا يتفقون على تحديد المسائل الدينية ليعرفوا هل هي جوهرية تضطرهم الى اجماع الراي عليها او عرضيّة تترك لكل منهم حرية الاختيار فيها. وانّ ما كانوا يعتبرونه جوهريًّا بالأمس اصبحوا ينكرون اهميته اليوم، حتى صار امر لاهوت المسيح في نظر بعضهم من الامور الممكن الاقرار بها او نبذها. يدّعون بنهج طريق الخلاص للنفوس وقد ضاعت بين يديهم حقيقة الاسرار (راجع ما كُتب على مؤتمر الانكليكان وعلى مؤتمر لامبث في المشرق ٢٥ [١٩٢٧] ٧٦٤-٧٧٢)

على ان صاحب هذا الكتاب حاول تحديد تعليم البروتستنت فقال: انه يحثّ على قراءة الكتب المقدّسة (ص ٣) وان قراءة الكتب يجب ان تكون من دون تفسير «يجعل ثغرةً بين المسيح وبين المؤمن» (ص ٧) فلا وسيط بينه وبين الله (ص ٨) ومضى من ثم في سبيله معالجًا ذلك بالآيات الكتابية معارضًا في اقواله ما اصطلحت عليه الكنائس الشرقية والغربية من المبادي المكوّن منها قانون الايمان، وطعن بالكنيسة الرومانية خاصة وبالحبر الاعظم وبالرئاسة البطرسية. فيقتضي الرد عليه كتابًا برمته وما احرانا ان نرجع بالقراء ونحن في هذا الصدد، الى كتاب الاب اده، وقد وصفه المشرق في هذا المجلد ص ١٥٣.

ولكن نكتفي بكلمة. ان كان الكتاب المقدس هو الاساس الوحيد المبني عليه الايمان فكيف ينالُ الايمانُ الجهّالَ الاميين الذين لا يعرفون القراءة؟ وكيف نال الايمانُ المؤمنين في ايام الكنيسة الاولى اذ لم تكن كتب العهد

الجديد قد وضعت بعد ؟ ألا انهم تعلموا حقائق الدين « بالسمع » كما قال القديس بولس ؟ والسمع ليس هو بالقراءة ولكن بالكلام والتبشير. فالكتاب وحده لا يكفي للايمان ولا بد من يد تعرضه للمؤمنين ومن سلطة معصومة تفسره لهم والا فالتبس الامر وتضعضعت المبادي !

وهل من المعقول ان الكنيسة ظلت سحابة ١٦ قرناً جاهلةً مبدأ الإصلاح الموهوم الى ان اتى لوتيروس الراهب ، الذي خلع عنه الثوب الرهباني واخترق حرمة النذور اتباعاً للشهوات ، ليُصلحها !

ف . ت

دمعة الوفاء والادب

على فقيدي الدين والفضل والحسب الورتبيتين الاخوين

جبرائيل وبولس اسيون

المطبعة المارونية بحلب ، ١٩٣٥ ، ص ٩٢ باللغة العربية

وبعدها ص ١٣ بالافرنسية قطع الثمن

الورتبيت بولس اسيون ، وُلد في حلب سنة ١٨٨٤ من عائلة ارمنية كاثوليكية من ابوين فاضلين فتح الله اسيون وسيود جهامي . درس في مدرسة الآباء الفرنسيسكان في حلب ، ثم في مدرسة البروبغندا في رومية وتفانى كاهناً في خدمة النفوس في حلب من السنة ١٩٠٩ الى سنة وفاته ١٩٣٠ . اما اخوه الورتبيت بولس فولد سنة ١٨٨١ ، وسبق اخاه في الطريق التي سلكها وتبعه بالموت سنة ١٩٣٤ ، وله زهاء ١٩ سنةً في خدمة النفوس وان الخسارة الجسيمة التي حلّت بالمسيحيين الحلبيين بفقد الاخوين البارّين استذرفت دموعاً حارة واطلقت السن الخطباء وشحذت قرائح الشعراء ، وكان اصدى تلك الاقوال تردّده في هذه النشرة وقد عنيت بجمعها اخوية الحبل بالعذراء البريء من الدنس للارمن الكاثوليك ، ففيها ذكرى الفضيلة والقداسة وتعزية لكل من تعرف الى الابوين الاخوين رحمهما الله .

سيرة الاب البار بشارة ابي مراد المخلصي

بقلم الخوري قسطنطين الباشا المخلصي

الطبعة الثانية – مطبعة دير المخلص صيدا – لبنان ١٩٣٥م

ظهر هذا الكتاب في العام الماضي ووصفه المشرق في عدد كانون الثاني – آذار من هذا العام ص ١٥٧ . وها ان مؤلفه وافانا بطبعته الثانية وقد زاده تعليقات جديدة اخذها مما كتبه على الاب الطيب الذكر مراسلو البشير والمسرة ورسالة قلب يسوع وغيرهم من الاتقياء والافاضل الذين تعرفوا الى الاب بشارة وشهدوا له بالفضائل والمبرّات التي تجعله مثالاً للرهبان بتقواه ، وللعمال الرسوليين بغيرته وتفانيه ، خاصةً في سماع الاعترافات وهداية الخطأة الى التوبة . تصفحنا الكتاب فغذينا النفس بروحه الفائقة الطبيعة وتمنينا ان يفوح عطر فضائل الاب بشارة المخلصي الى ابعد من ارجاء بلادنا ، الى المدينة الابدية فيلفت انظار اب المؤمنين العام الى ما جناه المسيح في بستان الرهبانية التي تشاركنا بحملها اسم الفادي يسوع من اثمار بهية للسماء فيتعزى ويفرح بها ويعرضها انموذجاً للمؤمنين عامة وللاكليروس خاصةً . ف . ت

جولة اثرية في بعض البلاد الشامية

وصف طبغرافي تاريخي اثري عمراني للبقاع والبلدان الممتدة من شمالي الاسكندرونة الى ابواب دمشق. بقلم المهندس الزراعي احمد وصفي زكريا

المطبعة الحديثة ، دمشق ، ١٩٣٤–١٩٣٥ ص٤٠٨ ، قطع ٨ – مصور بخمسة وعشرين رسماً

« لما كنت مفتش املاك دولة الشام في سنيّ ١٣٤٤–١٣٥٢ ، كان يعهد اليّ بالتجوال من حين الى آخر في تلك الاملاك الشاسعة فانتهزت الفرص بسائق الولع لاستقصاء اوصافها من نواحي الطبيعة والزراعة والعمران في معرفة احوال السكان ودرس الآثار وجمع ما يفيد جمه من التعليقات على تلك البلاد ؛ واذ عدت الى دمشق كنت اطالع المؤلفين من عرب وافرنج واتمم بهم معارفي فاستخلص من ثم مادة هذا الكتاب ». هذه الاسطر تكاد تعرف اليك بحرفها فاتحة الكتاب وخلاصته.

من الكتب التي وضعها المؤلف اساساً لما كتبه «رحلة السائح التركي اوليا چلبي» وقد عرّبها عن التركية بتصرّف ، وعلق عليها شروحاً صار يزيد عليها ويطولها مع اغراقه في التآليف . ولم يعنه عن الاسهاب هم التناسب والتناسق في اجزاء الكتاب ليكون بناية واحدة ، بل كان همه الاهم ان يزف الى قراء العربية مادة جديدة ترقفهم على شيء مما يجهلونه من امور بلادهم « وقد طالما درسها رواد الافرنج وعلماؤهم وسياحهم فصاروا لنا قدوة في البحث على شؤون بلادنا » فدحهم المؤلف على ذلك واستحث القراء الى اقتفاء آثارهم.

اما جولته فتجتاز الطريق التي سلكها الچلبي من طرسوس وادنه الى مسيس وبياس والاسكندرونة وجبل اللكام او الامانوس وبيلان وسهل العمق وانطاكية وجبل القصير وجسر الشاغور وسهل الغاب وقلعة المضيق وقلعة شيزر وحماة والرستن وحمص وحسية والنبك والقطيفة الى باب دمشق . قطع تلك البلاد ووصف منها ما يراه السائح من المناظر الطبيعية والآثار القديمة وسعى في معرفة السكان واسرهم ومن اقواله :« رايت ان الاسر الكبيرة المدّعية بعراقة النسب جلّ ابنائها في غفلة عن ماضيهم لا يعرفون اسماء اجدادهم الاقرباء دع اسلافهم البعداء . . . ومن الغريب ان كثيراً منهم يتوق الى ربط سلسلته بحلقة احد آل البيت او احد الصحابة او الاولياء او الابرار او احد الملوك والامراء وقلّ من يستطيع ان يؤيد مدعاه بوثائق »

وفي الكتاب صور بينة مأخوذ بعضها عن كتاب الكولونيل جاكو على انطاكية والشمال السوري وقد طبعت في المطبعة الكاثوليكية . نستميح الاذن في ابداء ملاحظات عسى ان يستفاد منها في طبعة الكتاب الجديدة . ابى المؤلف الا استعمال لفظة الشام عوض لفظة سورية وذلك حتى في تاريخ سورية على العهد اليوناني والروماني (ص ٩٦) ولكن اللغة العربية لم تكن شائعة آنذاك في البلاد لتدعى باسم الشام ، واهمال لفظة سورية يؤدي الى الالتباس التاريخي . وقال المؤلف ان سلوقوس مؤسس انطاكية اسكن فيها مزيجاً من الكرد[1]

١) لم يذكر المؤرخون الكرد الا في القرون الوسطى في شمالي سورية ، ولا حجة من اسم الجبل كرد طاغ ، لاثبات قدم تلك القبائل في بلادنا ، لانها حلتها في زمان قريب الينا

واليونانيين واليهود، فتحاشى ذكر السوريين او السريان، مع ان المؤرخين يسمونهم عوض الكرد او الاشوريين (ص ٨٧) وكتب لفظة هيرودوتس عوض هيرودس (ص ٩٠) والفرق بين الرجلين اشهر من ان يلفت النظر اليه؛ وجاء (في ص ٩٤) ان قسطنطين قسم دولة الرومان في سنة ٣٩٦ الى دولتين شرقية وغربية والحقيقة ان تلك القسمة تمت على يد ثاودوسيوس . ولكن ذلك لا يذهب بمحاسن الكتاب وهو خيرة ما ظهر من نوعه في اللغة العربية . ف. ت

علم الطبيعة

الجزء الرابع : في الكهرباء

بقلم هاشم الفصيح وتوفيق المنجد وانطون الجناوي

٣١٢ ص متوسطة مصوّرة – مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٩٣٤ – الثمن : ٣٠ فرنكاً

تصفحت هذا الكتاب الجديد في العلوم الفيزيكية ، وهو مطابق لبرنامج البكالورية للصف الاول ، فوجدته سهل المأخذ ، حسن التقسيم ، جزيل الفائدة بمادّته ورسومه . وقد اجاد المؤلفون اختيار الالفاظ الفنية ، وهي، كما لا يخفى، من الشيء الصعب في اللغة العربية . . . ويا حبذا لو جاء في آخر كل فصل مثال لعملية حسابية في الموضوع ، وذلك تتمة للفائدة وتسريحاً للافكار . ا. ب.

علم قياس المثلثات المستوية

بقلم توفيق علوش

٢٢٣ ص : متوسطة مصوّرة – مطبعة السلامة ، حمص ، ١٩٣٤

هو اول كتاب عرفته من نوعه فاعجبت بتنسيقه واسلوبه وشروحه ، وقد استحق مؤلفه كل ثناء لما عاناه ، ولا شك ، في وضعه من الجهود .

جاء هذا الكتاب الجديد يسدّ خللاً في مدارس التعليم ودوائر المساحة والمكاتب الفنية ، محتوياً على ٦١ دستوراً و٧٥ شكلاً و١٥٠ تمريناً واكثر من ٦٥ مسألة محلولة . . . واني ارجو ان يقدر رؤساء المعاهد قدره تشجيعاً لصاحبه واعترافاً بفضله . ا. ب.

وبعيد عن زمان تأسيس انطاكية . (راجع Paulys, *Real-Encyclopaedie*, art. *Syria* (Ethnographie) Col. 1573, C. 63.)

تنبيه

وقع بعض اخطاء ونواقص في نشر مخطوطة « الاعلاق الخطيرة » في اول هذا الجزء ، فرأينا ان نشير هنا الى اهمها :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٨١	١٦	المحاس	المحاسن
١٨٤	٨	احيِ	احيَ
١٨٥	٢٤	Ps. LXXX, 11	Ps. LXXXIII, 11
١٨٩	٩	المنغلات	المستغلّات
١٩٢	٢٥	Tornberg, 89	Tornberg, X. 89
١٩٣	٩	اوره	اورَهُ
١٩٣	٢٤	Hagenmayer	Hagenmeyer وهكذا كلما ورد هذا الاسم
١٩٧	٦	أنن	إنّب
١٩٧	٢٥	٢١ تشرين الثاني ١١٥٩	٢١ تشرين الثاني ١١٦٠
١٩٩	٥	للكلدهرى	للكندهرى
٢٠٠	١٣	بالولي	بالوالي
٢٠١	٣	يطيب قلبه	يطيب به قلبه
٢٠٢	١٨	خيبر	خيَم
٢٠٣	٦ — ١٧		يُشار في حاشية إلى ان المقطع من « ولم تزل في يده . . . » حتى آخره : « الى الان » مما كتب على هامش المخطوطة .
٢٠٧	١٨	انين	أمير
٢٠٨	٨	الفُرات	يضاف في حاشية : اقرأ : الافرين
٢١٣	١٨	واعلها	ولاعلها
٢١٦	١٥	يكون	يكن
	١٧	معباس	عبّاس
٢١٩	٥	خرت برق	خرت برت
٢٢٠	١	منبج	منبج